

دار الكتب الخديوية

إحياء الآداب العريضة

M.A. LIBRARY, A.M.U.



AR11642

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للحفظ

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي بشا

كاتبا سر مجلس النظار

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

س ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

کتاب

الکتاب

دار الكتب الخديوية

كتاب التاج

في

أخلاق الملوك

للحفظ

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي بشا

كاتب أسرار مجلس النظار

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ

١٩١٤

فدلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكى باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة فى أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة فى الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق فى أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق فى أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	نظرة فى أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستفتاء ابن التديم وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستفتاء أبى حيان التوحيدى
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث
٥٢	استفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه
٥٢	أسلوب الجاحظ
٥٣	أمثلة من صياغته
٥٧	بعض مصادره
٥٧	تكرار الجاحظ ورتداده
٥٨	إشارته إلى كتبه المتقدمة
٥٩	تصريحه بكتاب معين له
٥٩	تأكيد هذا التصريح
٥٩	النتيجة والحكم

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى - المستشرق الروسى
٦٩	جدول ببيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج"
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة
٨٣ - ٧٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للجاحظ

صفحة

١

المقدمة

٤

إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي

٥

الفتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧

... .. فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧

... .. الأشراف وسلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٧

... .. الأوساط : سلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٨

... .. استقبال الملك للساوین له وتشيعه إياهم

٩

... .. مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١

... .. تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢

... .. ما فعله جاحظ المصور العباسي مع الفتي الهاشمي ، لتأديبه

١٣

... .. تخفيف الندماء والخواص على مائدة الأكبر

١٣

... .. عقوبة الشره عند القُرُس

١٤

... .. مباسطة الملك لمواكليه

١٤

... .. بين معارضة والحسن بن علي ، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٥	ضيافات معاوية في عاصمته وسائر قواعده مملكته
١٥	اختيار سابور لرجل ، رثته لقضاء القضاة
١٦	عدم النظر للملك عند مؤاكلته
١٦	التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧	غسل اليد بمحضرة الملك
١٧	إتياس الملك لمدعويه
١٧	مباينة الملوكة لمن سواهم
١٧	قيام الملك عن الطعام
١٧	منديل الغمر أو منشفة الذفر
١٨	حديث الملك ومحادثته على المائدة
١٨	زمزمة القُرس على الطعام ، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	ما كان يفعل به عبد الأعلى القُرسى لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	مراتب الندماء ، واحتياج الملوكة لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك ، والرجوع إليها
٢٢	كمية الشرب وكيفيته موكولتان للملك ، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمغنيين عند القُرس ، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرس أربعة
٢٥	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	احتفاظ القُرس بهذا الترتيب
٢٧	معاينة أردشير لنفسه ، لمخالفته هذا القانون
٢٨	اختلال هذا النظام أيام بهرام جور وحادثة نوشتروان

فهرس كتاب "التساج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء بمقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة سُتيم في وجهه، هنراً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليان، وهشام، ومروان الجعدي
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السَّفَّاح
٣٤	المنصور
٣٤	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	الهادي
٣٧	الرشيدي
٤٢	الامين
٤٣	المأمون
٤٥	مباشطة الملك لندمائيه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الآقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالتطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	سنة ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "النساج"

صفحة	
٤٩	عذل الملك في مجلس الشراب
٤٩	مكالمة الندماء للملوك
٥٠	من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط
٥١	عدم المعاقبة في حال الغضب
٥٢	آداب البطانة عند قيام الملك
٥٢	عدم الدنو من الملك، إلا بشروط
٥٣	الاستماع لحديث الملك
٥٣	(كلمة لعبرون العاص عن جلوسه وثوبه ودأبته)
٥٤	(كلمة للشعبي عن قوم يتناقضون ويتفاهمون)
٥٤	كلمة المأمون لسعيد بن سلم الباهلي عن حسن إقامته وحسن بهمه
٥٤	ماحصل لرجل كان أنوشروان يسأله
٥٥	ماوقع لأبن شجرة الرهاوي حينما حادثه معاوية
٥٨	ماوقع لأبن بكر الهذلي حينما حادثه السقاح
٥٩	(كلمة أبن عيَّاش المتوفى في آداب المخدنة)
٦٠	(كلمة رَوح بن زنباع في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة أسماء بن خارجة الفزاربي في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة معاوية في هذا الموضوع)
٦١	آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة مع الملك
٦١	شكر أخلاق الملوك
٦١	صبر الملوك على مضض الحقد حتى تحين الفرصة لاستخدامه
٦٢	معاقبة أنوشروان لمن خافه في حريمه
٦٥	نكبة عبد الملك بن مروان بمن نازعه المالك
٦٦	نكبة الرشيد بالبرامكة

فهرس كتاب "التساج"

صفحة	
٦٦	مراعاة حرم الملك
٦٨	إغضاء البصر بحضرة الملك
٦٩	غضُّ الصوت بحضرة الملك
٦٩	تأديب الله للصحابة في هذا المعنى
٦٩	حرمة مجلس الملك في غيئته
٧٠	الرقاء على مجالس ملوك العجم عند غياهم
٧٠	مواطن المكافات
٧٠	بيان المكافات، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خلق النديم
٧١	آداب النديم في المزاملة ، وعلومه
٧٢	عُدّة الملك في خروجه لسفر أو زهرة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك للملاعبه
٧٢	حقّ الملاعب على الملك
٧٣	ملاعبة سابورلنديه على أمر مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكرة وغيرها
٧٤	لُعبة الشطرنج بحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	آداب الندماء، إذا أخذت الملك سِنَّةً من النوم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مسايرة الملك
٧٧	سنة أكابر العجم عند تهيئهم للسايرة

صفحة	
٧٨	ماحصل الوريد أثناء مسابرة لقياد
٧٩	ماحصل لشرحيل أثناء مسابرة لمعاوية
٨٠	تحذير من يسائر الملوك
٨٠	تطير العجم من مسابرة الملك المتصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الخاضع
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسابرة
٨٢	ما قاله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسابرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الأسم لإحدى صفات الملك أو لخصمه
٨٩	الأمور التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الحجامة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب السفاح على أحد رجائه
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرار
٩٤	امتحان أبرو ورجاله في حفظ السر
٩٥	امتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٨	امتحانه من يطعن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	تغافل بهرام جور عن سرقة انجم الخيل بالذهب
١٠١	تغافل أبو شروان عن سرقة جام من الذهب

صفحة	
١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدناير
١٠٢	الردة على قولهم: "المغنون لا محمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى
١٠٣	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا
١٠٣	سليمان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداءه
١٠٤	جعفر بن سليمان وسارق الدرة الرائعة
١٠٤	إكرام أهل الوفاء وشكرهم
١٠٥	قُبَّاد ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو المخزومي في مجلس السقَّاح مروان بن محمد الجعدي ، بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأساورة المتقربون إليه بقتل ملكهم
١٠٩	شيوخه ومادحه على قتل أبيه أبرويز
١١٠	المنصور العباسي والضارب رأس ابن عمه الخارج عليه ، بعد قتله
١١١	المنصور العباسي ومادح هشام الأموي
١١٢	الادب عند ما يتكلم الملك
١١٢	الأدب في تحديث الملك
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتين على الملك
١١٣	كلمة رَوْح بن زُبَّاع في المعنى
١١٤	كلمة الشعبي في المعنى
١١٤	كلمة السقَّاح في المعنى
١١٤	كلمة ابن عيَّاش المتوفى في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١١٧	(عود إلى) الأدب في تحديث الملك
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالانصراف
١٢٠	عدم ذكر أحد بالعيب في حضرة الملك
١٢٠	تحريض الملك بين رجاله
١٢١	آداب السفير
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختيار السفير
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه
١٢٤	احتياط الملك في منامه ومقيله
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم
١٢٤	السنة النبوية في النوم
١٢٥	إطلاح الوالدین فقط على منام الملك
١٢٥	معاملة الأبن للملك
١٢٥	ما فعله يزيد مع آبنه بهرام ، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا
١٢٦	ما فعله معاوية مع آبنه يزيد
١٢٦	ما فعله المهدي مع آبنه الهادي
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد الأمون
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم
١٢٧	واجبات آبن الملك
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك
١٢٩	الحيلة في معالجتها

فهرس كتاب "الساج"

صفحة

١٢٩	ما صنعه ما زيار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ما صنعه روح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان واستعادة رضاه عليه
١٣٢	ما فعله جوير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهمل الهمداني لاسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحفوة
١٣٧	صفات المقربين
١٣٨	كلمة أنوشروان ، وأمثولة "كالية ودمنة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك ، ونظام التشریفات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاحهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز ، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم آفتدئ بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	هو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاذ
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	ليس الملوك
١٥٥	تطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجاهم ، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٦٣	العقوبة الربانية للملك الظالم
١٦٤	ما صنعه بهرام جور لأخذ ملك أبيه
١٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته
١٦٧	الملوك والخلفاء الذين أشتهروا بذلك
١٧١	التمييز بين الأولياء والأعداء
١٧٢	بماذا تطول مدة الملك
١٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
١٧٣	سنة الأعاجم إذا دهمهم الكوارث والعظام
١٧٥	ما فعله معاوية أيام صفين
١٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
١٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	مكايدة الملوك في الحروب
١٧٧	خدعة بهرام للعدو الذي قصد دار ملكه
١٨٠	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم - قبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

١٨٦	التنويه بالأمير الفتح بن خاقان - الوزير العباسي
-----	---

٣ — ملحقات الكتاب

١٨٩	تكميل للروايات والملحوظات الانتقادية
٢١٢	تصحيجات لأغلاط مطبعية
		استدراك اللهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي انفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطاً للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

		الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للراجعة وتحرير الحواشي
٢٣٥	والتكميل
		الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكميله
٢٤٣		الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٥٩	» »	الرابع بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
	» »	الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها

تذیر

ایکتاب ”التاج“

بقلم محققہ

الاستاذ أحمد زکی باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصاوير

لمحقق هذا الكتاب

”واجبٌ على كلِّ ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بُدئ^(١) بالنعمة قبل استحقاقها“ .

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب ”التاج“. وهو المشهور أيضاً بكتاب ”أخلاق الملوك“. هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام، ومركز الخلافة، وجنة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الطرائف. ومنشأ أرباب الغايات، أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالي، وكانت أمصاره وقراه مناهل عذبة يزدهم عليها طلاب العلم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده، مما تقراه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره. ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صدر سبيل بن هارون أحد كتبه . وكان معاصراً للجاحظ . أنظر ”البيان والتبيين“

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مرآة تتجلى فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حركاتهم الرسمية وحشودهم العامة ، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آفتس العرب بعضها من الفرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام ، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسودة من آل عباس ، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام ، وجلس على سرير الخلافة سابعهم ، الميمون النقيبة . المباركة الناصية . وأعنى به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياءه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها ، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : تتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للخضرة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين . حتى لقد ينسب الجاحظ خطته ومناهجه في سرد بعض عادات الفرس ورسومهم القديمة ، كأنها مألوقة في تلك الأيام . وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام .^(١)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من خول البلغاء . قال الجاحظ : " ولو شئت أن أقول إن سيرة الحسين ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقائنا . ولو كان خلاف ذلك ، لكانت الملوك ينامون نومي " . أنظر كتاب الحيوان ، (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الخليل في " صفة جزيرة العرب " : " و... آية خاد من عتبة الملوكية (ص ٢٠٢) — ومعلوم أن الإمام ابن جني ألف كتاباً سماه " التكميل في الملوكية " .

(٢) كان السواد شعرا إلى بني العباس ، وكان أشباعهم يتكلمون به . وتحدث سماعهم . راجع " المسودة " [بكسر الراء المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم البياض . وذوهم والنضرون هم يسمون " البنيضة " [بكسر الراء المشددة] . وقد أطلح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا : " سود أهل المدينة القلانية " أو " بيضوا " دليلا على أنصواتهم تحت لواء العباسيين أو تضامهم إلى سمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٥٠٤ من ص ١٤٦) ثم (ص ١١ من ص ١١٦) من كتاب " تاريخ " . وفيه مواضع أخرى كثيرة من هذا القبيل .

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أمراء المؤمنين ، وسادات المسلمين في أخوتيتهم الخصوصية ، وفي أنديةهم العمومية ، ووقفنا فيه على سمرهم في سمرهم ، وقصصهم في ليالي أنسهم ، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حظهم ، ومسارح لهوهم ، ومراتع طربهم . وناهيك بجالسهم في الأغاني والمنادمة ، وبجامعهم في الملاعبة والمدامعة ، ومشاهدهم في المسيرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأمانىل في أيام العرب ، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن الجاحظ استخدم بعض التصانيف التي وضعها القُرْس في هذا المعنى^(٢) . بل نراه قد آنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى إيراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغاب على ظني أن المؤلف استعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "حِراء" وزان كتاب . وهي جمادة البيوت المتدانية . وقد استعمل الجاحظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البخلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأذبة وولى الدعوة إذا جاء رسوله - والقوم في أخوتيتهم وأنديتهم - فقال : أجبوا إلى طعام فلان . ففعلهم حفلة واحدة - وهي الحفالة - فذلك هو المحمود . وإذا آنقتر ، فقال : قيم أنت ، يا فلان ، وقيم أنت ، يا فلان . فدعا بعضا وترك بعضا . فقد آنقتر" . [والقمرى هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلوطن "أخوتيتهم" بالخاء المعجمة . ولا وجه للاعجام في هذا المقام ، والإهمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وتوآينهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الأسطرادين الطويلين العربيين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف بأسم كسرى أنوشروان .
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سراً مكتوما في ضيعة الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير ما لا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يهيج فيه غير ذات العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طُوبُ قُبُو بمدينة أفسس طينية في مجلدي
- هي لعمري ! - من أنفس الذخائر التي خلفوا الأوائل بلا ولاحر، ذلك لأنها تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

١ - كتاب الآداب^(٢) ، لابن المقفع :

٢ - الأدب الصغير^(٣) ، له أيضا :

٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه "الأدب الكبير" بعينه . كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وفي الطبعة الثانية في المقدمة
وضمنا في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : " يتلو كتاب "التاج" لابن المقفع في عشر مجلدات .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فَسَرَعَانَ مَا تَجَرَّدَتْ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلَدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ ! وَقَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النَّيْلِ - فِي جُمْلَةِ مَا تَصِيدُهُ مِنْ مَفَاخِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلَدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوَّلِهَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ . فَهِيَ خَلُوٌ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا ، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكِ هَذِهِ النُّسخَةِ ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ آتَتْ إِلَيْهِمْ ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا ، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا ، أَوْ عَلَى مَقَابِلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْجَزْئِيَّةِ أَوْ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ وِرَائِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكِتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةً مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةُ مَكْتُوبَةٍ فِي أَسْفَلِ طَرَفِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحَلْبِي" قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النُّسخَةُ مَكْتُوبَةً فِي حَلَبِ نَفْسِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وهذه المجموعة مشكولة من أولها إلى آخرها بالحركات . على أن هذا الضبط مما لا يصح الاعتماد به أو الاعتماد عليه في كثير من الأحيان ، إن لم نقل في أغلب الأحوال . ولكنها - مهما كان الأمر - من ذخائر مصر . إذ أن حلب كانت في ذلك الوقت عمالة تابعة لسلطان مصر (وهو السلطان قايتباي المحمودي المشهور) . وبقيت في حوزة خلفائه إلى أن أرتفعها السلطان سليم العثماني من السلطان قانصوه الغوري في سنة ٩٢٢ للهجرة . فلا بد أن تكون هذه المجموعة قد وصلت إلى القسطنطينية

كتاب التاج

في ضمن الغنائم التي استولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائقه .

فأما "الأدبَان" لأبن المقفع ، فقد أجمت طبعهما على ما يليق بمكانتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المتقطع النظير^١ . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها انتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصري الذي كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمه بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلد التي هو في ضمنها ما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الخافي" الذي سبق له الكلام عليه .

اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حواليين كامنين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما انتهى إليه وسعى وبلغه مديني جليلي . ويرعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) انظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والدين من إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte) par Ahmed Zeki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استعمالها في مدارسها . وذلك من فضل شيوخ ولائها وهو خالق بفضل مؤلفهما القدير .

كتاب التاج

حكم اعتمدته الجماعة ، وقابلته بالسمع والطاعة . وما زالت تدأب في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين يتقلون عبارة الجاحظ برمتها فينسخونها نسخا ، وآخرين يبترونها بتر أو يمسحونها مسحا . وكأني بهم قد تماؤوا كلهم على عدم الإشارة إليه . اللهم إلا في النادر .

أمر يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه . وفيما علقت عليه من "خواشي" والشروح ، وفيما أضفت إليه في "تكميل الروايات" .



لكن العجب العجيب ، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب . لم يُشر إليه واحد منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على اسمه في كل ما وقفت عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين ، مع شدة التتقيب والبحث . ومداومة التقلب والتحرر . زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ . وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل . لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج" .

- (١) وأنظر أيضا الجدول المضمن للكتب المأثلة عن "تاج" في ص ٦٩ شذبة .
- (٢) في "أساس البلاغة" : "حرث القرآن : أطلت دراسته وتبهره" . وفي "تاج العروس" : "بحرث تفنيس الكتاب وتبهره . . . وفي حديث عبد الله : أحرقوا هذا القرآن . أي ونشروه وأهروه" . وفي هذا في لغة الفرنسيين لحرت الأرض ولحرت العلم ، فيقولون : Cultiver une science أو Cultiver une terre .
- (٣) مع أنه هو المكتوب على طرة النسخة المحفوظة بخزانة صوب قهر . كما تراه في أحد الروايات المتوفرة التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آية صوفياكية تراه في أموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" . توجد في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قهر .

للجاحظ

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضاح مُشكلها .



فَزَعْتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد توه ببعض مصنفاته في مقدمة مصحفه الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" ^(١) وفي تضاعيفه أيضاً؛ وكذلك فعل في "البيان والتبيين" . ثم رجعت إلى ثَبَتِ مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي ^(٢)، وراجعت ما كتبه عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات" ^(٣)، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" ^(٤)، ونظرت فيما أورده كاتب چلي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أر في كل ذلك أثراً لكتاب أسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الجاحظ . ولكنني وجدتُ ياقوت والصفدي وآبن شاكر وكاتب چلي يذكرون كلهم لصاحبنا كتاباً عنوانه "أخلاق الملوك" . فتخيلتُ أن الكتاب واحدٌ، وله آسمان .

أُكِّدُ ذلك الظنَّ عندى وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة النانية الباقية من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها "كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . وفيه نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشستيطى بدار الكتب الخديوية . تذاب الصحة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فشأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذى تم طبعه أخيراً بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مر جوليوت ، المستشرق الإنكليزى .

(٣) وقد استحضرت القطعة المتممة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطيب الذكر العلامة جيانجوس (Iayanagos) . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة جمعية التاريخ الملكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لى بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسكو قدّاره D. Francisco Godera المستشرق الإسبانى الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

(٤) فى حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (L'abbé Chabot) المستشرق الفرنسى ، فأتحفنى بصورة ذوخرافية مقولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بعضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوته "في أمور الرياسة"^(١).

وقد حصلت، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب. وهي التي رمزت لها بحرف (س) وتمكنت من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة. على ما يراه الناظر في كل صفحة.

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة. وكل صفحة تحتوي على ١٣ سطرا. وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيته. وغاية. فيما أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دأبنا نعما: "وكان في النسخة علم سادما".

فلا غرو أن جاءت السقامة فيما مزدوجة.

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار لإطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاته مؤلفه بزمان. أعني فيا وراء القرن الثامن للهجرة. أي بعد عصر ياقوت والصفدي وأبن شاكر الكتبي. على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك".

هذا. وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آسأمت ذلك من النسخة الموجودة في جزيرة طوب قيو. فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ ميلاد.

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الرموز الفتوغرافية (Fac-simile) نهاية جلد المجلد

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خُلُو من العنواين : ”التاج“ و”أخلاق الملوك“. بل يسوغ لى أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنواين شيئاً على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما آكتفى بأخذ العنوان الموجود فى الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان فى تضاعيفه وثناياه كتبٌ أخرى : كما هى العادة فى كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصلٌ بالفعل فى تلك الخزانة نفسها . لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قيو، قد اقتصر على ما رآه فى صدر الورقة الأولى ؛ وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى فى الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه“ دون أن تكون هنا لك أدنى إشارة إلى ”الأديب الصغير“، أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معاً . وذلك لأنه لم يرد فى طرزة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوانٌ خاص له ، وذلك بخلاف ما حصل فى طرزة الكتاب الثانى حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصغير“ . وكما حصل فى الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمة الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقنى الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها فى طوب قيو، واحداً واحداً، كما أتيج لى منذ بضعة سنين . وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .

كتاب التاج

وقد وضع بعضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرئاسة"^(١).

وقد حصلتُ، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (ص) وتمكنتُ من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوي على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيتهما ، وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة هذا نصها : "وكان في المنقول عنها سقامة" . فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان . أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وابن شاكر الكتبي . على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طرزة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد استمد ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ ليلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الروايز الفتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا المصدر

وفوق ذلك ، فهذا فهرسها خُلُو من العناوين : ”التاج“ و”أخلاق الملوك“ . بل يسوغ لى أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العناوين شيئاً على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما آكتفى بأخذ العنوان الموجود فى الورقة الأولى من كل مجلد ، دون أن يتصفح المجلد بأكمله ، ليرى ما إذا كان فى تضاعيفه وشأياه كتب أخرى : كما هى العادة فى كثير من كتب المشاركة ، وكما هو حاصل بالفعل فى تلك الخزانة نفسها .

لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قيو ، قد اقتصر على ما رآه فى صدر الورقة الأولى ، وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى فى الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه“ دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى ”الأدب الصغير“ أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معاً . وذلك لأنه لم يرد فى طرّة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوانٌ خاصٌ له ، وذلك بخلاف ما حصل فى طرّة الكتاب الثانى حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصغرى“ . وكما حصل فى الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبى عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، رحمة الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطّلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر ، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقنى الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها فى طوب قيو ، واحداً واحداً ، كما أتيح لى منذ بضع سنين . وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .



(١) وهناك باب للتظني، ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة .
وها هي كتب الجاحظ نفسه، نرى لبعضها عناوين مختلفة، بل هو نفسه يسميها
بأسماء، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل.^(٢)

وبعد، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مؤلفا بأبن المقفع، ومُعجبا به وبآثاره .
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متبعةً لذلك الكتب
العظيم، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان"؟^(٣)

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين .
فاختاره نفرٌ من صدور الصدر الأول، وعنونوا به بعض كتبهم، بحاراً لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج وما تفاعلت به ملوكهم".
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "ألّفها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي للملوكهم"^(٤).

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لباقوت . فإنه مشهور أيضاً باسم "إرشاد الأريب"، وباسم "طبقات
الأدباء". ومثل ذلك كتاب المقرئ، فإن اسمه "المواعظ والاعتبار"، وهو مشهور باسم "الخطط".
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون؟ وأشبه ذلك كثيرة جداً يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث، أو كما يقول الجاحظ: "كل من كان كففا بتعرفها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب". أنظر كتاب الحيوان (ج ٣ ص ٧٣).

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان: "من هو الجاحظ، وما هي مصنفاته؟" وسأشرها فيما بعد .
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية . وذكره صاحب كتاب الفهرست . وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف G. Inostrancew في كتاب "المباحث الساسانية"
المطبوع في بطرسبورج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢).

(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥).

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتباً على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أول كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج، لأبي عبيدة، المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب الفهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الجاحظ الذي أقده اليوم للقراء ما أورده ابن عبد زبه عن كتاب "التاج" - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦١١ وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن قتيبة في كتاب "عيون الأخبار"] .

(٢) ذكر النقطي في كتاب "إنباء الرواة على أنباء النحاة" كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثاني باسم "الديباج" (أنظر النسخة المنقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأنباري في "ترجمة الألباء" ولا السيوطي في "بذرة الرعاة" . وقد نقل ابن عبد ربّه في العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خير الأندلسي (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" في مادة (ج م ر) لم يذكر كلاهما غير كتاب الديباج . وما ينبغي التنبيه إليه أن العبارة التي نقلها صاحب "تاج العروس" عن جرات الرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) نراها واردة بنصها تقريباً عن "كتاب الديباج" أيضاً في كتاب "الكامل" للبرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليبسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهي واردة أيضاً مع زيادة ونقص طفيفين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبي عبيدة . نعم إن التحريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد النقطي وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" والثاني "الديباج" . فهل هما كتاب واحد؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم اتبعه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن القول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحيل على الظن بأن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيراً في مثالبهم .

کتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لأبن الراوندى، المتوفى سنة ٣٠١. [رفضه أبو سهل إسماعيل النوبختى فى كتاب سماه "البك" (٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصائى، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجى" ويسمى "المتوج" فى العدل والسياسة (٤).
- ٥ - كتاب التاج، لأبن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ٦ - التاج فى زوائد الروضة على المنهاج، فى الفقه، لأحد علماء القرن التاسع (٦).
- هذه هى بعض الكتب التى عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره (٧).

- (١) ذكره في كشف الظنون ، ولم يعرفنا بموضوعه .
(٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧) .
(٣) ذكره في كتاب "الفهرست" ، ونقل عنه البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٨) .
(٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤) ، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي .
(٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياعه بالسند المتصل إلى مؤلفيها .
في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragosse من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤) .
(٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء ، والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦٠ ، ٢٠٦١ ، ٢٠٦٢ ، ٢٠٦٣ ، ٢٠٦٤ ، ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٨ ، ٢٠٦٩ ، ٢٠٧٠ ، ٢٠٧١ ، ٢٠٧٢ ، ٢٠٧٣ ، ٢٠٧٤ ، ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧ ، ٢٠٧٨ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ ، ٢٠٨١ ، ٢٠٨٢ ، ٢٠٨٣ ، ٢٠٨٤ ، ٢٠٨٥ ، ٢٠٨٦ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨ ، ٢٠٨٩ ، ٢٠٩٠ ، ٢٠٩١ ، ٢٠٩٢ ، ٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ ، ٢٠٩٦ ، ٢٠٩٧ ، ٢٠٩٨ ، ٢٠٩٩ ، ٢١٠٠ ، ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ٢١٠٣ ، ٢١٠٤ ، ٢١٠٥ ، ٢١٠٦ ، ٢١٠٧ ، ٢١٠٨ ، ٢١٠٩ ، ٢١١٠ ، ٢١١١ ، ٢١١٢ ، ٢١١٣ ، ٢١١٤ ، ٢١١٥ ، ٢١١٦ ، ٢١١٧ ، ٢١١٨ ، ٢١١٩ ، ٢١٢٠ ، ٢١٢١ ، ٢١٢٢ ، ٢١٢٣ ، ٢١٢٤ ، ٢١٢٥ ، ٢١٢٦ ، ٢١٢٧ ، ٢١٢٨ ، ٢١٢٩ ، ٢١٣٠ ، ٢١٣١ ، ٢١٣٢ ، ٢١٣٣ ، ٢١٣٤ ، ٢١٣٥ ، ٢١٣٦ ، ٢١٣٧ ، ٢١٣٨ ، ٢١٣٩ ، ٢١٤٠ ، ٢١٤١ ، ٢١٤٢ ، ٢١٤٣ ، ٢١٤٤ ، ٢١٤٥ ، ٢١٤٦ ، ٢١٤٧ ، ٢١٤٨ ، ٢١٤٩ ، ٢١٥٠ ، ٢١٥١ ، ٢١٥٢ ، ٢١٥٣ ، ٢١٥٤ ، ٢١٥٥ ، ٢١٥٦ ، ٢١٥٧ ، ٢١٥٨ ، ٢١٥٩ ، ٢١٦٠ ، ٢١٦١ ، ٢١٦٢ ، ٢١٦٣ ، ٢١٦٤ ، ٢١٦٥ ، ٢١٦٦ ، ٢١٦٧ ، ٢١٦٨ ، ٢١٦٩ ، ٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢١٧٣ ، ٢١٧٤ ، ٢١٧٥ ، ٢١٧٦ ، ٢١٧٧ ، ٢١٧٨ ، ٢١٧٩ ، ٢١٨٠ ، ٢١٨١ ، ٢١٨٢ ، ٢١٨٣ ، ٢١٨٤ ، ٢١٨٥ ، ٢١٨٦ ، ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ، ٢١٩٠ ، ٢١٩١ ، ٢١٩٢ ، ٢١٩٣ ، ٢١٩٤ ، ٢١٩٥ ، ٢١٩٦ ، ٢١٩٧ ، ٢١٩٨ ، ٢١٩٩ ، ٢٢٠٠ ، ٢٢٠١ ، ٢٢٠٢ ، ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥ ، ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٧ ، ٢٢٠٨ ، ٢٢٠٩ ، ٢٢١٠ ، ٢٢١١ ، ٢٢١٢ ، ٢٢١٣ ، ٢٢١٤ ، ٢٢١٥ ، ٢٢١٦ ، ٢٢١٧ ، ٢٢١٨ ، ٢٢١٩ ، ٢٢٢٠ ، ٢٢٢١ ، ٢٢٢٢ ، ٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٢٥ ، ٢٢٢٦ ، ٢٢٢٧ ، ٢٢٢٨ ، ٢٢٢٩ ، ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ ، ٢٢٣٢ ، ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ ، ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٧ ، ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٤١ ، ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣ ، ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥ ، ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٧ ، ٢٢٤٨ ، ٢٢٤٩ ، ٢٢٥٠ ، ٢٢٥١ ، ٢٢٥٢ ، ٢٢٥٣ ، ٢٢٥٤ ، ٢٢٥٥ ، ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩ ، ٢٢٦٠ ، ٢٢٦١ ، ٢٢٦٢ ، ٢٢٦٣ ، ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧ ، ٢٢٦٨ ، ٢٢٦٩ ، ٢٢٧٠ ، ٢٢٧١ ، ٢٢٧٢ ، ٢٢٧٣ ، ٢٢٧٤ ، ٢٢٧٥ ، ٢٢٧٦ ، ٢٢٧٧ ، ٢٢٧٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٢٨٠ ، ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ ، ٢٢٨٣ ، ٢٢٨٤ ، ٢٢٨٥ ، ٢٢٨٦ ، ٢٢٨٧ ، ٢٢٨٨ ، ٢٢٨٩ ، ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ ، ٢٢٩٢ ، ٢٢٩٣ ، ٢٢٩٤ ، ٢٢٩٥ ، ٢٢٩٦ ، ٢٢٩٧ ، ٢٢٩٨ ، ٢٢٩٩ ، ٢٣٠٠ ، ٢٣٠١ ، ٢٣٠٢ ، ٢٣٠٣ ، ٢٣٠٤ ، ٢٣٠٥ ، ٢٣٠٦ ، ٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨ ، ٢٣٠٩ ، ٢٣١٠ ، ٢٣١١ ، ٢٣١٢ ، ٢٣١٣ ، ٢٣١٤ ، ٢٣١٥ ، ٢٣١٦ ، ٢٣١٧ ، ٢٣١٨ ، ٢٣١٩ ، ٢٣٢٠ ، ٢٣٢١ ، ٢٣٢٢ ، ٢٣٢٣ ، ٢٣٢٤ ، ٢٣٢٥ ، ٢٣٢٦ ، ٢٣٢٧ ، ٢٣٢٨ ، ٢٣٢٩ ، ٢٣٣٠ ، ٢٣٣١ ، ٢٣٣٢ ، ٢٣٣٣ ، ٢٣٣٤ ، ٢٣٣٥ ، ٢٣٣٦ ، ٢٣٣٧ ، ٢٣٣٨ ، ٢٣٣٩ ، ٢٣٤٠ ، ٢٣٤١ ، ٢٣٤٢ ، ٢٣٤٣ ، ٢٣٤٤ ، ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٦ ، ٢٣٤٧ ، ٢٣٤٨ ، ٢٣٤٩ ، ٢٣٥٠ ، ٢٣٥١ ، ٢٣٥٢ ، ٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤ ، ٢٣٥٥ ، ٢٣٥٦ ، ٢٣٥٧ ، ٢٣٥٨ ، ٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠ ، ٢٣٦١ ، ٢٣٦٢ ، ٢٣٦٣ ، ٢٣٦٤ ، ٢٣٦٥ ، ٢٣٦٦ ، ٢٣٦٧ ، ٢٣٦٨ ، ٢٣٦٩ ، ٢٣٧٠ ، ٢٣٧١ ، ٢٣٧٢ ، ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٤ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٧٧ ، ٢٣٧٨ ، ٢٣٧٩ ، ٢٣٨٠ ، ٢٣٨١ ، ٢٣٨٢ ، ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٤ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٨٦ ، ٢٣٨٧ ، ٢٣٨٨ ، ٢٣٨٩ ، ٢٣٩٠ ، ٢٣٩١ ، ٢٣٩٢ ، ٢٣٩٣ ، ٢٣٩٤ ، ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ ، ٢٣٩٧ ، ٢٣٩٨ ، ٢٣٩٩ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٠٢ ، ٢٤٠٣ ، ٢٤٠٤ ، ٢٤٠٥ ، ٢٤٠٦ ، ٢٤٠٧ ، ٢٤٠٨ ، ٢٤٠٩ ، ٢٤١٠ ، ٢٤١١ ، ٢٤١٢ ، ٢٤١٣ ، ٢٤١٤ ، ٢٤١٥ ، ٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٤١٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٠ ، ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢ ، ٢٤٢٣ ، ٢٤٢٤ ، ٢٤٢٥ ، ٢٤٢٦ ، ٢٤٢٧ ، ٢٤٢٨ ، ٢٤٢٩ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣١ ، ٢٤٣٢ ، ٢٤٣٣ ، ٢٤٣٤ ، ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٦ ، ٢٤٣٧ ، ٢٤٣٨ ، ٢٤٣٩ ، ٢٤٤٠ ، ٢٤٤١ ، ٢٤٤٢ ، ٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤ ، ٢٤٤٥ ، ٢٤

إلى هنا انتهينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

فمن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... الجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحوًا من ٣٦٠ مؤلفًا، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريبًا فى مشهد
أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئًا من أسمائها فى "مرآة الزمان" .
ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشىء يسير جدًا من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شك مُريب .
ويزداد هذا الشك متى قلنا بأن أسلوب الكتاب فى مجموعه قد لا يوافق ما هو معروف
من كتابة الجاحظ وظرافته ومجانيته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يؤبّه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سقّر آداب وأخلاق لا دفتر تبيين وبيان، وأنه
خاص بموضوع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأذهان .

كتاب التاج

نعم ، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل مآراقه من الآداب التي دونها الفرس في آيائهم وقوانينهم ، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أفرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض ، ولم يكن له مجال يتسبط فيه ويسرح ، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح . كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد ، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كما تراءت له سائخة أو هزته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي البأية الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج ، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) البأية معناها : الحد ، الوجه ، الخصلة ، الشرط ، القيل ، النوع . وأستعانا لها هنا هو المعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : " فليس الديك من بأية الكلب ، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا " . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : " وقد أيقنا أنهما ليسا من بأية " . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) آياتا لقيم بن مقبل ، هذا محل الشاهد منها :

بنى عامر ، ما تأمر وتبشاعر * تخير بابات الكلاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلوتين الأولين من الشطر الثاني من البيت الأول (كما صحف وحرف ومسح وشوه في كثير من المواضع التي لا تعد ولا تحصر) فأوردهما هكذا "يجبر آيات" ، ولكن الصحيح ما أوردته هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأول في مادة (ب وب) مثل روايتي وقد فسره بقوله : معناه تخير هجائي من بابات الكلاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البخلاء : " أنت من ذى البأية ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البأية " (ص ٤٥ ، ١٤٣) =

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنه "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يجانسها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخصص سبحانه.

= ومثل ذلك (في نقح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة ليدن، ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إنما أزرى بقدرى أننى : لست من "بابة" أهل البلد ...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته : "هذا بابته أى شرطه ؛ وإذا قال الناس : من بابى، فعناه من الوجه الذى أريد به ويصلح
والبابة فى الحساب والحدود ونحوه الغاية".

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق مالهند" : وبسببه أقول فيها هو بابى منهم ... (ص ١٢).
وفى "شفاء الغليل" انهم يقولون للعب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتوريقا بديعا فى أشعار رائقة . فأنظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "كانوا مثل بابات خيال الظل : فنى . يجى . وثنى . يروح"
(بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧).

(١) أنظر ص ٤٤٠، ٨٠٥، ١٧٠، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٧٠، ٣٠٠، ٤٠٤، ٤٦٠، ٤٨٠، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥١٠، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٩٠، ٦٠٠، ٦١٠، ٦٢٠، ٦٣٠، ٦٤٠، ٦٥٠، ٦٦٠، ٦٧٠، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧٠٠، ٧١٠، ٧٢٠، ٧٣٠، ٧٤٠، ٧٥٠، ٧٦٠، ٧٧٠، ٧٨٠، ٧٩٠، ٨٠٠، ٨١٠، ٨٢٠، ٨٣٠، ٨٤٠، ٨٥٠، ٨٦٠، ٨٧٠، ٨٨٠، ٨٩٠، ٩٠٠، ٩١٠، ٩٢٠، ٩٣٠، ٩٤٠، ٩٥٠، ٩٦٠، ٩٧٠، ٩٨٠، ٩٩٠، ١٠٠٠، ١٠١٠، ١٠٢٠، ١٠٣٠، ١٠٤٠، ١٠٥٠، ١٠٦٠، ١٠٧٠، ١٠٨٠، ١٠٩٠، ١١٠٠، ١١١٠، ١١٢٠، ١١٣٠، ١١٤٠، ١١٥٠، ١١٦٠، ١١٧٠، ١١٨٠، ١١٩٠، ١٢٠٠، ١٢١٠، ١٢٢٠، ١٢٣٠، ١٢٤٠، ١٢٥٠، ١٢٦٠، ١٢٧٠، ١٢٨٠، ١٢٩٠، ١٣٠٠، ١٣١٠، ١٣٢٠، ١٣٣٠، ١٣٤٠، ١٣٥٠، ١٣٦٠، ١٣٧٠، ١٣٨٠، ١٣٩٠، ١٤٠٠، ١٤١٠، ١٤٢٠، ١٤٣٠، ١٤٤٠، ١٤٥٠، ١٤٦٠، ١٤٧٠، ١٤٨٠، ١٤٩٠، ١٥٠٠، ١٥١٠، ١٥٢٠، ١٥٣٠، ١٥٤٠، ١٥٥٠، ١٥٦٠، ١٥٧٠، ١٥٨٠، ١٥٩٠، ١٦٠٠، ١٦١٠، ١٦٢٠، ١٦٣٠، ١٦٤٠، ١٦٥٠، ١٦٦٠، ١٦٧٠، ١٦٨٠، ١٦٩٠، ١٧٠٠، ١٧١٠، ١٧٢٠، ١٧٣٠، ١٧٤٠، ١٧٥٠، ١٧٦٠، ١٧٧٠.

كتاب التاج

ولنا دليل آخر، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه. ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزرارية على طبعه ونحيزته.

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين". فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار، كما كانت له نُزوة أو تجددت لديه الفرصة، بل كلما تراى له شق ضئيل يقضى به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير.

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدّم له في بعضها الآخر. فإذا علمنا ذلك كله، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا. نحن نجد ذلك، بلّه نجد ما هو أبلغ.

أفما تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين"؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج" في موضع واحد^(٣). ومثلهما كتاب "البخلاء" في موضع واحد أيضا^(٤).

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤).

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢؛ ج ٣ ص ٥١؛ ج ١ ص ٦٩؛ ج ٣ ص ١٠٩). وأنظروا، وأوردته في تكميل الروايات (في ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و(ص ١٩٦ عن ج ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ عن ص ٥٣، ٥٤) و(ص ٢٠٣ عن ج ٤ ص ٨١).

(٣) أنظر في تكميل الروايات (في ص ٢٠٣ عن ج ١ ص ٨٩).

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبي سيدة وعبد الأعلى، نراها بنصها وحرفها تقريرا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣). وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢).

فلو كان المؤلف رجلا غير الجاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرة واحدة - إلى المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان استعمل عبارة مبهمّة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب، كل أثار غيرهم على كثير من بقية الآثار التي دمجها بنان الجاحظ . وقد أشرتُ إلى شيء كثير من هذا القبيل في الحواشي التي حُلّيتُ بها صفحات هذه الطبعة، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة وتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .

فعلياً أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثراً محسوساً ملموساً نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نثبات يراع الجاحظ . فهذا المسعودي - قد استحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطُرَّ لنقل حكم الجاحظ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل اكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢) .

وهذا البيهقي - هذا حذو المسعودي . ولكنه تحبّط عند ما نقل حكم الجاحظ والحديث الذي يرويه عن ألقاه إليه^(٣) .

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من النسخ (ج ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من النسخ (ج ٤) فيها، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و(حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

كتاب التاج

وهذا صاحب "محاسن الملوك". سطا على "التاج" فتقله كله تقريبا: تارة بالحرف وغالبا بالاختصار. وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه باسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها ^(١).

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها، كما يقول الجاحظ، قائما في العقل مُطَرِّداً في الرأي غير مستحيل في النظر ^(٢) - فإنها، والحق يقال، لم تصل بنا إلى حدّ اليقين الذي يحسن التسليم به والسكوت عنده، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذي تشج به الصدور. ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة، والمجج الظاهرة الساطعة، والشهادات القائمة الالامعة، التي ينتهى إليها العلم، ويقف عندها البيان.



وحينئذ فلا سبيل لإزالة الإبهام واستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا آستفتينا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب، لأن قولهما هو الفصل الذي لانقض فيه ولا إبرام. أعنى بهما: محمد بن إسحاق النديم، وأبا حيان التوحيدى الكاتب الشهير. فكان حقا علينا أن نسألهم، فعند جهينة الخبر اليقين.

١ - إن "كتاب الفهرست" الذى ألفه العلامة ابن النديم، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ فى ليبسك، مدينة العلم بألمانيا. ولكننا لانرى فيه شيئا عن الجاحظ، إلا من طريق العَرَض ومن باب الاستطراد.

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و(ح ٢) فيها.

(٢) كتاب "الحَيَوان" (ج ٣ ص ١١٧).

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالخافظ ؟

اللهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة . وقد ثبت ذلك مثل وصح النهار، بأمر ثلاثة :

أولها - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لأبن النديم^(٢) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإحصائي . لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "أخصي" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل ، وهو كما يرون . فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصي الرجل تعلم علما واحدا . نقله المصانفي . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك نسبته إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد" . فإن كان أخصاء الإحصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جاريناهم ؛ ولكننا دفعتنا إليهم العالق بأختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦، ١٢٧، ١٤١، ١٤٣، ٣١٥) ؛ ثم (ج ٢) حواشي (ص ١٧، ٨ و ٣٧، ٤٧، ١٣١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٣٥٠، ٣٨٨، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤١٩ و ٥٢٥) ؛ ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦، ١٤٠) ؛ ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦، ٢٢١، ٢٧٠ و ٣٧٦، ٤٣٢، ٤٣٥) ؛ ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩، ١٤١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤) .

ثانيها - أن الأستاذ هوتسما Houtsma عثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم^(١) (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا نُتفة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مُشاحة في أنها كانت مبنوثة في فصل كبير طويل.

ثالثها - (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورّاقه^(٢). ونحن نبحث على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبقَ بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفًا وافيًا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها. لذلك تعلّقت همتي بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أشرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراوندي، الناشئ، أبو علي الجبائي، الرماني، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ ج ٣) ن المجلة المذكورة (WZKM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيتُ أنا هذين الكتابين بخط ذكر يا بن يحيى، وبكتي أبي يحيى، ورّاق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكي جامع^(٢) ، والثانيتان في مكتبة الكويريلي^(٣) .

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تُبْطِ همتي ولم تُفقد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليظة جداً ، وبخط واضح في غاية الصحة والضبط . فتقاتها بالفتوغرافية وضممتها دُرة فاخرة إلى خزانة كتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على "الواسطى" المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الأسم واردة في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة . ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالي للكلام آخر تقدم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسمى الكتب المسمى بالتذكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة، وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هوتسما هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة، وفي جملتهم الجاحظ.

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بله في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثبينة . ولكن أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتنقيب : ” قَطَعْتَ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ ؟ ”

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمت من العناء، وأن أترصص إلى أن تُتيح لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست ” فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج ” أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تقييد الجاحظ ” . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء ” وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان ^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد استوعب فيه الكلام عن الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد استوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السُّمَّا من كَفِّ المتناول ” ؟ بل أين ” أين الثُّرَيَّا من يدِ المتناول ” ؟

(١) أنظر معجم الأدباء، (ج ٦ ص ٦٩٠، ٥٨) في ترجمة الجاحظ .

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

تترك جانبنا ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول :

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم : الفتح بن خاقان ، ومحمد بن الحارث الثعلبي (أو الثعلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراما شديدا . وكانت له خزانة حكمة لم ير الناس أعظم منها : كثرة وحسنا . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما آستكتبه الفتح نفسه ^(١) .

وقد كان يشمل برعايته كثيرا من أكابر العلماء ^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة . ومن كان في جملة المفضل بن سلمة اللغوي المعروف ^(٣) .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الخديوية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوافي بالوفيات (عن النسخة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله ^(١) . وللبخترى فيه مدائح كثيرة ،
هى من غرر ديوانه ^(٢) . وصنف جماعة منهم كتباً باسمه - أى قدموها إليه - ومن جملتهم
الجاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف باسمه "كتاب
القبائل الكبير" ^(٣) . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذى سياتى الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب آخلاق الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثمان وأسمتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .
(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أغلاط مطبعية كثيرة .
وايستأنف وطأت من الطراز الأول من حيث الصحة والوضوح .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا"، وبحسبنا. ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يألها الملوك والأمراء والوزراء والسادات. ونحن نعلم أنه كان فارساً مقدماً وأنه قتل أسداً، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحري.

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث.

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١). ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢). وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه: "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣).

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه.

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محرفاً عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢).

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست.

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل).

”الوافى بالوفيات“ لم يذكر أن للوزير كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“. لأنه ربما يكون قد فاتهم، هذا إن كان. ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح، أو لمحمد بن الحارث، أو للجاحظ.

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”أختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذى بأيدينا. لأن كتاب ”التاج“ يتضمن فى أوله وفى آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتوبيها بذكره، وينادى صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١).

ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذى ألفه محمد بن الحارث أو الجاحظ باسم الفتح، ثم نتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصل كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“. ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود فى النسخة المطبوعة^(٢).

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصدده.

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث التغلبى (أو الثعلبى) الذى يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“^(٣).

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير. وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الجاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج.

(٢) فى نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر. مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التى ثبت أنها من تأليف الكوفى. أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣).

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨).

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيراً ما نرى المتعاصرين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) واحد .

ولكنني أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

يبان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

تقف قليلاً عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حينئذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعالبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضح) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

كتاب التاج

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار المملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمدوه في طبع "المروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "المهرست" في ليبسك ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتبره برهانا حاسما في أن هذا الكتاب الذى بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فعمالوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل ارتياب وتبجل به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

الكتاب يدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير: أسلوب فيه حلاوة، وعليه طلاوة، وله رشاقة؛ أسلوب يتجلّى فيه الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، والطابع المتمكّن، والمعاني التي إذا طرقت الصدور عمرتها، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثناياه وأعطافه، وجدناه حاليا يعيون الكلم الروائع والفقر الحسان، والتنف الجياد، مما ينادى بأن صانعه الماهر، وصائغه الحاذق، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد، وربّ الكلام الذى له ماء

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها عريفا كثيرا . كما أشرنا إليه في إحدى الحواشى المتقدمة (ص ٤٣) .

ورونق، وفيه قرة العين وجلاء الصدور. تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصيارفة النثر والنظام وجهابذة المعاني.

والشاهد الصادق والحجة القاطعة على ما نقول تجليان في أجمل حلة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١).

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان. هنالك يذوق في كل سطر تلك الخلاوة ويتهمج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ"، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحببه إلى النفوس. هنالك نجد المني يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يحارى المعنى: بطريقة تهش لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب. هنالك نجد اللفظ كريما في نفسه، متحيزا إلى جنسه، متخيرا في نوعه. هنالك نرى الكلام سليما من الفضول، بريئا من التعقيد.

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا، ونترك للقارئ مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها.

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١:

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهوى، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه، ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته، ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل، ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن.

(١) في (ح ١ ص ٣٩) من هذا التصدير.

وفي صفحة ٢٤ :

لم يكن في هذه الطبعة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصير
ولا مؤوف ولا مرعى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا آبن صناعة ذنينة كآبن حائك أو حجام ، ولو كان
م الغيب مثلا .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرة إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يراخذه بركة إن سبته ، ولا بلفظة
إن غلبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .
والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن خلى ونفسه رعى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ
ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان من يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ ما به ، فأناله دونه ، وكان إذا شتم غضب
وأنصر ، وإذا تكلم ، أفصح وقل سقط ، فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أتاها وبقصد
فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، فبح في عزه وسلامته .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملونة من أحسن
ثوب في الأرض ، وقد أعم على رأسه رصافية بياض سوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر .
وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تضيء يده منه . فنظر إلى هيئة الالآت قلبه .
وكان جسيا ، فقال : "يا إبراهيم ! لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تصالح إلا لواحد من الخلق" . فأنصرف فلم
يأته حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حناته ، والرجل من حامته وبطالته : إما للحنانية في صلب مال ،
أو لحنانية حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلا ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يبقى ذلك في اللحظة والكلمة
والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نكنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنائيات وعند أول
بوادر الغضب .

للناظر

فأما الملوك وأبنائهم ، فليست تقاس أخلاقهم ولا يعاير عليها . إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه ، وبين سحره ونحره . فتطول بذلك المدة وتقرّبه الأزيمة ، وهو لو قتله في أوّل حادثة تكون وعند أوّل عشرة يعتبر ، لم يكن بين هذه القتلة وبين الأخرى بعدها بمشرين سنة فرق . إذ كان لا يخاف ثأرا ، ولا في الملك وهنا .

وفي صفحة ٦٦ - ٦٨ :

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له ، صغرت أم كبرت . فكم من فيل قد وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه ، وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته ، وكم من جارية كانت كريمة على قومها ، عزيزة في ناديتها قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء ، وكم من جمجمة كانت تصان وتعلّ بالمسك والبان ، قد ألقيت بالعراء ، وغيت جثتها في الثرى بسبب الحرم ، والنساء ، والخدم ، والأولياء ! ولم يأت الشيطان أحدا من باب قط حتى يراه بحيث يهوى منقسم اللحم والأعضاء ، هو أبلغ في مكيدته وآخرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب ، إذ كان من أطف مكايده وأدق وساوسه وأحلى تزيينه !

فعلى الحكيم المحب لبقاء هذا النسيم الدقيق ، وهذا الماء الرقيق ، أن يطلب دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلا ، ويدفع مقارفتها لكل شيء يقع فيه التأويل بين أمرين من سلامة تنجى أو عطب يتلف ، ولا يتكل على خيانة خفيت أو بفرة حظى بها أحد من أهل السفة والبطالة . فإن تلك لا تسمى سلامة ، بل إنما هي حسرة وندامة يوم القيامة . وكم من فعلة قد ظهر عليها بعد مرور الأيام وطول الأزيمة بها ، فردّت من كان تد أحسن بها الظن حتى تركته كأمس المذهب كأن لم يكن في العالم !

وفي صفحة ٧١ :

ومن حق الملك — إذا زامله بعض بطانته — أن يكون نازلا بمنازل الطريق وقطع المسافة ، دليلا بهدايته وأعلامه ومباده ، قليل التنازب والنعاس ، قليل السعال والعطاس ، معتدل المزاج ، صحيح البنية ، طيب المفاكهة والمحاذثة ، قصير المياومة والملايلة ، عالما بأيام الناس ومكارم أخلاقهم ، عالما بالنادر من الشعر والسائر من المثل . متظننا من كل فن ، آخذنا من الخير والشر بنصيب . إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة ، حدثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من القرب فرغبه فيما عنده . وإن ذكر النار ، حذّره ما قرب إليها . فزهده مرة ، ورغبه أخرى . فإن بالملك أعظم الحاجة إلى من كانت هذه صفاته . وبالحرى إذا أصاب هذا ، أن لا يفارقه إلا عن أمر تقطع به العصمة وتجب به التهمة .

كتاب التاج

ومن حق الملك ، إذا خرج لسفر أو نزهة ، أن لا يفارقه خلع الكساء ، وأموال للصلابة ، وسياط للآداب ، وقيد للعصاة ، وسلاح للعداء ، رحمة يكونون من ورائه وبين يديه ، ومؤنس يفضى إليه بسره ، وعالم يسأله عن حوادث أمره وستة شريعته ، ومعلم يقصر ليله ويكثر فوائده .

وفي صفحة ١٠٢ :

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه . وإنما هوشى ، ألقاه الشيطان في قلوبهم وأجراه على ألسنتهم ، حتى قالوا في نحو من هذا في البائع والمشتري : ” المنيون لا محمود ولا مأجور ” . فحملوا الجهالة على المنازعة للباعة ، والمشاغبة للسفلة والسوقة ، والمقاذفة للرعاع والوضعاء ، والنظر في قيمة حبة ، والأطلاع في لسان الميزان ، وأخذ المعايير بالأيدى .

وبالحرى أن يكون المنيون محمودا ومأجورا . اللهم إلا أن يكون قال له : أغنى . بل لو قالها ، كانت أكرمة وفضيلة ، وفعلة جميلة تدل على كرم عنصر القائل وطيب مرآة .
ولذلك قالت العرب : ” السرُّ التفائل ! ” .

وأنت لا تجسد أبدا أحدا يتفاؤل عن ماله إذا خرج ، وعن مبايعته إذا غبن ، وعن التقصى إذا بخش ، إلا وجدت له في قلبك فضيلة وجلالة ماتقدر على دفعها .

وقال في ص ١٤٣ ، عند رده على من وصف أبا جعفر المنصور بالبخل ، بعد أن أورد الدلائل والشواهد :

” نهل سمع هذا الجاهل الخائن يمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ” ولو أردنا أن نذكر محاسن المنصور ، ” على التفصيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار ” .

” وقبلها استعملت العامة وكثير من الخاصة التمييز ، لميثارا للتقليد . إذ كان أقل في الشغل وأدل على الجهل ”
” وأخف في المؤونة . وحسبك من جهل العامة أنها تفضل السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفونا ، ”
” والنحيف ذا فضائل ، وتفضل الطويل على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ماهو ، وتفضل ”
” راكب الدابة على راكب البغل وراكب البغل على راكب الحمار ، أقصارا على التقليد إذ كان أسهل في المأق ”
” وأهون في الاختبار ” .

أفليس هذه ديباجة الجاحظ ؟ وهلا ترى روحه سارية في هذه التراكيب الرشيفة الناصعة وتلك الأساليب الأنيقة البارة ؟

ثانياً - إن بعض المصادر التي عوّل عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "الجاحظ".

فقد أعتمد الجاحظ على^(١) ابن نجيم وعلى إبراهيم بن السّديّ^(٢) بن شاذك وعلى محمد^(٣) ابن الجهم^(٤) وعلى صباح بن خاقان .
وكذلك شأنه في النقل عن "كَلِيلَةِ ودِعْنَةِ"^(٥).

أما المداين والهيثم والشرقيّ بن القطاميّ، فالنقل عنهم كثير جداً في كل كتبه .
فلا تطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصددّه .

ثالثاً - إن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد . وهو أمر نشاهده أيضاً في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما تراه :

- (١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩) .
- (٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٤ ص ١٣٥ ، ج ٥ ص ١٠٣ ، ج ٧ ص ١١٩) وفي "البخلاء" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١ ، ج ٢ ص ١٢٩ ، ج ٣ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "العشق والنساء" (ص ١٦٧) .
- (٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البخلاء" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥ ، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٣٥ و ٢٤) .
- (٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦) .
- (٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨ ، ج ٧ ص ٢٩ ، ج ٣٠) .

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه الحكمة الشرب وكيفيته (ص ٨٩، ٤٩، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧، ١١٢، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦٨، ٦١)؛
 - ٧ - في دلالة على وجوب الاحتياط على الملك عند الدخول منه (ص ٧٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

رابعاً - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج":

ولعل قائل يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه لبس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النبط الأعلى . أنت تجد ذلك عياناً وتشهد عليه بياناً . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . والله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"البستان" لا تحتل أن تكون موضوعاً لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب"، أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتى ضن بها علينا الزمان ؟

خامسا - لأن مصنف "التاج" يقول في خطبته : "إنا ألفنا كتابا قبل كتابنا هذا فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة . وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب للملك من ذكر أخلاقها وشميها"^(١).

سادسا - إن المؤلف يعود فيؤكد ذلك بقوله : "فرأينا إذ أخطأنا في تقديمنا أخلاق أهل البطالة - وإن كان فيها بعض الآداب وما يحتاج إليه أهل الشرف من محاسن الأخلاق - أن تتلافى ما فرط منا بوضع كتاب في أخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها في أنفسها"^(٢).

فهذان نصان صريحان في أن الذي ألف كتابا في أخلاق أهل البطالة هو نفس الذي صنف كتاب "أخلاق الملوك" . ولا مَرِيَّةَ عند أحد في أن الجاحظ هو الذي صنف كتاب الفتيان وأخلاق أهل البطالة (كما يشهد به ياقوت والصفدي وابن شاكر) .



فوجب علينا حينئذ أن نجزم القول ونبرم الحكم بأن الجاحظ هو صاحب هذا الكتاب .

أما محمد بن الحارث التغلبي (أو الثعلبي) فلم يقل أحد قط إنه كتب شيئا في أخلاق الفتيان وأهل البطالة .

(١) أنظر كتاب التاج (ص ٣ س ٢ - ٤) .

(٢) أنظر كتاب التاج (ص ٤ س ١٠ - ١٢) .

وبناء على ذلك فليس يصح لإنسان أن يقول بعد الآن إن لهذا الرجل شأنًا ما
في الكتاب الذي تقدّمه اليوم إلى أهل الفضل والأدب .

وها نحن ، بحمد الله ، قد وفينا البحث حقه بما وصلت إليه طاقتنا وأنتهى إليه
وسعنا . ولم نأل جهدًا فيما شرطه الجاحظ (في البيان والتبيين ، ج ١ ص ٤) من
حيث الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول
عنه أفهم والنفوس إليه أسرع . والله ولي الهداية والتوفيق .

أحمد زكي

عن "الخزانة الزكية" بالقاهرة في سنة
جمادى الأولى ١٣٣٢
أبريل ١٩١٤

حاشية :

أرى من واجبي أن أذكر بالشكر المعاونة الثمينة التي بذلها لي صديق المفضل نعمت الله افندي البغدادى
المشتغل بمهمة المحاماة بالقسطنطينية . فقد جعل نفسه وفقًا على خدمتي ومساعدتي أثناء اشتغالي في عاصمة
اخلافة الإسلامية بجمع المواد التي كانت أساسًا لمشروع "إحياء الآداب العربية" . وكان في كل معاملاته
معى مثالا للإخلاص وعنوانا للأمانة . وله اليد الطولى في خدمة هذا الكتاب بنوع أخص . لأنه تفضل
وراجع بمزيد الدقة تجارب المطبعة على النسخة المحفوظة في آياصوفيا قبل أن تصان صورتها الفوتوغرافية .
فكان حقا على أن أسطر له آية من الشكر في تضاعيف هذا السفر .

أ . زكي

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظارة المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه وتصحيح مسوداته وتجاربه ، ثم آنقطعت لكتابة "التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة الأميرية الإذن بأعتماد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار ساقطت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير انتظار . فتمد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التعانف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب الميسو شيرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة مامعه من الأسفار ، فتصفّحتها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتباعي وسروري حينما عثرت في جملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرعْتُ فطلبتُ من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم لي تصفّح هذه النسخة الثالثة التي أسمىها "بالحلبية" .

راجعت هذه النسخة على طبعتي كلمة كلمة وخرنا حرفا . فألفت في "الخليية"
أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدت فيها بعضا من العبارات التي
اعتمدتها في طبعتي ، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الخليية"
من التحريف الذي قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد ، ولا عما تضمنته
من الحروف والكلمات الزائدة أو الناقصة ، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذي
يُعتنى منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التي فيها فائدة جوهرية ، أو قد
يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هي التي أكتفيت بتحريرها في باب
عنوانه باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحیحات" حتى يكون "التاج"
متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لي وصف النسخة السلطانية (سر) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة
آيا صوفيا (صر) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير ، فلا بد لي من أن أقول
في هذا المقام إنني أكلت كلاً من هاتين النسختين بالأخرى ، وأتعبت نفسي كثيرا
في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات ، ومن
تشويهاً وتبديلات وجهالات .

ذلك بأنني شمرْتُ عن ساعد الجسد ، وراجعت كتب الثقات ، وبذلت كل
ما في الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور ، حتى
جاءت طبعتي لكتاب "التاج" جامعة لكل ما جاء في النسختين المذكورتين على
قسطاس مستقيم ، فأصبحت وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق ،
ويستغني بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .



والآن أرى من الواجب تخصيص كلمة أخرى للتعريف بالنسخة "الحلبيّة" فأقول :
إنها موجودة في مجموعة تشتمل على كتابين ، وليس في أحدهما عنوان .

فأما الأول فيتضمن آداب الملوك ونصائحهم ، وأما الثاني فهو كتاب "التاج" .
على الصفحة الأولى من هذه المجموعة عبارة تفيد أنها دخلت في نوبة "نويدم
الفقراء" النقشبندية السيد أحمد نجل المرحوم المبرور الشيخ داود أفندي النقشبندی الخالدي عني عنها
في ١٩ شوال سنة ١٣٠٨ " .

وأنا أعلم علم اليقين أن هذه المجموعة قد دخلت بعد ذلك التاريخ في خزانة كتب
خالص بك من رجالات السلطان عبد الحميد الثاني المخلوع في عصرنا هذا . فإن
الخواجه شرمات وشركاه قد اشتروا هذه الخزانة أو معظمها منذ سنة أو أقل
من سنة من خالص بك المشار إليه .

وأعود لوصف نسخة "التاج" الموجودة في هذه المجموعة "الحلبيّة" فأقول
على وجه الإجمال : إنها تشترك مع (صـ) في كثير من الزيادات التي تضمنتها ،
وتشارك مع (سـ) في بعض العبارات التي انفردت بها . (وحيث أن هذه النسخة
الثلاث التي وقعت لي هي صادرة عن ثلاث أمهات أصلية متغايرة) .

أما هذه النسخة "الحلبيّة" فهي مكتوبة بقلم النسخ العادي الذي كان
مستعملا في القرن التاسع الهجري . وهي تقع في ١٠٥ صفحات ، في كل صفحة
منها ١٧ سطرا . ولكنها مبتورة من آخرها . ذلك لأنها تنتهي عند قول الجاحظ :

للإحاطة

”ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره وحكيته (كذا) مناقبه لحكيته عنه أخبارا كثيرة ، وهي من هذا الجنس وفيما ذكرناه كفاية . والله أعلم بالصواب“ .

فهذه العبارة هي الواردة في صفحة ١٧١ من طبعتنا . وإنما أضاف إليها النسخ الحلبي قوله ”والله أعلم بالصواب“ ليختم الكتاب . وعلى ذلك تكون النسخة الحلبية ناقصة ١٥ صفحة من طبعتنا ، أي ١٧ صفحة من النسخة السلطانية ، أي ١٣ صفحة من نسخة آيا صوفيا .

ومما ينبغي إعادة التنبيه إليه أن هذه النسخة خلو من العنوان . والأمر المهم فيها أنها تتضمن في الصفحة الأولى نسبة الكتاب إلى الإحاطة . فإنها مصدرة بعد البسملة بهذه العبارة :

”قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الجيدة أبو عثمان عمرو بن بحر الإحاطة رحمه الله“ .^(١)

والأمر الأهم فيما يعيننا أن آخر صفحة منها تتضمن اسم الكاتب لها وموضع نسخها والإجازة التي كانت بها . فقد ورد فيها مانصه بالحرف الواحد :

”بلغ المقابلة من هذا الكتاب بالمدرسة المعروفة بإنشاء الخواجه أمير حاج بن جنيد بآنفوس^(٢) بحلب المحروسة ، في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة . وكتبه عبد الله بن عمر الشافعي“ .^(٣)

(١) أنظر الرموز الفقهية في صفحة ٨١ وقد نقلناه عن الأصل بإذن صاحبه المير شمران .

(٢) بآنفوس (بفتح النون كما في ياقوت ، ولكن أهلها ينطقون به ساكنا الآن) هي قرية كبيرة كانت خارج سور حلب وفيها جامع قديم مشهور . وقد اتصلت العارة بينهما حتى صارت الآن جزءا من المدينة . ولا تزال بها آثار تلك المدرسة ولكن أطلالها دارسة ، ومعالمها طامسة . وهي من المدارس المهجورة . وأنظر الرموز الفقهية في صفحة ٨٣ وقد نقلناه عن الأصل بإذن صاحبه المير شمران .

(٣) كلمة ”الشافعي“ قرأناها بالتخمين . وفي كتابها إبهام كثير فلذلك لا أضمن صحة القراءة .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذلك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناها قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لى أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثشوسكى . وقد كان قابلنى بالقاهرة وفاوضته فى شأن "التاج"
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكى يعرف قومنا مقدار عناية الأفرنج بآثار أجدادنا وتفانيهم فى البحث عنها . وإنى
أشكره على هذه العناية ، وأهنيئته على بلوغه فى فن الإنشاء العربى هذه الغاية .

(كما تراه فى الصفحتين التاليتين)

جناب الاستاذ الفاضل والعالم المدقق الكامل
بعد الاحترام الوافر والسلام العاطر اعرض لمقامكم السامي انه قد
قضت عليّ الظروف بمغادرة مصر ليلاً باسرع وقت ولذلك لم اتجاوسر على
ارتجاع خاطركم الشريف فاذية حسب سابق الوعد . هاءنا ذا قد بسطت لكم
عذري والمذر عند كرام الناس مقبول

قد وصلت الى بيروت وتطول اقامتي ههنا شهراً او تزيد حسب
الظروف فان الرياح تجري بما لا تشتهي السفن ...

و بحثت في هذه الايام على قدر امكاني عن كتاب التاج الذي افسرتهوني
عن اكتشافه في محاورتنا الاخيرة ورايت ان له قدراً اهمّ مما كنت اراه
في الاول . وما وجدت كتاب التاج بين تاليفات الجاحظ ولكن صاحب الفهرست
يذكر كتاباً لابن المقفع تحت هذا العنوان (طبعة اوروب ١١٨٠٢٨) ولا يبعد
ان يكون مصدر الكتابين واحداً ومما يؤيد ذلك وجود كتاب بهذا الاسم
نفسه بين " الكتب التي ألفها الفرس في السير (راجع الفهرست ١١٥٠) "
وعلى هذا الوجه ربما يكون كتابا الجاحظ وابن المقفع مستنديين على
الكتاب المذكور . وهذا كما لا يخفى على ذهنكم الوقاد من الاهمية بكان
وكيفها كان الحال فليس بين ايدينا حتى الآن شيئ من كتابي الجاحظ
وابن المقفع اما كتاب التاج الفارسي فيذكره ابن قتيبة في معين
الانبار وقد جمع منفرقاته استاذنا المرحوم البارون روبرن قبل طبع

للحافظ

سيعون الاخير في مقالته المدربة في
Mélanges Asiatiques vol. VII, 1880, p. 444 et.
 المستشرق الروسي *Kratchkovsky* في رسالته التي طبعت حديثا في
Mémoires de l'Académie Impériale des sciences de St. Pétersbourg, VIII série, vol. VII,
 # 13, p. 26-28. ولعل هذا الكتاب نفسه هو الذي ذكره المسعودي
 في كتاب التنبية والاشراف (طبعة لندن 1760) وعلى كل حال ففتح
 في انتظار ظهور تقريركم المملول عن هذه الاكتشافات الجديدة ذات
 الاهمية ولا شك انه سيكون له عدى بعيد عند المستشرقين كما هو
 الجدير به .

وفي الختام التمس مصفرة من بنابكم على ازماجي ناظركم الشريف
 بهذه العجالة واطلب لكم من الله نجاحا وتوفيقا في امالكم كلجا التي
 تقدمون بها العلم خدمة فذكر فتشكر

ودمت محترما

Ign. Kratchkovsky

بروت في ١٢ شباط ١٩١٠

Beyrouth (Syrie)

Consulat Impérial de Russie

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى		محاسن الملوك		مروج الذهب	تنبيه الملوك
ح ١ ص ١٠٦	ح ٢ ص ١٠٨	ح ٨ ص ١٣	ح ٢ ص ٩٩	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٢ ص ١١٠	ح ٢ ص ١١٢	ح ٣ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٣	ح ٣ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٢ ص ١١٠	ح ١ ص ١١٢	ح ٢ ص ١٦	ح ٤ ص ١٢٤	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ١ ص ١١٢	ح ١ ص ١١٢	ح ٤ ص ٢٣	ح ٣ ص ١٢٥	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ١ ص ١٢٢	ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٢٧	ح ٧ ص ١٢٥	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٦ ص ١٢٦	ح ٦ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٣ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ١٢٧	ح ٣ ص ١٢٧	ح ٤ ص ٥٥	ح ٥ ص ١٢٦	ح ٣ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ١٣٤	ح ٤ ص ١٣٤	ح ٣ ص ٥٦	ح ١ ص ١٣٢	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٣ ص ١٦٨	ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ١٤٠	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٤ ص ١٦٨	ح ٤ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٤١	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ٢ ص ١٦٩	ح ٢ ص ١٦٩	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ١٦٠	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٦ ص ١٦٩	ح ٦ ص ١٦٩	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١٦٢	ح ١ ص ١١٢	
ح ٥ ص ١٧٠	ح ٥ ص ١٧٠	ح ٣ ص ٧٨	ح ١ ص ١٦٣	ح ٣ ص ١٣٠	
ح ٢ ص ١٧١	ح ٢ ص ١٧١	ح ٣ ص ٧٩	ح ٣ ص ١٧٥	ح ٢ ص ١٣١	
ح ٤ ص ١٧١	ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ١٧٥	ح ٣ ص ١٣٢	
ح ٣ ص ١٧٥	ح ٣ ص ١٧٥	ح ١ ص ٨٨	ح ٤ ص ١٧٦	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٤ ص ١٨٠	ح ٤ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٢ ص ١٨٠	ح ٤ ص ١٧٦	
ح ١ ص ١٩٧		ح ١ ص ٩٥			
ح ٢ ص ٦٥	ح ٢ ص ٦٧	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٦٩
ح ٢ ص ٦٧	ح ٦ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤	
ح ١ ص ٨٨	ح ٣ ص ٨٨	ح ٢ ص ٨٢			
ح ١ ص ٩٧	ح ١ ص ٩٧	ح ٥ ص ١٤	ح ٥ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٨
ح ٢ ص ١٠٠	ح ٢ ص ١٠٠	ح ٤ ص ١٦٩	ح ٤ ص ١٦٩		

بيان

الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة

مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[١] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكمل للثنى، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

ففيه تضمن تنبيهات وبيانات من عندى .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة
خمس.

الأرقام المكتوبة في العلية () على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى اعتمدتها في الطبع) .
أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير في أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقته وفهارسه ، فوضعتها في أعلى الصفحات مثل
المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

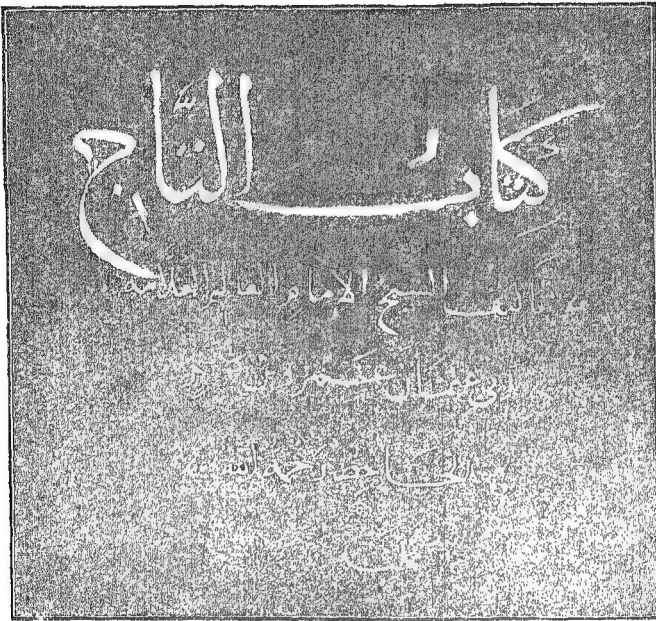
٣ — الحركات

» هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن » تدل على الشدة المفتوحة .
» » » » بكسرتين ، كما أن » تدل على الشدة بفتحتين .
عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت
هذه الألف في أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - و -) لئلا تكون ممنازة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة، وكذلك الحسا فى أوزان الأفعال، اللهم إلا إذا كان مما يمنحه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر، معتمدا على المصادر المعتبرة .

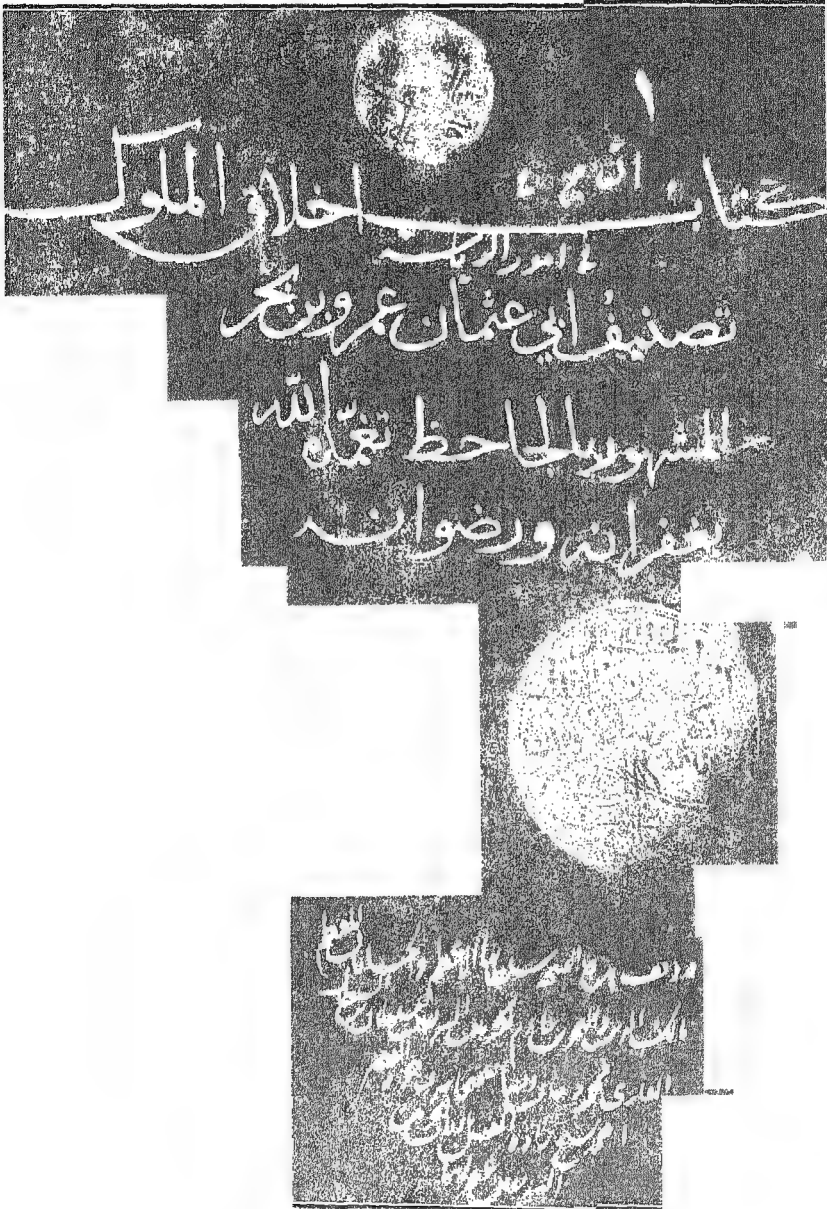


(الرموز الاول)

تمثل فيه طرة النسخة السلطانية (المرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سـ)

وهذه النسخة محفوظة بمخزاة طوب قيو بالقسطنطينية ، رقم ١٣٣ أدب .

كتاب التاج للمحافظ



(الرموز الثاني)

تمثل فيه طرة النسخة الثانية المحفوظة بمخزاة آياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة م. الموموز لها بحرف صـ في هذه الطبعة

الحمد لله الذي قتل أبو بكر عبيدك ومملكك ما كنت أخوه
منه وأراح آل ساسان من جبرته وعتوه وبخله ونكده
فانه بمن كان يأخذ بالحد ويقبل بالحق ويخيف البري ويحل
بالهوى فقال سبرويه للحاجب اجمعه الى الخيل فقال له
كم كانت أرزاقك في حياة أبو بكر قال كنت في كفاية من العيش
قال فكم زيد في رزقك اليوم قال ما زيد في رزقي شيء
قال فهل أوترك أبو بكر فأنصرت منه بما سمعت من كلامك
قال لا قال فماذا عمالك الى الوقوع فيه ولم يقطع عنك رزقا
ولا وترك في نفسك وما للعاية والوقوف في الملوك وهم
زعماء فأمروا بخرج أسانه من قفاه وقال له يحق ما يقال
إن الحرس خير من البيان بما لا يحسنون وحسن دني
صباح من خافان قال حدثني أبي أن أبا جعفر لما أتى برأس
أبي عبد الله عليه السلام فوضع يده عليه جاءه بعض أولئك
الذين يذبحون فصر به الرأس بمجرده فصار يذبح فقال له
المنه سوز المسبب ذوقه ففهمه فلدن المسبب انهم ثم قال له

(الرموز الثالث)

تتلى فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل،

ويقابلها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة).

الآن وعرفت فرضه فقلت آخذ سبعين وكل ثلثون قال شاكك فأنصرت
 بسبعين بدع وانصرف ملك الموت عن النار قال وكان المرشد
 في اخلاق ابي جعفر عظمها كلها الا في العطايا فانه كان يغير ان فعل
 ابي العباس والمهدي ومن اخبرك انه رأى يشرب الخمر الماء فكذب وكان
 لا يضر شربه الخمر الا خاص بجواريه ومن تطرب للشقاء فتحرك حركة بين
 المركبين في القتل والكره وهو من بين خلفاء بني العباس من عمل
 المغيثين مراتب فليقاس على ما وضعهم اشد شير وانفردان وكان
 ابراهيم واسماعيل وزلزل في الطبقة الاولى وكان زلزل يضر في نفسي
 عند ذنبيه والطبقة الثانية سليمان بن سلامه ومن الزلزال ومن
 اشبهها والطبقة الثالثة اصحاب المعازف والزنج والطنابير
 ومن قدر ذلك كانت خرج جوارهم وملاهم وكانوا في اول
 واحدا من الطبقة الاولى باناء الكفير الفطير جعل صاحبهم الذين
 سجد في المنع فسيبوا منه وجعل الطبقتين اللتين تليانه منه

(الراموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩،

ويقال لها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو النوايين المنيق والمقاصد الجيد
ابو عثمان عمرو بن عمر الجايط رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الايام وهو المولى
المجيب احمد على نتائج الآيه وتواضع لغايه وترادف في نفسه واستوفى في
ما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبهه وارواحنا
الذي جل عن الاجزاء والتبويض والحدود والقيود والركب والركوب والركوب
والثقله والرهو والالتصاف من حال الى حال لا اله الا الله العظيم
المتعال اما بعد فان الذي هدانا على وضع كتابنا هذا على ان
الله عز وجل لما خلق الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومنهم من
وخولهم من العباد كما وجب على عبادهم تعظيمهم وتوقيرهم وقصدهم
كما وجب عليهم طاعتهم والخضوع والخنوع لم فقال في حكم كرامته
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجاته وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اشترى
العامه وبعض الخاصة ما كانت تجمل الاقمار التي تجلب للملك ما عليها
وان كانت متمسكة بحبل الطاعة حصنها اذ ابا في كتابنا هذا لان بحمد الله

عياالك فهدت في العدة فقال كذبت فبنت وقال يا نفس من
 اين علم اني كذبت فافت سنة لا اجزي على كلامه ثم رفعت اليه
 رقعة اخرى في اجرا الرزق فقال كم عياالك فقلت اربعة فما
 صدقت فوقع في حاشيتي فخرى على عيااله كذا وكذا ولولا ان يطول
 الكتاب في اسرار ذكرك وسيمنا مناقبه طيننا عنه اجارا كثيرا
 وفي من هذا الجنس وما اخذناه كناية والله اعلم بالصواب
 في هذا الكتاب

(الراموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليّة

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعتنا)

کتاب التاج

للجاحظ

بمحقق احمد زکی باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.“

(١)
أَحْمَدُهُ عَلَى تَتَابُعِ آيَاتِهِ، وَتَوَاتُرِ نِعَمَائِهِ، وَتَرَادُفِ مَنَنِهِ، وَأُسْتَهْدِيهِ وَأُسْتَوْفِقُهُ لِمَا
يَرْضِيهِ وَيَرْضَى فِيهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، الَّذِي جَلَّ عَنْ الْأَجْزَاءِ
وَالْتَبَعِيزِ، وَالتَّحْدِيدِ وَالتَّمَثِيلِ، وَالْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ، وَالثَّقَلَةِ وَالزَّوَالِ، وَالتَّصَرُّفِ مِنْ
حَالٍ إِلَى حَالٍ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ!

”وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ وَنَجِيِّهِ! ابْتِغَاةً عَلَى قَرَّةٍ مِنَ الرِّسَالَةِ وَطُمُوسَ
مِنَ الْهَدَايَةِ وَدُرُوسَ مِنْ شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ“ لِيُنْذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكَافِرِينَ“ وَالْعَرَبُ تَبْدُ أَوْلَادَهَا وَتَسَافِكُ دِمَاءَهَا وَتَبَاوَحُ أَمْوَالَهَا وَتَعْبُدُ الْأَلَاتَ
وَالْعُزَى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى. فَصَدَعَ بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَدَعَا إِلَى مَعَالِمِ

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن صه.

(٢) الوارد في صه: ”تَنَارَحَ“. ولما كان السياق يدل على التناهب واستباحة الأموال، فذلك صححت
الكلمة بَرَدَّهَا إِلَى مَادَّةِ (ب وَح). قال في لسان العرب: ”وَالْإِبَاحَةُ شِبْهُ النَّهْيِ، وَقَدْ اسْتَبَاحَهُ أَيْ أَنْتَبَهَهُ“.
على أني لم أعر على هذا الحرف مستعملاً بصيغة التفاعل.

دينه، وجاء بما أعجز الخن والإنس أَنْ يَأْتُوا "يُمَثِّلُهُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا." فصلَّى الله عليه وعلى جميع المرسلين! وخصَّه بصلاة من نوافله دون العالمين! وعليه السلام ورحمة الله وبركاته! ^(١)

أما بعد،

فإن الذي حدانا على وضع كتابنا هذا معانٍ :

منها أن الله (عز وجل) لما خصَّ الملوك بكرامته، وأكرمهم بسيلطانه، ومكَّن لهم في البلاد، وخوَّهم أمر العباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيهم وتقريبهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم. فقال في مُحْكَم كتابه: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ." وقال عز وجل: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ."

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب للملوكها عليها - وإن كانت مُتَمَسِّكَةً بِمُجْمَلَةِ الطاعة - حَصَرْنَا آدابَهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا لِنَجْعَلَهَا قُدُوةً لَهَا وَإِمَامًا لَتَأْدِيبِهَا. ^(٢)

وأيضا فإن لنا في ذلك أَجْرَيْنِ : أما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل ماثل عنها وردَّ كل نافيٍ إليها.

ومنها أن سعادة العامة في تجميل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابك :

"سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة المالك."

(١) الفقرتان المحصورتان بين نجمتين * مأخوذتان عن ص -

(٢) في ص - لتأديبها.

ومنها أن الملوك هم الأئس، والرعية هم البناء، وما لا أئس له مهذوم.
ومنها أنا ألقنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة.^(١)
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضع ولا خامل؟

بل قال تعالى حكاية عمن مضى منهم: "وَرَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا
السَّيْلَا." وقال تبارك اسمه: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ."
وقال جلّت عظمته: "وَأَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ."
وقال جلّ وعلا: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ."
وقال تقدست أسماؤه: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعَزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً."

وقال تبارك وتعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."
وقال عز وجل، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعشى خلقه وأشدّهم عنوداً
وصدوقاً عن أمره: "ادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى."

(١) فسرّها في صـ بالشجاعة. وحينئذ تكون بمثابة اللفظة Héroïsme عند الفرنسيين.

(٢) في صـ: طبعنا.

فليفتهم الحكماء هذه الأعجوبة التي وصلت عن الله تبارك وتعالى! فإن فيها حكمة عجيبة وموعظة بليغة وتنبأ لمن كان له قلب .

حدثنا أصحابنا عن شهابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح ^(١) عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسًا" قال: كنياه ^(٢).

وإنما أمرهما بذلك لأن الملوك - وإن عصى أكثرها - فمن حقها أن تدعى إلى الله بأسهل القول وألين اللفظ وأحسن المخاطبة. فإذا كان هذا حكم الله في العاصي من الملوك والذين أدعوا الربوبية وجمدوا الآيات وعاندوا الرسل، فما ظنك بمن أطاع الله منها، وحفظ شرائعه وفرائضه، وقبّل مقام أنبيائه، وجعله الحجة بعد حجته، وفرض طاعته حتى قرّنها بطاعته وطاعة رسوله، صلى الله عليه وسلم؟

فرائسنا - إذ أخطأنا في تقديمنا أخلاق أهل البطالة، وإن كان فيها بعض الآداب وما يحتاج إليه أهل الشرف من محاسن الأخلاق - أن نتلافى ما فرط منا بوضع كتاب في أخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها في أنفسها، وأن نخص بوضع كتابنا هذا الأمير الفتح بن خاقان مولى أمير المؤمنين: إذ كان بالحكمة مشغوفاً، وعلى طلبها متابراً، وفيها وفي أهلها راغباً، ليسبق له ذكره ويحيا به اسمه، ما بقي الضياء والظلام. وبالله التوفيق والإعانة!

(١) في ص: حدثنا أصحابنا عن مقدم عن ابن أبي نجيح. وكلهم من رواية الحديث |

(٢) في هامش ص: "وكان له ثلاث كنى: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة". وأنظر كتب التفسير.

وأنظر "المستطرف في كل فن مستظرف" للأشبهي (ج ٢ ص ٤٤).

الفاتحة^(١)

* وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصِفَ أخلاقه ، بل نعيِّرُ عن نهاية ما يجب له لو رُمنا
شرحها . وأيضاً فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكلف وأغور ذهن
وأحد فكر ، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم ، ولا يُحيط بها فكر . وأنت تراها
تتردّد من أول ملكٍ ملك الدنيا إلى هذه الغاية . ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى ،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلاً ، وبالجمس معارضةً .^(٢)

ولعل قارئاً يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين
من آل ساسان وملوك العرب : " قد ناقض واضح هذا الكتاب ، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية . " فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك^(٣)
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عياناً وتشهده عينك
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سيرة من مضى وسيرة من شاهد .
وبالله التوفيق ! *

(١) وضعنا هذا العنوان لل فقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص .

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : وشهد عليك بيانا .

باب

في الدخول على المملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

(١) إن كان الداخل من الاشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا ينأى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً. فإن استنداه، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبلها. ثم تتحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أومأ إليه بالعود، قعد؛ فإن كلمه، أجابه بأنخفاض صوت وقلة حركة. وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظارٍ أسير.

الايواساط
سلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائياً عنه. فإن استنداه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها. ثم وقف أيضاً. فإن استنداه، دنا نحواً من دُتوه الأول، ولا ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك جارحة. فإن ذلك، وإن كان فيه على الملك معاناة، فهو من حقه وتعظيمه.

(٢) وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه - وكان له طريق عن يمينه أو شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً للملك. فإن سكت عنه، أنصرف راجعاً من غير سلام.

(١) أى الداخل.

(٢) صم: نثت.

(٣) هكذا في سم، صم. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نر وجهاً لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صم: عن.

ولا كلام. وإن استندناه، دنا خطي وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استندناه، دنا خطي أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، فعد مقيما أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع القهقري، فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو مسلك لا يجاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبع والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطي ويعانقه، ويأخذ بيده فيقعه في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحسه حفظه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومضى ١٠ فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت ضغائن بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادى والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للبوار وداعية إلى التجارب.

وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفته الانصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطي يسيرة، ١٥ ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سنن: "مقنعا" بدون إيراد "جاثيا"، التي تليها. وأقع الرجل رأسه نصبه أو لا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طرفة موازيا. (قاموس). وأنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب.

(٢) ص: الشريعة.

(٣) ص: خدمه.

وعلى هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم. وهذه السياسة أخذهم أردشير بن بابك، فلم تزل فيهم حتى ملك كسرى أبرويز فغيرها. فكان مما اعتد عليه شيرويه، أبته، في ذكر مثالبه ومعاليه.^(١)

وقد قلنا إن من حق الملك أن لا يطيل أحد عبده القعود. فإن أخطأ مخطئ في ذلك، فمن إذن الملك له بالانصراف أن يلحظه. فإذا عرّف ذلك فلم يقم، كان من يحتاج إلى أدب، وكان الذي وصله بالملك ظالمًا له ولنفسه.

(١) أبرويز هذا كاتبه الذي يدعو للإسلام فزق كتابه وقال: "يكتب لي هذا، وهو عدي؟" فدعا عليه النبي بمزريق ملكه. استبدّ فارس فوشب عليه أبته شيرويه (وهو أيضا شيرى) فحبسه وأرسل إليه بنى عليه ما أرتكبه من المثالب والمعايب في رسالة "خشنة يقطر منها الدم في تقريره بأفاحيه"، ثم قتله. وأرسل شيرويه بعد أن جلس على سرير الملك كتابا إلى النبي في جملة: "أما بعد فإنني قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجهيرهم في غورهم" [وتجهير العساكر حسبهم في أرض العذر وعدم إرجاعهم إلى وطنهم]. هذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبته سوى ستة أشهر فأتى بأفاض المؤرخون في وصفها. ومن غريب الانفاقات التي لاحظها كتاب العرب أن الملك الذي يقتل أباه لا يمضى عليه في الملك سوى ستة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، وكما حصل للمتصر العباسي.

ومن غريب الانفاقات أيضا أن المتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالماخورة الذي قتل فيه شيرويه أباه كسرى أبرويز، وأن المتصر جلس في بعض الأيام على بساط فاجر مزدان بالقشور. ومن جملة ما فيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحتها ما تعريه: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز الملك. ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضا صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومكتوب عليها ما تعريه: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل ابن عمه الوليد. ملك ستة أشهر". وقد أمر بعض المقرئين بإحراق هذا البساط النفيس حتى لا يفتن الخليفة لما فيه من العبرة، ولكن أبى الله إلا أن يكون ثالث الثلاثة. (النفاصيل في "غرر أخبار الفرس" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والطبرى سلسلة ص ١٠٤٣، ١٠٦١، ١٠٧٤؛ وسلسلة ص ٣ ص ٤٩٦؛ وآبن الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والمسعودي ج ٧ ص ٢٩٣ وما يليها؛ وفي "الحجاسن والمسارى" ص ٥٩٢-٥٩٣). وفيه أيضا أن أبرويز انتقم لنفسه قبل أن يموت فوضع شفا في حقة وكتب عليها ما يغري الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رآها شيرويه تعاطى منها فكانت علته التي أعقبا هلاكا (ص ١٣٨) [وأظفر ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) في سر، ص: "فمن إذن له الملك بالانصراف أن يلحظه". وقد صححت الرواية ليستقيم الكلام.

باب في مطاعمة الملوك

تخفيف
بمحاضرة

ومن حق الملك - إذا تبدّل مع أحدٍ وأنس به حتى طاعمه - أن لا ينسبط بين يديه في مطعمه. فإن في ذلك خلافاً مذمومة:

منها، أن أنسا طاهه يدل على شرهه؛

ومنها، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز؛

ومنها، أن فيه جرأة على الملك ببسط اليد ومدّها وكثرة الحركة.

١

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد، إلا أن يكون الآكل كميّسة التراس أو حفص الكيال^(١)، الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط. فأما أهل الأدب وذوو المروءة، فإنما حظّهم من مائدة الملك المرتبة التي رفّعهم إليها والأنس الذي خصّهم به.

(١) أورد المسعودي هذين الأسمين هكذا: "ميسرة التراس" و"حاتم الكيال". وسمى طابع الإيشي أوّلها "ميسرة البراش". وقد أوردنا، هما والراغب الإصفهاني، نوادر كثيرة لطيفة لمشاهير الأكلة نكتة تكسب بالاشارة إلى مواطنها للرجوع إليها. ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب، فهم: أبو الحسن بن بكر العلاف الشاعر، أبو العالية، أبو مروة، أحمد بن أبي خالد الأحمول، أحمد بن أبي دؤاد، إسحاق الحماني، بسرة الأحمول، بلال بن أبي بردة، الجاج بن يوسف الثقفي، حفص (أو حاتم) الكيال، درواس، دوزق القصاب، وهمان، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي)، العادل الأيوبي (سلطان مصر)، عبيد الله بن زياد بن أبيه، عمرو بن معد يكرب، قاسم القار، قف الملقم، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي، مزود، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي)، ميسرة (البراش أو التراس أو القار)، هلال بن الأشعر، هلال بن سعد المازني، هلال بن مسعر التيمي، وزوجته، الواثق (الخليفة العباسي). (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦؛ و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢ و ج ٦ ص ٢١٥-٢١٨، و ج ٧ ص ١٧٠، و ج ٨ =

- * قال: وحديثي إبراهيم بن السندی [بن شاهك] عن أبيه، قال: دخل شاب^(١) من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه، وقال للفتى: أدته. فقال الفتى: قد تغديت، فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن خطاه. فلما نهض للخروج، أمهله، فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه. فلما رأى الحجاب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا^(٢) الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إن الربيع لا يقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة، فإن شئتم أغضيتهم على ما فيها، وإن شئتم سألتهم وأنتم تسمعون. قالوا: فسأله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يسلم من بعيد ويبصر. فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة^(٣) المرتبة التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت. "وإذا ليس عنده لهن^(٤) أكل مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع. ومثل هذا لا بهومة القول دون الفعل".

= ص ١١٠، و"كتاب العلاء" للحافظ ص ٢١٥ و ٢١٦، و"الأغاني" ح ٢ ص ١٨١ - ١٩٠، و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧؛ والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للويري، و"المستطرف" ح ١ ص ٢١٤ و ٢١٥، و"مطلع البدور في مازل السرور" ح ٢ ص ٥٧، و"محاضرات الراغب" ح ١ ص ٣٩٢، و"الطبرى سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"نذائع الزهور" لأبي إياس (ح ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرشبي ح ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأغاني" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردها). هذا وقد صنف المداين كتاباً في "أحبار الأئمة" ذكره "صاحب المهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إليها سوى اسمه فيما أعلم.

- (١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورده شعراً.
(٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي | كما في "المحاسن والمساوى".
(٣) أي الفتى. | وروى الجاحظ هذه الحكاية مهددة الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨ |
(٤) أي الخليفة.

(٥) هذه الفقرة المحصورة بين العجمتين * مقولة عن صه. وقد أوردها صاحب "المحاسن والمساوى"

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحرّاني^(١)، قال: "كنتُ أحضر على ما تئذ إسحاق^(٢) ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أنحى الأبرد والناقدى. فكنتُ أعدُّ على مائتته ثلاثين^(٣) طائراً. فأما الخُلُوف والحامض والحارز والقاز، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرأ من ذلك كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما نكسر الخبز بأظفارنا. "قلتُ: فما كان يُنشطكم؟ قال: لا، ولو فعل ما فعلنا، قال: فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى ننتهب.

وكذلك يجب للملوك أن لا يشره أحدٌ إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف إلى رحله: إلا أن يكون الأكل أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه، أو من أشبه هؤلاء، ويكون أيضاً ممن يقصر بعد الأكل ويُطيل المنادمة، ويجعل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء.^(٨)

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والنهم، أخرجوه من طبقة الجد إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير.

(١) سم: عبد الرحيم. ورواية صه ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلاً بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والوائق وهو الذى سيرد ذكره كثيراً في هذا الكتاب.

(٣) سم: "الحرّاني قال كنت أعد على مائدة ثلاثين". والتكثير عن صه.

(٤) صه: والبارد.

(٥) أى: نصيب منه. يقال: إنه لقليل الرزق. من الطعام أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) يئسه.

(٧) صه: "هؤلاء ولا يكون إلا من يقيم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة وباختصار في "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد الملوك للشرف وللشرف".

والملك - وإن بسط الرجل ل طعامه - فمن حقه على نفسه وسحق الملك عليه أن لا يترك استعمال الأدب ولا يميل إلى ما تهوى طبيعته، فإنه من عرف بالشرة، لم يجب له أسم الأدب؛ ومن عرف بالنهم، زال عنه أسم التمييز.

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضبطه نفسه، إذا رأى ما يشتهى من بسطه لها.

وحسب الرجل ^(١) - إذا أتحفه الملك بـ تحفة على مائدته - أن يضع يده عليها. فإن ذلك يحزنه ^(٢) ويزيد في آدابه ^(٣).

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقها ^(٤)، نظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك وبينها عداوة؟ فقال له الحسن: هل كان بينك وبين أمها قرابة؟ ^(٥)

(١) صم: ويجب على الرجل.

(٢) أى يكفيه.

(٣) أورد صاحب "تجاسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك. (ص ٢٩)

(٤) سم: "بين يدي سيد جليل دجاجة".

(٥) صم: "وبين أمها".

وقد روي هذه الحكاية صاحب "المستطرف" وعلق عليها بقوله: "أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر

مجالس الملوك، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة". (ج ١ ص ٢١٣)

(٦) نعدى رجل مع بعض الرؤساء، فقدم إليه جدياً، فجعل يمين فيه. فقال له الرئيس: إنك لتزقه حتى

كان أباه نطحك! فقال له: وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك. فحجل وأقطع. (أنظر "مطالع البدور

في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات .
في عاصمتها
قواعدها

إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا قَدْ قَرِحَ فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَمَعَاوِيَةُ لَمْ يَقُلْ هَذَا الْقَوْلَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْتَظُّ عَلَيْهِ قَدْرَ الدَّجَاجَةِ .

فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَكْتُبُ إِلَى أَطْرَافِهِ وَعَمَّالِهِ وَإِلَى زِيَادٍ بِالْعِرَاقِ بِإِطْعَامِ السَّابِلَةِ وَالْفُقَرَاءِ وَذَوِي الْحَاجَةِ ، وَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعُونَ مَائِدَةً يَتَقَسَّمُهَا وَجْهُ جُنْدِ الشَّامِ ؟ وَلَكِنْ عِلْمُ أَنْتَ مِنْ حَقِّ الْمَلِكِ تَوْقِيرَ مَجْلِسِهِ وَتَعْظِيمَهُ . وَلَيْسَ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ مَدُّ الْيَدِ وَإِظْهَارُ الْقَرَمِ وَشِدَّةُ النَّهْمِ وَطَلَبُ التَّشَبُّعِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ وَبَحْضَرَتِهَا . وَعَلَى هَذَا كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعْلَاجِمِ مِنْ لَدُنْ أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابَكٍ إِلَى يَزْدَجَرْدَ .^(٣)

اختبار سابور
رشته القضاء

وَيُقَالُ إِنَّ سَابُورَ ذَا الْأَكْتَفِ ، مَاتَ مُوَبَّدَانُ مُوَبَّدٌ ، وَصُفِيَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ كُورَةِ إِصْطَخَرَ ، يَصْلُحُ لِقَضَاءِ الْقَضَاةِ فِي الْعِلْمِ وَالتَّأَلُّهِ وَالْأَمَانَةِ . فَوُجِّهَ إِلَيْهِ . فَلَبَّأَ قَدِيمًا ، دَخَلَ عَلَيْهِ . وَدَعَا بِالطَّعَامِ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ . فَذَنَا فَاكُلْ مَعَهُ . فَأَخَذَ سَابُورُ دَجَاجَةً فَخَصَّفَهَا .

(١) معناه جرح . وفي سره : " قدح " .

(٢) هو زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته . وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ والأدب . (وأنظر " العقد الفريد " ج ٣ ص ٢ - ٦) . وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة الأرائل ومسامرة الأواخر) . وللداعي كتاب في أخباره ، وكتاب في ولده ودعوته (عن الفهرست ومعجم الأدباء لباقوت) . وللهيثم بن عدي كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية ، وذلك تصحيف من الناسخ أو الطابع ، وإلا فلا خلاف في أنه زياد ابن أبيه .

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرهما ، وطائفة تقول بالرايتين . والصواب الكسر دون سواه ، وهو الذي أعنده الإمام الذهبي في كتاب " المشبه في الأسماء " ، وكذلك العلامة رشاد صُنِّفَ في معجمه الفارسي " العربي الإنكليزي " .

(٤) تعريب شاه بور . وسماه العرب ذا الأكتاف لأنه آتصر عليهم فخلع أكتافهم .

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام . وبقيت وظيفة المويد أي القاضي إلى أواخر الدولة العباسية ، للقيام بأمر المحجوس الذين دخلوا في الذمة .

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه. ثم أومأ إليه أن كُل من هذه، ولا تَحْلِطْ بها طعاماً، فإنه أمرأُ لطعامك وأخفُ على معدتك. وأقبل سابور على النصف، فأكل كتحو ما كان يأكل. ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر، وسابور بالحظه.

- ٥ فلما رُفعت المائدة قال له: ودّع وأنصرف إلى بلدك! فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون: "من شَرِه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية والسوقه (أ) (ب) والوضاء أشدَّ شَرهاً." فلم يستكفِه على ما كان أحضره له. ومن حقَّ الملك أن لا يرفع أحدٌ إليه طرفه، إذا أكل، ولا يحرك يده منه في صحفة. ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كلِّ رجلٍ صحفةٌ فيها كالذي بين يدي الملك من طعامٍ غليظٍ أو دقيقٍ أو حارٍّ أو قازٍ، ولا يخصَّ الملك نفسه بطعام دون أصحابه. ١٠ لأن في ذلك ضَمَّةٌ على الملك ودليلاً على الاستئثار.

(١) في سر: لم يستكفه. وأصلها محرفة عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمزونة العمل، وكثيراً ما يستعمل الجاسوس وغيره، استكفاء بمعنى ولاه [انظر البيان والبيان ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة "الكفاة" وهم العمال أهل القدرة على العمل والنهوض به. [انظر ص ٥٠ ص ١١٠ من هذا الكتاب]، ومنها أيضاً "كافي الكفاة" لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عدي ١٥ ابن حاتم (وهو صني) في وليمة كانت لهم: قَفْ بالباب، فأجَبَ من لا تعرف وأدْخَلَ من تعرف. فقال: والله لا يكون أثرُ شيءٍ استكفِه من الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخفاجي ص ٩٢). هذا وربما يجوز أن تكون محرفة عن "يستكفه" أي "يجده كفواً". والذي في ص: "فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن يغسل ويحدد". [وليس للجملة بقية، وهي متبورة وشبهة، كما ترى].

- ٢٠ (٢) وردت هذه القصة بحروفها ماعداً بعض ألفاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد". وهي مختصة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وتول فيه عليه". ووردت أيضاً متبورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠).

- (١) ومن حقّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرة يديه من خاصته وإطانته، إلا أن يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقدينا ما يجب لأولئك أنفا.
- (٢) ومن العدل أن يُعطى الملك كلّ أحد قسطه، وكلّ طبقة حقّها؛ وأن تكون شريعة العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه رعايتها والمناورة على التمسك بها؛ وإيناس الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى يسوّى في ذلك بين الملوك والنمط الأوسط والعامة.
- (٣) وليس أخلاق الملوك كأخلاق العامة، وكانوا لا يشبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضعة. فأما الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويحفلون عن هذا المقدار.
- (٤) ومن حقّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلّ من الخاف بها حتى يتواروا عنه بجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.
- (٥) ومن قوانين الملك أن يكون منسديل غمّره كمنديل وجهه في النقاء واليباض، وأن لا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يُجدّد.

غسل اليد بحضرة الملك

إيناس الملك المدعوي



مباينة الملوك لمن سواهم

قيام الملك عن الطعام

منشفة الدفء

(١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.

(٢) في سره: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في صه.

(٣) في سره: "لا يشبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في صه.

(٤) أراد "الحائرين" فوضع المفرد في موضع الجمع، باستعمال "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلاغ.

(٥) في سره: "غمّره" بالمهمل. وصوابه بالمعجمة، والغمّ بالتحرّك زخّ اللحم وما يعلق باليد من دسمه. وهو يماثل ما نسميه الآن في مصر: فوطة الدفء. وليست هذه العبارة واردة في صه.

ومن حقّ الملك أن لا يُحدّث على طعامه بحديث جدّ ولا هزيل. وإن ابتدأ بحديث، فليس من حقّه أن يعارض بمثله. وليس فيه أكثر من الاستماع لحديثه، والأبصار خاشعة.

ولشيء ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قدّمت موائدهم - زمزموا عليها، فلم ينطق ناطقٌ بحرفٍ حتّى تُرفع. فإن اضطروا إلى كلام، كان مكانه إشارة وإيماء يدلّ على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا.^(١)

(١) الزمزمة: ترأّطُ العالج على أكلهم، زهم صموت، لا يستعملون لساناً ولا شفة في كلامهم؛ لكنّه صوتٌ تدّيره في خياشيمها وحلقوها، فيفهم بعضها عن بعض. وقد زمّزم العليج، إذا تكلف الكلام عند الأكل، وهو مطبقٌ فيه. وقال الجوهري: الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم. زاد ابن الأثير [في النهاية]: بصوت خفيّ (عن تاج العروس). وذلك يرادف قول القرنيسين Marmotter.

قال في مروج الذهب: "ذكرنا أن كيو مرث هو أول من أمر بالسكوت عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء. وتسكر النفس عند ذلك، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يودّي إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام. فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها. وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التغذية إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك، فأضر ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية. وإذا كان ذلك دائماً، أدّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميزة الفكرية لهذا الجسد المرقّ. وفي ذلك ترك للحكمة وخروج عن الصواب." (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك.

وبمناسبة الزمزمة، نرى ما حكاه ابن النديم في كتاب "الفهرست" (ص ١٩) عن الجاحظ في "البيان والتبيين" إن "الزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد، جلس خطيبهم على ما علان الأرض وأطرق، وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة، فيفهم عنه الباقر. قال الجاحظ: وإيما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه. والله أعلم."

وكانوا يقولون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم. فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويسفل رُوحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جراحة بقسطها من الطعام، فيغتذى بها البدن والروح الحيوانية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، أغتذاء تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل كثيرة هي في آيينهم تركها ذكراً، إذ كانت ليست من جنس كتابنا هذا.

(١) صه: وفي ترك الكلام فضائل.

(٢) الآتين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها. ومعناها القانون والعادة. (وأظهر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف التواط في تصحيح ما استعمله العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط" مانصه: "آتين بمعنى العادة. وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة. أعجبني عرب المولدون. وفي الكشف: ليس من آيين الملوك استراق الظفر." وعلى هامشه السيد نور الحسن مانصه: "أي في سورة النمل. قيل لدى القرنين: بيت على العذرة! فقال: ليس من آيين الملوك استراق الظفر. وقال مهياري في قصيدة له:
يجمع الخريت حولاً أمره * وهو لم يأخذ لها آيينه"

وهاتان المبارتان منقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للنجاشي. والخريت هو الدليل البصير بالطريق. وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والآراك. وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف رتشارد صن مانصه:

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called شرع). Mode, form, manner.

ولكن المقفع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست. وكلام النحاط هنا يدل على كتاب بعينه ضمنه الفرس مجموع القوانين والنواميس والعادات والأصطلاحات المقررة عندهم. وإلى "آيين الأكامرة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحديثي بعض المحدثين قال: قال بعض الأمراء وأظنه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي]، إذا كنتم عنده؟
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن آستماع، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عيني،
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.
قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصر كل رجل عما لا يشتهي، حتى يأتيه بما يشتهي. قال: ثم يؤتى بالحيوان،
فيتضايق ويتسرع، ويقصر ويمجهد. فإذا استغنى، خوى تخوية الظليم ثم أكل أكل^(٣)
الخالع المقرور^(٤).

قال: والجارود هذا هو الذي قال: "سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخلل^(٥) العسل^(٦)".

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً. وهو أول من جازى في القضاء. كان يقول: إن الحصين يتقدمان^(٧) إلى فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر، فأقضى له. (محاضرة الأرائل وسامرة الأواخر). وكان مع ذلك كريماً مدحه ذرة الزمة والخطبة. وأظن ترجمته في خزنة الأدب البغدادى (ج ١ ص ٤٥٣)، وله في "الأغاني" و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسهما).

(٢) الهذلي البصري. صدوق. توفي سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب للمافظ المسقلاني ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد" وفهرس الطبري.

(٤) في الأصل وهو صر: فشاهدنا.

(٥) الخو والحواء: الجوع. والخوى والحواء خلوا الجوف من الطعام. وخوى وخوى وخو: شاع

عليه الجوع. وخوى الطائر تخوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). وأمل هذا المعنى الأخير هو الذي أراد به الجاحظ، لأنه في كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة ونقص في الألفاظ والمعاني (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمتين * * منقولة عن صر.

باب في المنادمة

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

ومن أخلاق الملك أن يجعل نداءه طبقات ومراتب، وأن يُحَصَّ وَيُعَمَّ، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات.^(١)

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه، ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الحد والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المثقن.^(٢)

وهذه أخلاق الملوك أن يحضرهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حالٍ جد إلى حالٍ هزل، ومن ضحك إلى تذكير، ومن هوى إلى عظة.

فكل طبقة من هذه الطبقات ترفع مرةً وتُحَطُّ أخرى، وتُعْطَى مرةً وتُحْرَمُ أخرى، خلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعة المرتبة وإعطاء القسط من الميزة والنصفة عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها.^(٣)

(١) كذا في ص، سم. [والسياق يقضى معنى المراتب.]

(٢) ص: والنبل.

(٣) ص: المفتى. قال في "محاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى اصطناع الرجال كحاجته إلى اصطفاء الأموال، وجب أن يفتقر لمسامرته من يكون طبيب الأعراف، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب الملهي كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجِدِّ لما هو بصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) ص: المرتبة.

وليس من حقِّ الملك أن يَرَحَّ أحدٌ من مجلسه إلاَّ لِقضاء حاجة. فإذا أراد ذلك، فمن الواجب أن يلاحظه. فإن سكت الملك، قام بين يديه ثم لاحظته. فإن نظر إليه، مضى لحاجته. فإذا رجع، قام مائلاً بين يديه أبداً، وإن طال ذلك، حتى يُومئ إليه بالتعود. فإذا قعد، فقمعاً أو جائياً. فإن نظر إليه بعد قعوده، فهو إذنه له بالتمكُّن في قعوده.

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها، إنما هذا إلى الملك. إلا أن من حقه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفه له، ولا يجاوز به حد طاقته ولا وسع استطاعته، فيخرج به من ميزان القسط وحد القصد: لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه، وهو يجهد إلى إحيائها سبيلاً.

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته، حرصه على إحياء نفسه، إذ كان بهم نظامه.

وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني محصورة، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً، لأنها داخلة في أخلاق الملوك.

(١) كذا في س، صـ "يرح أحد من مجلسه" بتعدي يرح بمن. والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه. على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يُعدُّون هذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا. فقد ورد في التبريزي "لم يرح من مكانه" و "ما برحت من مكان كذا" (شرح الحماسة للخطيب التبريزي طبع أوربـه ص ١٦٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بأرح من بابها" (ج ٢ ص ١٣٧). وفي "الحامس والمساوي" قوله: لا أرح من بغداد (ص ١٩٣). وأنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب.

(٢) سـ: قعد مقعاً. وأنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب.

(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لابي الفرج الأصفهاني. فقد توفى الجاحظ سنة ٥٢٥ هـ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦. ولا بد أن الجاحظ يعني كتابا للفرس أو سقرا آخر =

ولنبداً بملوك الأعاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعندهم أخذنا قوانين الملك
والملكة وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حفظها والاقتصاد
على جدليتها.

كان أردشير بن بابك أول من رتب التمداء وأخذ بزمام سياستهم، فعملهم
ثلاث طبقات:

== من أسفار الأغاني التي كانت متداولة في صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني في مقدمته .
هذا وقد أشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) إلى كتاب الأغاني ولم يقيده بشيء آخر
من حيث ذكر المؤلف أو غيره . فلهذا هو نفس الكتاب الذي يشير إليه الجاحظ . لأن المسعودي فرغ من
مروج الذهب في سنة ٣٣٦ أي قبل وفاة أبي الفرج الاصفهاني بعشرين سنة . وهو لم يعرف المسعودي
ولم يشير إليه ولا إلى مؤلفاته مطلقاً في كتبه التي بلغتنا .

ويتلخص ما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني في هذا الموضوع : أولاً — أن إبراهيم بن المهدي
المعروف بأبي شكلة (وهي جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً في الأغاني . وهو أول كتاب
في هذا المعنى وصلنا خبره ، غير الذي يشير إليه الجاحظ والمسعودي ؛ ثانياً — أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلي
وإسماعيل بن جامع وقلج بن العراء فلقوا له كتاباً في الأغاني وضمنوه المائة الصوت المختارة ؛ ثالثاً — أن
كتاب هؤلاء الثلاثة وقع إلى الواثق ، فأمر إسماعيل بن إبراهيم الموصلي بتأليفه وتوسيعه . وقدرى صاحب الأغاني
(أعني أبا الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسماعيل بن الموصلي بل هو مصطنع عليه ومنسوب إليه ، وأورد حججاً تؤيد
ذلك في مقدمة كتابه . ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه .

(١) "ص : وعندهم أخذنا آيين المملكة" [وانظر الحاشية ٢ ص ١٩ و ص ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب .]
(٢) هذه الكلمة وردت في سه مهمة من النقط هكذا : "حد لها" . وفوقها كلمة "كذا" .
وقد اعتمدنا رواية صه . وفيه تفسيرها بقوله : "شأ كتبها" . وهذا التفسير منقول عن القاموس .

(٣) من هنا إلى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" في ص ٢٩ من هذا الكتاب نقله المسعودي في "مروج
الذهب" بالحرف الواحد تقريباً ، ولم يشير إلى أنه نقل هذه البيانات عن التاج الجاحظ . وقد جرى هو وغيره
على هذه العادة في كثير من البارات ، كما ستره فيريد عليك من الحواشي . وقد زاد في هذه العبارة التي نحن
بصددها ألفاظاً تريد المعنى وضوحاً ، وضم إليها معلومات أخرى . (انظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢

ص ١٥٣ — ١٥٩ ، وطبع بولاق سنة ١٢٨٣ ج ١ ص ١١٧ — ١١٨)

(١) فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم يطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

- ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصير ولا مؤوَّف ولا مرمى بأُنبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم الغيب مثلاً.

- وكان أردشير يقول: "ما شئ أضرَّ على نفس ملك من معاشره سخيِّف أو مخاطبة وضيع. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب الحسيب، كذلك تنفسد بمعاشره الدنيء الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويُرِيها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مزت يطيب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرَّت بالثنتين فحملته أَلِمَتْ له النفس وأضرَّ بأعلاقها إضراراً تاماً." (٢)
- ١٠

(١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم المرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (الصاح) [حاشية عن صـ]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم": إن العجم لاتضع آمم أسوار إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: 'chevalier'.

(٢) هذه الكلمة وردت في صـ فقط. ومعناها مصاب بأفة.

(٣) الأنبنة: العيب. (فاموس)

(٤) هذه العبارة منقولة عن آبن المقفع في "الادب الصغير" وفي "كلیلة ودمنة".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النُّسَّاك وسَدَنُهُ بيوت النِّيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأطباء والكُتَّاب والمنجِّمون؛

والقسم الرابع الزُّرَّاع والمِهَّان وأضرابهم. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئٌ أسرع في انتقال الدول ونحراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يرفع الوضيع إلى مرتبة الشريف، ويخطَّ الشريف إلى مرتبة الوضيع".

مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثلها

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحداقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خطَّ الاستواء.

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطائته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه: خص.

(٢) أردشير بن بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب الملوكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبذ يعني كبير القضاة الشهر اليوم بقاضي العسكر. (عن محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر)

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهمة. وهو أيضا الخادم والعبد. وجمعه يكون حينئذ "مُهَّان" مثل كاهن وكهَّان وصانع وصنَّاع]. وعلى هذا الوجه الثاني ضبطها في صه.

(١) وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب
 (٢) (٣) الونج والمعازف والطناير، وكان لا يَزُمُّ الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من
 المُعَنِّين، وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتجَّ عليه،
 وقيلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يَزُمَّ على المُعَنِّ إلا من كان معه
 في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن يتقلوا أحدا من طبقة وضبعة إلى طبقة

(١) في سه، صه، وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة. والعرب يقولون بتشديد النون. وهي الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل
 إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس، ومفاتيح العلوم للخوازمي). وروى في كتاب الملاهي بيتا
 للأعشى، وهو:

١٠ ومُسْتَقِي صِينِي وَوَنَّ وَبَرَّيْطُ ۖ يجاوبه صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَمَّيَا

وقال صاحب شفاء الغليل: "إن الونج هو عود الطيب، معرب". فأنظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد
 عود الطرب. فصحفها الناصح وفات الطابع.

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختصر"، لأبن سيده (ص ١١ - ١٥)،
 فنعرف أن الطنبور والطناير من الأسماء المعروفة عند العرب [قلاع الفرس]. أما ما زعمه العلامة دوزي من أنهم
 أخذوا هذا الاسم عن اللغة السلتيّة Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

أولا - ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:

"من الطناير يزهي صوته يمل في لحنه عن لغات العرب تعجيم."

ومعلوم أن العرب أبدعوا فتح الأندلس في سنة ٩٢ هـ. ولا يمكن سبع سنوات أو ثمان لانتقال اللفظ
 من أقصى الغرب إلى بداية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأرضاه الناس منه.

٢٠ ثانيا - إن الاسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربي بأداة
 التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شائعا عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقي في لغتهم بهذه الصورة
 العربية. وهذا رأى الأستاذ لياردى الطلياني في معجمه المسمى Le parole italiane derivate
 dall'arabo وهو رأى راجح، أي دناه بشرح صحيح، ليدرى فتح فصيح، نبت في المهامير الفصح، ومات
 بين القيصوم والشيخ. (أنظر ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثّر فيه ، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى ، فيأبى ذلك . حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمرأوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول : إن كان ضربى بأمر الملك وعن رأيه ، فإنه سيرضى عني إذا صحا ، بلزومي مرتين .

١٩

معاينة أردشير
لنفسه لمخالفتها
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمناذمة . فأحدهما يُملّ^(٢) والآخري يكتب حرفاً حرفاً . وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الحجاب ، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره ، دعا بالزامر نخلع عليه وجزاه الخير ، وقال : "أصبحت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به . فهذا ثواب صوابك . وكذلك العقوبة لمن أخطأ . وعقوبتي أن لا نرمزم اليوم إلا على خبز الشعير والخبز . " فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما .

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سنتهم وحفظ نوااميسهم وأخذ العامة بالسياسة التامة والأمر اللازم .

(١) جمع مذبة . وهي آلة تطرد الذباب ، وهي التي نسميها في مصر بالمنشدة . أما المأوح فمروقة ، وأنظر تفصيلاً شافياً عن أنواعها في أيام الدولة العباسية وما بعدها في كتاب "مطالع البدور في منازل السورور" .

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صم : يبل .

(٣) سم : "فهذا صواب هذه ثمرة" . وهي رواية صحيحة تشابه التي اخترناها في المتن عن صم

لأنها مختصرة مفيدة .

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جور بن يزدجرد^(١)، فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران على ما كانت، وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنيين ورفع من أطربه - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة الأولى، وحط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية. فأفسد سيرة أردشير في المغنيين وأصحاب الملاهي خاصة. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان، فرد الطبقات إلى مراتبها الأولى.

وكانت ملوك الأعاجم كلها من لدن أردشير بن بابك إلى يزدجرد تحجب عن الندماء بستارة. فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعا. لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع.

وكان الموكل بحفظ الستارة رجلا من أبناء الأساورة يقال له "نحرم باش"^(٢). فإذا مات هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الأساورة وسُمي بهذا الاسم. فكان "نحرم باش" إذا جلس الملك لندمائه وشغله، أمر رجلا أن يرتفع على أعلى مكان في قرار دار الملك ويفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول: "يا لسان! احفظ رأسك، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك!" ثم ينزل.

(١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للتمالي (صفحة ٥٤٤).

(٢) ترجمته: "نحرم ناش". وصحفتنا عن صم وعن المسعودي الذي قال: "وتفسير ذلك: كن فرحا."

(٣) في صم: "يرفع". والتصحيح عن صم وعن المسعودي.

(٤) صم: "يعرب". والتصحيح عن صم وعن المسعودي.

(٥) صم: الرأس.

فكان هذا [فَعَلَهُمْ] في كل يوم يجلس فيه الملك لِلَّهِوْه، ولا يجترئ أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره، حتى تُحْرَك الستارة، فيَطْلُع القائم عليها فيؤمر بأمر فينفذه، ويقول: اِفْعَلْ يا فلان كذا، وتُغْنَى أنت يا فلان كذا وكذا.

وكان الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: إطراقا وإخبارا وسكوت طائر وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حتى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «من كانت له منكم حاجة، فليكتبها في رُقعة وليرفعها قبل شُغْلِي فأفهم ما فيها»

(١) صه: يفيض.

(٢) سم: تحوّل الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. (وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن الجاحظ.)

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثليين ونظيرين. وفي سم: في نصاب واحد.

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سم، صه هنا [ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب]. والذي يستفاد مما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" وفي "التنبيه والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك النبط، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والتمالي. والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة "الأحمر" تحريف من الناصح للفظه "الأصغر".

(٧) سم: تنقل.

ويخرج إليه أمرى، وعقلى صحيح وفكرى جامع. "فَمَنْ سَأَلَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ حَاجَةً، ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ هَذَا. وَكَانَ لَا يَزِيدُ سَائِلًا، وَلَا يُعْطَى مُبْتَدِئًا. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَلَكَ بِهَرَامٍ جُورٌ، فَكَانَ يَقُولُ لِلنُّدَمَاءِ: "إِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ طَرَبْتُ وَخَرَجْتُ مِنْ بَابِ الْحِلَّةِ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ، فَاسْلُوا حَوَائِجَكُمْ." وَكَانَ يُؤَكِّلُ بِحَوَائِجِهِمْ صَاحِبَ السُّتَارَةِ. فَكَانَ إِذَا سَكِرَ، مَدَّ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ بِرِقَاعِهِمْ، فَأَخَذَهَا صَاحِبُ السُّتَارَةِ، فَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ. فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَصَمَّهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَمَى بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَيَقُولُ: "أَنْفِذُوا كُلَّ مَا فِيهَا." فَكَانَ ذَلِكَ رُبَّمَا بَلَغَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سُؤَالٍ فِي إِقْطَاعِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنٍ أَوْ طَلَبِ مِئْثَةٍ ^(١) أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَبَاعًا.

وكان إذا رفع أحدهم في رقعته ما ليس يجوز لمثله - وهو خارج من حد القصد ^(٢) وأدخل في باب الإفراط - لم تُقَصَّ له حاجة، وسمي جاهلا. ولم تؤخذ له رُقعة بعدها أبدا.

ثم لم يكن ذلك بعد في أخلاق الملوك من الأعاجم والعرب حتى ملك يزيد بن عبد الملك. فسوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأفسد أقسام المراتب، وغلِبَ عليه اللهو، واستخفَّ بآيين المملكة، وأذن للنُّدَمَاءِ فِي الْكَلَامِ وَالضَّحْكَ وَالْهَزْلِ فِي مَجْلِسِهِ ^(٣) والرَّدِّ عَلَيْهِ.

وهو أول من سُتِمَ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ عَلَى جِهَةِ الْهَزْلِ وَالسَّخَفِ.

(١) سم: "مئثة". وهي المنحة أيضا.

(٢) سم: ودخل.

(٣) سم: بقوانين. (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ وص ٢٣ وص ٧٧ من هذا الكتاب) ٢٠

(١١)
قلت لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للنساء والمغنين؟
أحوال المؤمنين في الشرب واللهو

(١) في صه : لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي . (وأبو، زائدة ولاشك) .

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها . فتقصيت كل من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" ممن عاصر الجاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين : أحدهما (وهو الذي يتبادر الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصيت البعيد في الفناء والأدب والرواية ؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي (حاكم بغداد في أيام المأمون والمتعصم والواثق) وهو من أرباب المكانة العالية في الأدب والرواية وقد فناء .

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصعبي ، لأنه من ذوى قرابة طاهر بن الحسين ، قاتل الأمين . وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من خراسان ، ولم يحضروا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها . يعرف ذلك كل من عانى التاريخ الإسلامي . فكيف يكون إسحاق المصعبي قد شهد مجلس الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجوائز والصلوات ؟ (أنظر ص ٣٤ من هذا الكتاب) .

أما إسحاق الموصلي فاشبهه بأن يكون هو الراوي للخبر ، لولا أن عبارة الجاحظ مضطربة مشوشة بحيث إنها لو بقيت على حالها كما هي واردة في صه ، (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أى بدون علامات الترقيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه . وذلك لأن القصة تضمنت خبراً فيه تحقير لأبيه وتصفير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنتهي بخبر عن إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤) . وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحدث عنه ، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه . وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً ونفراً ويرفع له رأسه تها وكبرا . كيف لا وفيه أن المأمون ضم إسحاق وقبلة . فكان المعقول والمتحتم أن يقول الراوي مدلاً معجباً : "فضمى وقبلني" .

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم . يرجع أول عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٣١٠ . فقد روى إمام المؤرخين واقعة إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع الهادي (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥) . والخبر بنصه تقريباً وارد في عبارة الجاحظ (ص ٣٦) . لكن الطبري رواه بصيغة الغائب وصدره بقوله : "وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره" . وكذلك روى صاحب "الأنغاني" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمين (الوارد في حديث الجاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً ، أحدهما عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأنغاني ج ٩ ص ٧١) . والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحدث عن نفسه في "العقد القريذ" لأبي عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦) .

قال: «وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ وَمَرْوَانُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ وَهَشَامُ وَمَرْوَانُ»
 «وَأَبْنُ مُحَمَّدٍ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّدْمَاءِ سِتَارَةٌ. وَكَانَ لَا يَظْهَرُ أَحَدٌ مِنَ النَّدْمَاءِ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ»
 «وَالْخَلِيفَةُ، إِذَا طَرِبَ لِلْمَغْنَى وَالنَّدَى حَتَّى يَنْقَلِبَ وَيَمْشِي وَيَحْرُكُ كَتْفَيْهِ وَيَرْقُصُ»
 «وَيَتَجَرَّدُ حَيْثُ لَا يَرَاهُ إِلَّا خَوَاصَّ جَوَارِيهِ. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرْتَفَعَ مِنْ خَلْفِ السِتَارَةِ»
 «وَصَوْتُ أَوْ نَعِيرَ طَرِبٍ أَوْ رَقْصٍ أَوْ حَرَكَةٍ بِزَفِيرٍ تَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ، قَالَ صَاحِبُ السِتَارَةِ:»
 «وَحَسْبُكَ يَا جَارِيَةَ! كَفَى! إِنْتَهَى! أَقْصَرَى! يَوْمَهُمُ النَّدْمَاءُ أَنَّ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ بَعْضُ»
 «الْجَوَارِي.»

«وَأَمَّا الْبَاقُونَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَحَاشَوْنَ أَنْ يَرْقُصُوا وَيَتَجَرَّدُوا»
 «وَيَحْضُرُوا عُرَاءَ مُحَضَّرَةِ النَّدْمَاءِ وَالْمَغْنَى. وَعَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا»
 «وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْحُجُونَ وَالرَّقِيتُ مُحَضَّرَةُ النَّدْمَاءِ وَالتَّجَرَّدُ:»
 «مَا يُبَالِيَانِ مَا صَنَعَا.»

== وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه باستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه مما يتفق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والاستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفته
 نفسه كما هو المدهود في كل كتبه وقصائيفه، عاد إلى الحديث الأصلي مستعملاً لفظة "قال" تنبيهاً للقارئ
 إلى رجوع ما أقطع ووصل ما أقفل وأستثافا لما حدث به إسحاق بن إبراهيم (الموصلي). فحيناً كان المقام
 يدعو الجاحظ للكلام عن نفس إسحاق (صاحب الحديث)، وضع لفظة "ويقال". فيذكر من عنده خبراً عن
 نفس إسحاق بصيغة الغائب المحذّر عنه. أما إذا عرض للجاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصلي شيئاً
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظة
 "رهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، عبّر بقوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان".
 فذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين "كل سطر من السطور التي ورد فيها كلام دلتى السياق
 والبحث والاستقصاء، على أنه من حديث إسحاق بن إبراهيم الموصلي للجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندى أنه من حشو الجاحظ واستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

قلت: فعمرو بن عبد العزيز؟

(عمرو بن عبد العزيز)

قال: «وما ظن في سمعه حُرْبُ غناء، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا.»
«فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل.»
«وكان ربما صقق بيديه، وربما تترغ على فراشه وضرب رجله وطرب. فأما أن»
«ويخرج عن مقدار السرور إلى السخف، فلا.»



قلت: خلفاؤنا؟^(١)

قال: «كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم احتجب عنهم بعد سنة.»^(٢)
«أشار بذلك عليه أُمّ سيد بن عبد الله [الخزاعي]. وكان يطرب ويتنهج ويصبح من»
«وراء الستارة: «أحسنْتَ والله! أعدْ هذا الصوت! «فيعاد له مراراً، فيقول في كلها:»
««أحسنْتَ!» وكانت فيه فضيلة لا تجدُها في أحد، كان لا يحضره نديم ولا مُغن»
«ولا مُلهٍ فينصرف إلا بصلية أو كسوة، قلت أم كثرت، وكان لا يؤخر إحسان»
«مُحسِنٍ لغدٍ ويقول: «العجب ممن يُفرح إنساناً، فيتعجل السرور ويحفل ثواب من»
«سره تسويفاً وعدة!» فكان في كل يوم ليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحد من»
«حضره إلا مسروراً. ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله، غير أنه يُحكى عن بهرام جور»
«ما يُقارب هذا.»^(٣)

أحوال العباسيين
في الشرب والبهو
(السفاح)

(١) صه: خلفاء بني العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب. «ج ١ ص ٢١٦»

(٣) كان من الثائمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدّمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر الفهارس في الطبري وفي آبن الأثير)

(٤) أورد صاحب «محاسن الملوك» ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

(٥) فارت ذلك بما نقله صاحب «مروج الذهب» (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(ص ٢٥) «فأما أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء.»
 «وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلهما، فإذا غناه»
 «المعنى فأطربه، جرت الستارة بعض الجوارى فأطلع إليه الخادم صاحب الستارة»
 «فيقول: قل له: "أحسنت! بارك الله فيك!" وربما أراد أن يصفق بيديه، فيقوم عن»
 «مجلسه ويدخل بعض حجر نسائه، فيكون ذاك هناك. وكان لا يثيب أحداً من ندمائه»
 «وغيرهم درهماً، فيكون له رسماً في ديوان، ولم يقطع أحداً ممن كان يضاف إلى ملهية»
 «أو صحك أو هزل موضع قدم من الأرض. وكان يحفظ كل ما أعطى واحداً منهم»
 «عشر سنين ويحسبه ويذكره له.»

* وكان أبو جعفر المنصور يقول: «من صنع مثل ما صنع إليه، فقد كافأ، ومن أضعف،

كان مشكوراً، ومن شكر، كان كريماً، ومن علم أن ما صنع فإلى نفسه صنع، لم يستبطئ
 الناس في شكرهم ولم يستردهم في مودتهم، ولا تلتبس من غيرك شكر ما أتيت به إلى
 نفسك ووقيت به عرضك. وأعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن
 مسألتك، فأكرم وجهك عن رده.»^(١)

(ص ٢٥) «وكان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء، متشبهاً بالمنصور نحواً من سنة.»

«ثم ظهر لهم، فأشار عليه أبو عوف^(٢) بأن يحتجب عنهم، فقال: «إليك عني، يا جاهل!»

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين** مقولة عن صه، وهي استطراد أجبتني من موضوع الحديث.

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة

العباسية، ومن قواد أبي مسلم الخراساني. وكان له بلاء حسن في تمهيد الأمر لبني العباس. دخل بجنوده

دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدي إلى مصر عند هربه إليها، وفيها قتله. ربق فيها

ومعه السلاح والأموال والرقيق. فولد عليها أبو العباس السفاح مرقين: الأول من شعبان سنة ١٣٣ =

«ولمّا اللذة في مشاهدة السرور وفي الدنو من سرّي. فأما من وراء وراء، فما خيرها»
 «ولدتها؟ ولولم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلّا أني أعطيهم من السرور»
 «بمشاهدتي مثل الذي يعطوني من فوائدهم، جعلت لهم في ذلك خطأ موقراً». وكان»
 «كثير العطايا، يواترها. قلّ من حضره إلّا أغناه. وكان لينّ العريكة، سهّل الشريعة،»
 «ولذيذ المنادمة، قصير المناومة، ما يملّ نديماً ولا يتركه إلّا عن ضرورة، قطيع الخنا،»
 «وصبوراً على الجلوس، ضاحك السنّ، قليل الأذى والبذاء.»

«وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سيّئ الظنّ. قلّ»
 «من توقّاه وعرف أخلاقه، إلّا أغناه. وما كان شيئاً أبغض إليه من ابتدائه بسؤال.»
 «وكان يأمر للفتى بالمال الخطير الخزيل، فيقول: «لا يُعطيني بعدها شيئاً»، فيعطيه»
 «وبعد أيام مثل تلك العطية.»

= إلى سنة ١٣٥٠. وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض القضاء التي محلها الآن جامع ابن طولون. وبني
 هو هنالك دار الإمارة ومسجداً عرف بجامع العسكر. ولذلك سمي المكان كله باسم العسكر من ذلك الوقت،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة. ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦٠. ولكن الخليفة مات، بجاء أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة. فأقام
 أبو عون برفقة شهرًا. ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الخوارج. فهزمهم وقتل منهم جماعة غفيرة،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس. ثم تولّى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التقليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧٠. وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاث سنين وستة أشهر. وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الراوندية. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، استعمله على خراسان سنة ١٥٩ ثم عزله عنها سنة ١٦١. (أنظر
 الأغاني وآبن الأثير وأبي الحسن تقي بردي، في فهراسها)

(١) صه : وافرها.

(٢) سه : قصر المياومة والملايلة.

(٣) سه : النظر.

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذُ بن الطبيب
 وكان أوَّل يوم دخل عليه مُعَاذُ (١) وكان حاذقا بالأغاني عارفا بها: مَنْ أَطْرَبَنِي اليَوْمَ
 مِنْكُمْ فَلَهُ حُكْمٌ. ففَنَّاهُ ابنُ جامع غِنَاءً لم يَحْزَرْكَ، وكان إبراهيم قد فهم غرضه ففَنَّاهُ:

سَلِّمِي أَجْمَعَتِ بَيْتَا. * فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا؟ (٢)

فطَرِبَ حَتَّى قامَ عن مجلسه ورفع صوته، وقال: "أَعِدْ بالله، وبِحَيَاتِي!" فأَعَادَ،
 فقال: "أَنْتَ صَاحِبِي فَأَحْتِكُمْ" فقال إبراهيم: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَاطَ عبدُ المَلِكِ بنِ
 مَرْوانَ وَعَيْنُهُ الحَزَارَةَ بالمَدِينَةِ! قال: فَدارَتْ عَيْنَاهُ في رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتَا كَأَنَّهُمَا
 جَمْرَتَانِ ثم قال: «يا ابنَ الخَنَاءِ! أَرَدْتَ أَنْ تَسْمَعَ العَامَّةُ أَنَّكَ أَطْرَبْتُني، وَأَنْتَ حَكَمْتُكَ
 فَأَقْطَعْتُكَ! [أما والله] لولا بَادِرَةٌ جَهْلِكَ التي غَلَبَتْ عَلَيَّ صَحِيحَ عَقْلِكَ وفِكْرِكَ،
 لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ!» ثم سَكَتَ هُنَيْمَةً. قال إبراهيم: فَرَأَيْتَ مَلِكَ المَوْتِ قائِماً
 بِلَبْنِي وَبِهِنَسِهِ يَنْتَظِرُ أَمْرَهُ. ثم دَعَا إبراهيمَ الحَزْرَانِيَّ، فقال: «خُذْ بيدَ هذا الجَاهِلِ،
 فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ المَالِ، فليأْخُذْ مِنْهُ مَا شَاءَ!» فَأَخَذَ الحَزْرَانِيُّ بِيَدِي حَتَّى دَخَلَ بِي بَيْتَ

(١) صبه: مَنْ.

(٢) "تقولها" هنا مثل "تظنها" معنى وعملاً. وقد تحرفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.

وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردها الطبري أيضاً (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل. وهي غير
 واردة في الأغاني، وإنما هناك حكاية أخرى وفيها الأبيات بكلمها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)

(٣) أي بسستان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق مائه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

(٦) هو عدل هارون الرشيد. وكان من ندماء الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير
 أنه كان قياً على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الأغاني ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بدره. فقال: دعني أوامرته. قلت: فأخذ تسعين.
قال: حتى أوامرته. قلت: فثمانين. قال: لا. فأبى إلا أن يأمره، فعرفت غرضه،
فقلت له: أخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأنك! قال: فأنصرفت بسبعائة ألف،
وأنصرفت ملك الموت عن الدار.^(٣)

قال: ^(٤) «وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمثلها كلها إلا في العطايا»
«والصلوات والخلع. فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي. ومن خبرك أنه رآه»
«قط وهو يشرب إلا الماء، فكذبته»^(٥) «وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه. وربما»
«طرب للغناء فتحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة.»

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للغنمين مراتب وطبقات، على نحو

(١) البدره في الأصل جلد السحلة (أي ولد الضائنة أو الماعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا
أسمها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البدره كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم
أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.
(٢) في سـ، صـ: شارك. وفي الطبري: «قال الآن جئت بالحق، فشانك!» (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)

(٣) أورد صاحب «مخاسن الملوك» هذه القصة بأختصار ألفاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى هذه الحكاية كلها للؤلؤ.

(٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن «إلا» هنا معناها
«غير»، كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذي أرادته محدث الجاحظ: لو خبرك
إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب شراباً غير الماء، فاعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما
يشرب بحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار
بذلك عنه | وانظر ص ١٥٣ من هذا الكتاب | يؤيد ذلك ما وقع له مع آبن بخيشوع بشأن السمكة التي
منعه الطبيب من أكلها. (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعيون الأنباء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأتوشروان. فكان إبراهيم [الموصلى] ^(١) و[إسماعيل أبو القاسم] ^(٢) آبن جامع وزلزل [منصور الضارب] في الطبقة الأولى. وكان زلزل ^(٣) يضرب، ويُنقى هذان عليه.

(١) الاسماء والكُنى والالقب الموضوعة بين [] في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان زلزل هذا ممن يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد. وقد أشهر في أيام المهدي والهادي والرشد. ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين، فأشتهرت باسمه: وأشتهرت المحلة الكائنة فيها باسمها. قال فيها فطويه النحوي:

لو أن زهيراً وأمرأ القيس أبصراً * ملاحه ما تحسويه بركة زلزل،
لما وصفا سلسي ولا أم جندي * ولا أكثر ذكر الدخول قوئل.

وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

غضب عليه الرشيد فحبسه سنين. وكانت أخته تحت إبراهيم الموصلى، فقال إبراهيم فيه:

هل دهرنا بك عائد يا زلزل * أيام يبيننا الصدو المبطل،
أيام أنت من المكاره آمين * والخير متسع علينا مقبل؟
يا بؤس من فقد الإمام وقربه! * ما ذا به من ذلة، لو يعقل؟
ما زلت بعدك في الموم مزهدا * أبكى بأربعة كأي مشكل.

فرضى عنه الرشيد وأخرجه من الحبس. (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣ و ٢٥٢؛ وأنظر شفاء الغليل للنفاجي ص ١١٧، والأغاني ج ١ ص ٢٢)

(٣) أي أصحابه الاتحان وهما إبراهيم الموصلى وآبن جامع. والذي جاء في الأغاني " (ج ٥ ص ٤٠) أن إبراهيم الموصلى وزلزل وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلزل ورم برصوما وغنى إبراهيم:

صحا قلبي وراغ إلى عقلي * وأقصر باطلي ونسيت جهلي.
رأيت الغانيات، وكن خورا * إلى صرمتي وقطعت حيلي.

فطرب هارون حتى وثب على رجله وصاح: يا آدم! لو رأيت من تحضرني من ولدك اليوم، لسكر! ثم جلس =

والطبقة الثانية سُليم بن سلام ^(١١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمرو الغزال ^(١٢) ومن أشبههما.
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والونج والطناير، وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم. وكان إذا وصل واحدًا من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيبًا منه، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضًا
نصيبًا. وإذا وصل أحدًا من الطبقتين الأخرين بصلة، لم يقبل واحدٌ من الطبقة
العالية منه درهما، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه.

قال: ^(٣) وفسأل الرشيد يومًا برصوما الزامر، فقال له: يا إسحاق! ما تقول في ابن
جامع؟ فحك رأسه [و] قال: نَحْمُ قُطْرُبَ، يعقل الرجل ويذهب العقل. قال: “
فما تقول في إبراهيم الموصلي؟” قال: بستان فيه خوخ وكثيرٌ وتَفَاح وشوكٌ وخزوبٌ.
قال: فما تقول في سليم بن سلام؟ فقال: ما أحسن خضابه! قال: فما تقول
في عمرو الغزال؟ قال: ما أحسن بنائه! ^(٤)
قال: وكان منصورٌ زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالجس. فكان إذا جس
العود، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله، لم يملك نفسه حتى يطرب.

= وقال: أسفغرا الله!

- ١٥ وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزلا كان يضرب على إبراهيم، يعني الموصلي.
(١) ص: سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية).
(٢) في ص: “الغزال” بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية). وقد أتمدت ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥).
(٣) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى الحكاية للمحافظ.
(٤) ص: “نسيابة”. وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزامر ذكر إبراهيم الموصلي وابن
جامع، فقال: “الموصلي بستانٌ تجد فيه الحلو والحامض، وطرايا لم ينضج، فتأكل منه من ذا ومن ذا؛ وابن
جامع زقٌ عسل، إن فتحت فنه خرج عسل حلو؛ وإن خرفت بحبه خرج عسل حلو؛ وإن فتحت يده خرج عسل
حلو: كله جيد.”
(٥) هو أبو بحر الضحاك بن قيس. ينتهي نسبه إلى زيد مناة. وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. وكان
آية في الجدة والوفاء. (أنظر ترجمته في ابن خلكان والأغاني وغيرهما)

- (١) قال إبراهيم: فغئيت يوماً على ضربه، فخطأني. فقلت لصاحب الستارة: هو والله أخطأ! قال: فرفع الستارة، ثم قال: يقول لك أمير المؤمنين: أنت والله أخطأت! فغئيت زلزلاً وقال: يا إبراهيم، تخطئني؟ فوالله ما فتح أحد من المغنين فاهُ بغير لفظ إلا عرفتُ غرضه! فكيف أخطئ وهذه حالي؟ فأذاها صاحب الستارة، فقال الرشيد: قل له: صدقت! أنت كما وصفت نفسك، وكذب إبراهيم وأخطأ. قال إبراهيم: فغمي ذلك، فقلت لصاحب الستارة: أبلغ أمير المؤمنين، سيدي ومولاي، أن بفارس رجلاً يقال له سُنَيْدٌ، لم يخلق الله أضرب منه يعود ولا أحسن مجساً، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فحمله عرف فضله وتغنيت على ضربه. فإن زلزلاً يكاديني مُكَايِدَةُ الْقَصَاصِ وَالْقَزَادِينَ. قال: فوجه الرشيد إلى الفارسي فحمل على البريد، فألق ذلك زلزلاً وغمه. فلما قدم بالفارسي، أحضرنا وأخذنا مجالسنا وجاؤا بالعيدان قد سوَّيت. وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة، ليس يدفع إلى أحد عوده فيحتاج إلى أن يحركه لأنها قد سوَّيت وعُلِّقَتْ مشالها مشاكَةً لِلزَّرِيرَةِ (٣) على الدقة والغلظ. قال: فلما وضع عود الفارسي في يديه، نظر إليه منصور زلزل، فأسفر وجهه وأشرق لونه. فضرب وتغنى عليه إبراهيم. ثم قال صاحب الستارة لزلزل: يا منصور: اضرب! قال: فلما جَسَّ العود، ما تمالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذْنٍ حتَّى قبل رأس زلزَلٍ وأطرافه، وقال: مثلك - جعلتُ فداك! -

(١) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه. وهذه القصة من استطرادات الملاحظ أيضاً

(٢) لم يذكر صاحب الأغاني، ولم يورد هذه الحكاية. وهي غير واردة في صه.

(٣) جمع زير، مثل ديك وديكة. والزير هو الوتر الدقيق من الأوتار وأحكمها فتلاً (فر عود الطرب).

فكان المؤلف قال: وعُلِّقَتْ مثالته مشاكَةً لِمَناثِهِ. قال المفضل بن سلمة النحوي في كتاب الملاحى مانصه: "ويقال لأوتاره [أي العود] المحبض واحدتها محبض وهي الشرع واحدها شرعة. فنها الزير، والذي يليه المثنى ومنهم من يسميه الثاني، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث، واليم. ويقال التي يسميها الفرس دساتين، العتب. وكل ذلك قد جاء في الشعر."

لَا يُتَمَنَّى وَيُسْتَعْمَلُ بِمِثْلِكَ يُعْبَدُ، فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ قَوْلِهِ وَعَرَفَ فَضِيلَةَ زَلْزَلٍ عَلَى
الْفَارِسِيِّ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ وَرْدِهِ إِلَى بَلَدِهِ.

* وَكَانَ مَنْصُورٌ زَلْزَلٍ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ. نَزَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٍ، وَقَدْ
كَانَ يَحْلِلُ لَهُمْ أَخَذَ الزَّكَاةَ، فَمَا مَاتَ حَتَّى وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ. ^(١)

وَوَكَانَ إِسْحَاقُ بَرَصُومًا فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: فَطَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَزْمَرَهُ، فَقَالَ:
”وَلَهُ صَاحِبُ السَّتَارَةِ: يَا إِسْحَاقُ! أَزْمُرُ عَلَى غَنَاءِ ابْنِ جَامِعٍ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: يَقُولُ:
”لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَفْعَلُ؟“ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَزْمُرُ عَلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ، رُفِعْتُ إِلَيْهَا.”
وَوَقَدْ أُنْ أَاكُونُ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَأَزْمُرُ عَلَى الْأُولَى، فَلَا أَفْعَلُ! فَقَالَ الرَّشِيدُ لِصَاحِبِ
”وَالسَّتَارَةِ: اِرْفَعْهُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى، فَإِذَا قُمْتُ، فَادْفَعْ الْبَسَاطَ الَّذِي فِي مَجْلِسِهِمْ إِلَيْهِ.”
وَوَقَدْ رَفَعَ إِسْحَاقُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَأَخَذَ الْبَسَاطَ، وَكَانَ يَسَاوِي أَلْفِي دِينَارًا. فَلَمَّا حَمَلَهُ إِلَى
”وَمَنْزَلِهِ أَسْتَبَشَرَتْ بِهِ أُمُّهُ وَأَخَوَاتُهُ. وَكَانَتْ أُمُّهُ نَبِيطِيَّةً لِحَمَاءٍ. فَخَرَجَ بَرَصُومًا عَنْ مَنْزَلِهِ
وَوَلَّيْتُ حَوَائِجَهُ، وَجَاءَ نِسَاءُ جِيرَانِهِ يَهْنِئْنَ أُمَّهُ بِمَا خُصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَيَدْعُونَ لَهَا.”
وَوَقَدْ أَخَذْتُ سِكِّينًا وَجَعَلْتُ تَقْطَعُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْبَسَاطِ، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى
”وَأَكْثَرِهِ. فَجَاءَ بَرَصُومًا فَإِذَا الْبَسَاطُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالسَّكَاكِينِ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! مَا صَنَعْتَ؟“
وَوَقَدْ قَالَتْ: لَمْ أُدْرِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَذَا يُقَسَّمُ. فَخَدَّثَ الرَّشِيدُ بِذَلِكَ، فَضَحِكَ وَوَهَبَ لَهُ آخَرَ.”
وَوَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَفَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ صَوْتًا، فَكَادَ

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ.

(٢) التي لا تُقِيمُ العربية لعجمة لسانها. (قاموس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري. كان كاتبًا شاعرًا مطبوعًا. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

يطير طرباً، فاستعاده عاتمة ليله، وقال: «مارأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهب لك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحة، كنت أسرها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأننا أسر بهذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشد عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون عليّ.» قال: «فلم لا تهب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألفي ألف أهون عليك منه؟» فأمر [له] بمائتي ألف درهم.*

قلت لإسحاق: فالخلوع، أين كان من ذكرت؟

- قال: «وما كان أعجب أمره كله! فأما تبدله، فما كان يبالي أين قعد ومع من قعد.»
 ١٠ «وكان، لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، خرّقها كلها وألقاها عن وجهه حتى»
 «ويبعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهم للأموال إذا»
 «طرب أو هب. وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلة بوقر زورق ذهباً،»
 «فأنصرف به. وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أُمّمي. ولقد غناه»
 ١٥ «وإبراهيم بن المهدي غناء لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكب عليه فقبل رأسه. فقام»

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن ص.

(٢) يعني الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقليل، لقرب عهدهم بخلقه وأشتهاره بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإن الأتراك لا يسمون السلطان عبد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا باسم "الخلوع".

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي عم الخليفة. (أنظر الأغاني ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى راوي الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.



وإبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه. فأمر له بمائتي ألف دينار. ولقد رأيته^(١)
 يوما، وعلى رأسه بعض غلماناه، فنظر إليه فقال: ويلك! ثيابك هذه تحتاج إلى أن^(٢)
 تغسل. انطلق، نخد ثلاثين بكرة، فأغسل بها ثيابك.

ولقد حدثني عاوية [الأعسر وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف] عنه^(١)
 قال: لما أحيط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه، كما عنده فغنته جارية له بغناء
 تركت فيه شيئا لم نخد حكايته. فصاح: يا زانية! تغنني الخطأ! خذوها! حملت.
 وكان آخر العهد بها.

(المأمون)

قلت: فللمأمون؟

قال: ووأقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء. ثم سمعه من وراء^(١)
 حجاب، متشبهًا بالرشيد. فكان كذلك سبع حجج. ثم ظهر للسنداء والمغنين.
 قال: وكان حين أحب السماع ظاهرا بعينه، أكبر ذاك أهل بيته وبنو أبيه.^(٢)
 ويقال إنه سأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي فغمزه بعض من حضر، وقالوا:
 ما يغادر تيها وبأوا. فأمسك عن ذكره. قال: بخاءه زُر زُر يوما فقال له: يا إسحاق،
 نحن اليوم عند أمير المؤمنين! فقال إسحاق: فغني بهذا الشعر:

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الاغانى لأبي الفرج.

(٢) كان المأمون يعقد مجلسا لتفريق الأرزاق، فكان إسحاق هذا أول من يدخل عليه في طائفة
 الوزراء، ثم القواد، ثم القضاة، ثم الفقهاء والمعدلين، ثم الشعراء ثم المغنين، ثم الرماة في الهدف. (عن ذيل
 أمانى القالى ص ٩٠)

(٣) البأوهو الفخر والكبر واليه. قال حاتم الطائي:

فا زادنا بأوا على ذى قرابة * غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر.

وأنظر هذه القصة أيضا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤).

يَا سِرْحَةَ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ؟
لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * مَحَلًّا^(١) عَنْ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ^(٢).

فلما غناه به زُرْزُرُ، أطر به وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: وبلك! من هذا؟

(١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في ص، وفي "الأغاني" والطبري و"معجم الأدباء" وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب المقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصوب والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرحة شجرة عظيمة بلا شك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصا، وورقها أخضر دائما، وهي جميلة المنظر. [ويسمى أهل شقيط (آبيل). وفي أشعارهم "ذو السرح" وهو موضع يسمى عندهم باللغة البربرية "لنوايل"، وهو تعريب له كما ترى. استفدت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشقيطي. ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر ياقوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ ج ٣ ص ٢٨٦؛ ج ١ ص ٥٣٦ و ٥٨٠، ج ٣ ص ٧٨٢) وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شبهوا بالنساء. فقال حميد ابن ثور في ضمن قصيدة له:

تَرَانِي إِنْ عَلَّتْ نَفْسِي بِسِرْحَةٍ * مِنَ السَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرَحَةَ مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرَحاتٍ الْمَضَاهِ تَرُوقُ

(وأنظر ياقوت ج ٣ ص ٧١).

هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" البتين اللذين نحن بصددهما وقال كنى بالسرحة النابتة على الماء عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة سرح)

(٢) في ص: "حيام"، وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٥ ص ١٠٦) وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زُرْزُر وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.

(٣) ممنوع أى مطرود.

(٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق"، وكذلك في ص. وفي لسان العرب: "طريق الورد".

(٥) استحسن الأصمعي هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحائات لو اجتمعت في آية الكرسي، لعابتها".

(عن الوسيط في تراجم أدباء شقيط للأستاذ أحمد بن الأمين الشقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١ - ص ٣١١)

قال: عبدك المجتو المطرح، ياسيدي، إسحاق. قال: يحضر الساعة، بفاءه رسوله، وإسحاق مستعد، قد علم أنه إن سمع الغناء من مجيد مؤد أنه سيبعث إليه. بفاءه الرسول، حدثت أنه لما دخل عليه ودنا منه، مديده إليه ثم قال: أدن مني! فأكب عليه واحتضنه المأمون وأدناه وأقبل عليه بوجهه مضغياً إليه ومسوراً به.

* *

مباشرة
الملك لندما

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القُطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه، و [لا] سيمًا إذا غلب أحدُهم على عقله، وكان غيره أملك به منه بنفسه.

٢٥

وللسكر حد إذا بلغه نديمُ الملك، فأجمل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذَه بزلَّةٍ إن سبقتَه، ولا بلفظةٍ إن غلبت لسانه، ولا بهفوةٍ كانت إحدى خواطره.

حد الإغضاء
عن الزلات

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى ونفسه رعى بها في مهواة، وإن أراد أحدٌ أخذ ثيابه لم يمانعه.

مراطن
المعاينة عليها

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر، وكان إذا رام أحدٌ أخذ مامعه قاتله دونه، وكان إذا شتم غَضِبَ وانتصر، وإذا تكلم أفصح وقل سَقَطَ: فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زَلَّةٌ، فعلى عمْدِ أتاها وبقيده فعلها. فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه. فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه، قدح في عزه وسلطانه.

(١) الضمير للجاحظ.

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة بألفاظ الجاحظ مختصرة. (ص ٦١)

(٣) لاشك أن أداة النفي (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ. وقد نصوا على وجوبها وأشهدوا بقول امرئ القيس: ولا سيمًا يوم بدارة جُلجل * وأكَّد أئمة اللغة أن من أهلها فقد أخطأ. (أنظر التسهيل وشرحه وخاتمة الأشموني في باب الاستثناء، وأنظر البيان الوافي في "تاج العروس" (مادة من وي) .) وأنظر أيضا ص ١٥٧ من هذا الكتاب.

(٤) أي لنفسه.

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز بأهل الجرائم عقوبة جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجبت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقيموا كل ميل ويدعموا كل إقامة.

نصاد
بقوبة

ومن أخلاق الملك أن لا يشارك بطانته وندماءه في مس طيب ولا نجس. فإن هذا وما أشبهه يرتفع الملك فيه عن مساواة أحد.^(١) وكذا يجب على بطانة الملك وقربائه أن لا يمسوا طيبا إذا تطيب، لينفرد الملك بذلك دونهم.

ك بالتطيب
ونحوها

وليس الطيب كالطعام والشراب اللذين لا بد من مشاركة الندماء فيهما. فأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحاشيته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحدا فيه.

وكذا حكى عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمور بأخلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشرك فيهما أحدا. فإن البهاء والعز والأبهة في التفرد.

(١) نهى صاحب القاموس عن استعمال "القراية" بمعنى الأفارب، ونسبه الجوهري إلى العامة، ووافقه الأكتون ومنهم الحريري في "درة القواص". ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القراية". ولكن هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأظر التفصيل في تاج العروس في مادة ق ر ب)

(٢) العامة هي العامة، وأيضا أخصاء الرجل من أهله وولده وذوى قرابته.

سنة ملوك
الفرس في ذ

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يتردوا يري يهنون الرعية عن مثله.

فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان. كان إذا وضع التاج على رأسه، لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ریحان متشبهاً به. وكان إذا ركب في لينة، لم ير على أحد مثلاً. وإذا تخم بخاتم، فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه.

(٢)

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذ

وهذه من فضائل الملوك. وطاعة أهل المملكة أن تتحلى أكثر زى الملك وأكثر أحواله وشيمه، حتى لا يأتى مالا بد لها منه. وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص. كان إذا أعتم بمكة لم يعتم أحد بعممة مادامت على رأسه.

وهذا الحجاج بن يوسف. كان إذا وضع على رأسه طويلاً، لم يجرى أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلاً.

وهذا عبد الملك بن مروان. كان إذا لبس الأخضر، لم يلبس أحد من الخلق خضاً أصفر حتى ينزع.

(١) في سه، صه : يفعل.

(٢) صه : أمثل.

(٣) حالة من حالات اللبس.

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأصنام الموجودة نسخه الوحيدة المعروفة في العالم بجزاة كتبي. قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا): "وكان سعيد بن العاص أبو أحيحة يعتم بمكة. فإذا أعتم لم يعتم أحد بلون عمامته". وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه ذو العمامة وإن "أحيحة تصغير أمة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحرارة. والأحبة والأحاج واحد وقد أسقفينا هذا في كتاب الجهرة".

(٥) أى قلنسوة طويلة عالية. وكان هذا النوع من القلانس خاصاً بالأمرء، وبالقضاة أيضاً (كما تدل على ذلك عبارة البيهقي في "الحاسن والمساوي" ص ٢١٣).

وهذا إبراهيم بن المهديّ بالأُمس . دخل على [أحمد] ابن أبي دُوَاد [بن علي] ^(٢)
وعليه مُبَطَّنة مُلَوَّنة من أحسن ثوب في الأرض، وقد أَعْتَمَّ على رأسه رِصَافِيَّةً بَعَامَةً ^(٣)
نَحْرُ سَوْدَاءَ لَهَا طَرَفَانِ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ، وعليه خُفٌّ أَصْفَرٌ، وفي يده عِكَازَةُ أَبْنُسٍ مَلُوح ^(٤)
بِذَهَبٍ، وفي إصبعه فَصٌّ يَاقُوتٌ تَضِيءُ يَدَهُ مِنْهُ. فنظر إلى هَيْئَةٍ مَلَأَتْ قَلْبَهُ، وَكَانَ ^(٥)
جَسِيماً، فَقَالَ: "يَا إِبْرَاهِيمَ! لَقَدْ جِئْتَنِي فِي لِبْسَةٍ وَهَيْئَةٍ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَوَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ." ^(٥)
فَانْصَرَفَ فَلَمْ يَأْتِهِ حَتَّى مَاتَ.

وحدثني أبو حَسَنَ الزِّيَادِيَّ ^(٦) (وَذَكَرَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ فَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ) وَقَالَ: وَجَّهَ
إِلَيَّ فِي لِبْسَةٍ - وَقَدْ أُوتِيَ إِلَى فَرَاثِي - رَسُولًا فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ:

(١) أي من عهد قريب من المؤلف . [أنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]
(٢) من أكابر رجالات بني العباس وخصوصا في دولة المأمون والمعتمد والواثق .
(٣) هذه العبارة توضح لنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes . فيؤخذ من كلام الجاسقظ هنا
ومما يليه بأربعة عشر سطرا أن الرصافية هيئة عممة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو وليّ عهده . ويؤخذ من كلام
آبن خلكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضا . ذكر آبن خلكان أن
عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا ، وقال إنه كان على رأسه رصافية . وقد روى صاحب الأغاني هذه
الحكاية بحرفها تقريبا (جزء ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسوته . فذلك دليل على أن الرصافية
نوع مخصوص من القلاص المعممة .

(٤) صم : فظُر إليه بهيبة .

(٥) يعني الخليفة .

(٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين آمنَهم المأمون بخلق القرآن . وهو من أهل الفتوى والرواية . وقد ولّاه
المتوكل قضاء مديرية الشرقية بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لَا تَعْتَمَّ غَدًا عَلَى قُلُسُوءَةِ إِذَا حَضَرَتِ الدَّارَ. ^(١) قَالَ: قَبِثُ وَاجِبًا، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا يَرِيدُ
بِذَلِكَ. وَغَدَوْتُ، وَغَدَا النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَصَرَائِهِمْ. ^(٢) بَجَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى
مَنْ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقَعِدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَيَعْتَمُّ عَلَى قُلُسُوءَةٍ، فَانْزِعُوا
عَمَّا تَكُمُ!

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قُرَيْشٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ،
وَجَّهَ إِلَى الْمَأْمُونُ رَسُولًا فَأَتَيْتُهُ. فَبَعَثَ لِيَسْأَلَنِي عَنْ عِيَالِهِ وَعَنْ أَمْوَالِهِ، وَيُسْكُوهُ إِلَى،
وَيَقُولُ: كَانَ يَفْعَلُ كَذَا وَيَفْعَلُ كَذَا. فَكَانَ فِي تِلْكَ الشَّكَايَةِ أَنْ قَالَ: وَكَانَ إِذَا رَكِبَ
بِهِ ^(٤) رُكَبَ فِي رُصَافَةٍ. ^(٥)

عبد الملك
في مجلس الشراب

* * *
وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ النَّدَمَاءِ قَدْ بَلَغَ غَايَةَ مَجْهُودِهِ فِي الشَّرْبِ وَأَنَّ
الزِّيَادَةَ بَعْدَ ذَلِكَ تَضُرُّ بِيَدِهِ وَجَوَارِحِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَفِّ عَنْهُ، وَأَنْ لَا يُكَلِّفَ فَوْقَ
وَسْعِهِ. فَإِنَّهُ مَنْ تَجَاوَزَ حَقَّ الْعَدْلِ عَنِ الْخَاصَّةِ، لَمْ تَطْمَعِ الْعَامَّةُ فِي إِنْصَافِهِ. ^(٦)

٢٩
مكاملة
النَّدَمَاءِ لِلْمَلِكِ

* * *
وَمَنْ حَقَّ الْمَلِكُ أَنْ لَا يَكْتُمَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّدَمَاءِ مُبْتَدَأًا وَلَا سَائِلًا لِحَاجَةٍ، حَتَّى يَكُونَ

(١) يَعْنِي قَصْرَ الْخِلَافَةِ. وَالْحِكَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاقِعَةَ حَصَلَتْ بِمَرُورِ، لِأَنَّ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ قُتِلَ فِي بَلَدِهِ
(سرخس) عِنْدَ عَوْدَةِ الْمَأْمُونِ إِلَى بَغْدَادَ.

(٢) ص: الحسن.

(٣) ص: فارس. وَأَنْفَارُ الطَّبْرِيِّ (سلسلة ٣ ص ٦٥٢) فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَسْمُ هَذَا الرَّجُلِ. وَكَانَ مِنْ
خَاصَّةِ الْمَأْمُونِ، وَقَدْ حَدَّثَهُ الْخَلِيفَةُ عَنْ أَخِيهِ الْقَاسِمِ هَذَا. (الْحَاسَنُ وَالْمَسَاوِي ص ١٨٧)

(٤) مَتَّى أَطْلُقَ الْكُتَّابَ هَذَا الْأَسْمَ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ مَرُورَ الشَّاهِجَانِ، لَا مَرُورَ الرُّودِ. وَالْأَوَّلَى هِيَ أَكْبَرُ
مَدَائِنِ خُرَّاسَانَ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ عَامِلًا عَلَيْهَا لَا يَبِيه.

(٥) تَأْتَفُّ الْمَأْمُونُ لِأَنَّ أَخَاهُ كَانَ يَتَعَمَّدُ التَّشْبِيهَ بِهِ، وَلَمْ يَرَأِ الْوَاجِبَ فِي تَرْكِهِ بِتَغَرُّدِ الرُّصَافَةِ فِي عَاصِمَةِ
مُلْكِهِ؛ وَلَوْ أَنَّ الْقَاسِمَ حَقًّا فِي لِبْسِهِ لِأَنَّهُ هُوَ أَيْضًا ابْنُ الْخَلِيفَةِ.

(٦) هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُحْصَوْرَةُ بَيْنَ النِّجْمَتَيْنِ ^٩ مَقُولَةٌ عَنْ ص.

هو المبتدئ بذلك. ^(١) فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقدم إليه فيما يجب عليه، فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يأذن له في الدخول، حتى يكون الملك يبتدئ ذكره. ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أسقطت مرتبته فلم يسطر الملك.

وكان شيرويه بن أبريز يقول: "إنما تُعذر البيطانة برفع حوائجها إلى الملوك عند ضيقة تكون، أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تتابع أزمة. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسد خللهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراة العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذي حداه على ذلك الشره والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديرا أن تُنزع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُثقل إلى الطبقة الخسيسة، فيلزم أذنان البقر وحراثة الأرض."

ومن أخلاق الملك أن لا يمين باحسان سبق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن

لكن ينعهم
رورة فقط

(١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فرد الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى!". (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" للفخر الدين الرازي، طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه عبد الملك بن مروان "البيان والبيان ج ٢ ص ١٢"، وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي دؤاد المتوفى سنة ٢٤٠ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يكلمون حتى يتكلموا. (أنظر آبن خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

(٢) سه: عقوبة.

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بحسنه إليه، ويذكره بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه.

* وحدثني محمد بن الجهم^(١) وداود بن أبي داود قالاً: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالوا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقدمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(٢)



ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان، لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التعدي والتجاوز لحد العقوبة. فإذا سكن غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سنّته الشريعة ونقلته الملة^(٣). فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فمن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال. فأما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٤)

عدم المعاقبة
في حال الغضب

- (١) كثيراً ما يرى الجاحظ عن هذا الإنسان في كتاب "الحَيَوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".
- (٢) كان في معية المأمون حينما أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حينما أنضت إليه الخلافة. (طبرى سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢)
- (٣) هذه الجملة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن ص. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥)
- (٤) س: الأئمة.
- (٥) س: "فأما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". ولهذا الرواية أيضاً وجه وجهه. والضمير راجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

وليس الذنب بحضرة الملك كالذنب بحضرة السوقة، ولا الذنب بحضرة الحاكم^(١)
كالذنب بحضرة الجاهل. لأن الملك هو بين الله وبين عباده. فإذا وجب بحضرته
الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزجر الرعايا عن العيائة والتتايغ^(٢) في الفساد.

(١)



ومن حق الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطانته وخاصته بذلك.
فإن أوما إليهم أن لا يبرحوا، لا يقعد واحد منهم حتى يتوارى عن أعينهم.
فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام.
فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك.

ب البطانة
بكم الملك

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملة. بل تقعد الطبقة الأولى أولا. فإذا قعدت
عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية. فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة.
وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً. فمن الواجب أن يقعد من كل طبقة رأسها
ثم هلم جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً.



ومن حق الملك أن لا يدنو منه أحد - صغر أو كبر - حتى يمس ثوبه ثوبه إلا
وهو معروف الأبوين، في مركب^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول.

الدقون
الإشروط

(١) هكذا في سه، صه. ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم"

(٢) التتايغ بالمشاة التحية: التهافت والإسراع في الشر (قاموس).

(٣) المركب كمعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خاملٍ أو وضيعٍ وأضطرَّ إليها، إمَّا لنصيحةٍ يُسرُّها إليه أو لأمرٍ يسأله عنه، فمن حقِّ الملك أن لا يُخَلِّيَ أحداً يدنو منه حتى يُقتَلَ أو لا، ثم يأخذ بضبعيه أثنان، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ما عنده وقبل منه الملك ما جاء به، فمن حقِّه على الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر في حاجته - إن كانت له - ليرغب ذوو النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتقرب بها إليهم.



الاستماع
لحديث الملأ

ومن حق الملك، إذا حَدَّثَ بحديث أن يصرف من حضره فكره وذَهَبَ نحوه. فإن كان يعرف الحديث الذي يُحدِّثُ به الملك، استمعه استماع من لم يدُر في حاسة سمعه قَطُّ ولم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطى الملك حقَّه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالنفس إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقرب وأشهى منها إلى فوائد السوقة ومن أشبههم.

وإنما مدار الأمر والغاية التي إليها يُجرى، الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أملكهن: جليسي ما فهم عني، ووثوقي ما سترني، وودائي

(١) في سه: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فلنفس". وقد أكلت موضع البياض وصححت العبارة، بناء على ما في سه وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة رفقان، واضطراب في التقسيم، وقال إنها ما قاله حكيم اليونان. فلعله نقلها هو والحافظ عن كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد حرصا. [حاشية في سه]. ورواية سه: "أقرب"، وهي بعيدة عن الصواب.

ما حلت رجلي^(١)، وذكر الشعبي ناساً، فقال: "ما رأيت مثلهما أشد تناقداً في مجلس ولا أحسن فهماً عن محدث".

وقال سنجيد بن سلم [الباهلي] لأمير المؤمنين المأمون: "لو لم أشكر الله إلا على أحسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجيه الحرية". قال المأمون: "لأن أمير المؤمنين والله يجد عندك من حسن الإفهام إذا تحدثت، وحسن الفهم إذا حدثت ما لم يجده عند أحد فيما مضى ولا يظن أنه يجده فيما بقي^(٢)".

وفما يحكى عن أنوشروان أنه بينا هو في مسيره له (وكان لا يسايره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم، فإن ألفت يميناً، دنا منه صاحب الحرس، وإن ألفت شمالاً، دنا منه المؤبد، فأمره بإحضار من أراد مسابرة)، قال: فالتفت في مسيره هذا [يميناً]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فالآن، فأحضره. فقال: حدثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة، فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فحدثه أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيره على شاطئ نهر. وترك الرجل - لإقباله على حديثه - النظر إلى مواطئ حافر دابته. فزلت إحدى قوائم الدابة، فمالت بالرجل إلى النهر فوقع في الماء ونقرت دابته. فابتدرها حاشية الملك وغلماؤه، فأزالوها عن الرجل، وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه. فآغتم لذلك أنوشروان ونزل عن دابته، وبسط له هناك، فأقام حتى

صل لرجل
أنوشروان
سايره

٥٣

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في "كامل" المبرّد (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن صيد.

(٣) هو بفتح الحاء والزاي اسم جبل (قاموس). والمتعارف الآن عند الفرنج ضم الحاء. وأنظر ياقوت.

تَغْدِي فِي مَوْضِعِهِ ذَلِكَ. وَدَعَا بَنِيَّ مِنْ خَاصِّ كُتُوبِهِ، فَأَلْقَيْتُ عَلَى الرَّجُلِ، وَأَكَلَ
مَعَهُ. وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَغْفَلْتَ النَّظَرَ إِلَى مَوْطِئِ خَافِرِ دَابَّتِكَ؟ قَالَ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّ
اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ، قَابَلَهَا بِحَنَةٍ وَعَارَضَهَا بِبَلِيَّةٍ. وَعَلَى قَدَرِ النِّعَمِ تَكُونُ الْحَنُ.
وَإِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى بَنِعْمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، هُمَا: (١) إِقْبَالُ الْمَلِكِ عَلَى بَوَاجِهِ مِنْ بَيْنِ هَذَا
السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ. وَتَدْبِيرُ هَذِهِ الْحَرْبِ الَّتِي حَدَّثَ فِيهَا عَنْ أُرْدَشِيرَ
حَتَّى لَوْرَحَلْتُ إِلَى حَيْثُ تَطَلَّعَ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبَ، كُنْتُ فِيهِ رَاجِحًا. فَلَمَّا أَجْتَمَعْتُ
نِعْمَتَانِ جَلِيلَتَانِ فِي وَقْتٍ [وَاحِدٍ]، قَابَلْتُهُمَا هَذِهِ الْحَنَةُ. وَلَوْلَا أَسَاوِرَةُ الْمَلِكِ وَخَدَمُهُ
[وَحَسَنُ جَدِّهِ]، كُنْتُ بِمَعْرِضِ هَلَكَةٍ. وَعَلَى ذَلِكَ، فَلَوْ غَرِقْتُ حَتَّى أَذْهَبَ عَنْ جَدِيدِ
الْأَرْضِ، كَانَ قَدْ أَبْقَى لِي الْمَلِكُ ذِكْرًا مُتَلَدًا مُخَلَّدًا، مَا بَقِيَ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ.

فُسِّرَ الْمَلِكُ وَقَالَ: مَا ظَنَنْتُكَ بِهَذَا الْمَقْدَارِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ!

فَخَبَّشَ قَهْ جَوْهَرًا وَدُرًّا رَائِعًا ثَمِينًا، وَأَسْتَبَطَنَهُ حَتَّى غَلَبَ عَلَى أَكْثَرِ أَمْرِهِ. (٤)

وَهَكَذَا يُحْكِي عَنْ [أَبِي شَجَرَةَ] يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةِ الرَّهَائِي، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ أَوْيَةِ

(ما وقع لأبي
الرَّهَائِي
حَادِثُهُ مَعَ أَوْيَةِ)

(١) فِي سَمْعٍ، ص: "مِنْهَا" تَحْرِيفًا عَنْ "مِنْهَا". وَقَدْ صَحَّحَتْ بِمَعُونَةِ الْمَسْعُودِيِّ.

(٢) فِي سَمْعٍ، ص: "وَمِنْهَا هَذِهِ" تَحْرِيفًا عَنْ "مِنْهَا". وَقَدْ صَحَّحَتْ بِمَعُونَةِ الْمَسْعُودِيِّ.

(٣) الزِّيَادَةُ عَنْ الْمَسْعُودِيِّ.

(٤) نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِتَمَامِهَا وَبِحَرْفِهَا، إِلَّا فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ. وَقَالَ إِنَّهُ وَجَدَهَا فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ

مِنْ الْأَعَاجِمِ. وَنَسَبَهَا إِلَى شَيْرَوَيْهِ بْنِ أَبْرُويزَ، وَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ هُوَ بُنْدَارُ بْنُ خُرَشِيدَ (جُزء ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦).

وَنَقَلَهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدِ" (ص ٢٧ - ٢٩) وَأَخْتَصَرَهَا صَاحِبُ "مُحَاسِنِ

الْمُلُوكِ" (ص ٨١ - ٨٢). وَنَقَلَهَا بِالْخَرْفِ الْوَاحِدِ فِي "الْمُحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَةِ مَعَافِيَةَ. أَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ سَنَةَ ٣٩ لِيَقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَيَأْخُذَ لَهُ الْبَيْعَةَ وَيُطْرِدَ عَامِلَ عَلَى

عَنْهَا. ثُمَّ أَرْسَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُغْزِيَ الرُّومَ فِي الْبَحْرِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ (سَنَةَ ٤٩ وَسَنَةَ ٥٦). وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةِ

مِنْ الْعَرَبِ (أُنْظُرْ تَاجَ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ ر ه ر). وَأَمَّا النِّسْبَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ بِأَسْيَا الصُّغْرَى فَهِيَ

الرَّهَائِي بِبُضْمِ الرَّاءِ.

أَبْنُ أَبِي سَفْيَانَ، وَمَعَاوِيَةُ يُحَدِّثُهُ عَنْ يَوْمِ خِزَاعَةِ وَبْنِي مَخْزُومٍ وَقُرَيْشٍ. (١) وَكَانَ هَذَا قَبْلَ
الْهَجْرَةِ. وَكَانَ يَوْمًا أَشْرَفَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ عَلَى الْهَلَكَةِ حَتَّى جَاءَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ فَارْتَفَعَ
بِيعِيرِهِ عَلَى رَابِيَةِ ثُمَّ أَوْمَأَ بِكَيْهِ (٢) إِلَى الْفَرِيقَيْنِ، فَانْصَرَفُوا.

قَالَ: فَبَيْنَا مَعَاوِيَةُ يُحَدِّثُ زَيْدَ بْنَ شَجْرَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، إِذْ صَكَ وَجْهَ زَيْدٍ حَجَرًا
عَائِرًا فَأَدَمَاهُ، وَجَعَلَتِ الدَّمَاءُ تَسِيلُ مِنْ وَجْهِهِ عَلَى ثَوْبِهِ، [وَهُوَ] بِمَا يَسْحُ وَجْهَهُ. (٣)
فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: اللَّهُ أَنْتَ! مَا تَرَى مَا نَزَلَ بِكَ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
قَالَ: هَذَا دَمُ وَجْهِكَ يَسِيلُ عَلَى ثَوْبِكَ! قَالَ: أُعْتِقُ مَا أَمْلَكْتُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ حَدِيثٌ

(١) فِي الْمَسْعُودِيِّ: "يُحَدِّثُهُ عَنْ جِرْعَانَ يَوْمَ كَانَ لَبْنَى مَخْزُومٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ". وَفِي بَعْضِ نَسْخِهِ:
"جِرْعَانٍ". | وَالصُّوَابُ خِزَاعَةٌ كَمَا هُوَ وَارِدٌ فِي سَمِ، صه |.

(٢) سَمِ: "بِكَيْهِ"، صه: "بِكَفِّهِ". | وَالتَّصْحِيحُ عَنْ "مُحَاسَنِ الْمُلُوكِ". |.

(٣) هَذِهِ الْقِصَّةُ لَمْ يُجَدِّدْهَا لَغَيْرِ الْجَاخِظِ وَالَّذِينَ قَتَلُوا عَنْهُ مِثْلَ الْمَسْعُودِيِّ وَصَاحِبِ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ"
وَصَاحِبِ "مُحَاسَنِ الْمُلُوكِ". وَلَعَلَّ الْوَاقِعَةَ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي آخِرِ دِيْوَانِ حَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ
الصَّحَابِيِّ، وَفِي السِّيَرَةِ الْخَلِيعَةِ (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بُولَاق
سنة ١٢٩٥ هـ وج ١ ص ٢٧٣ طبع العلامة وستفيلد في مدينة لَيْسِك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) فِي سَمِ غَيْرِ. وَفِي صَمِ غَيْرِ. | وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَثِيرًا مَا يَصْخَفُهَا النَّسَاجُونَ وَالطَّابِعُونَ. فَتَارَةً يَضَعُونَ
"غَابِرَ" وَأُخْرَى "غَابِرَ" وَأُخْرَى "غَابِرَ". وَالصُّوَابُ "عَائِرَ" بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ الْمُثَنَّى الْمَهْمُوزَةِ.
قَالَ صَاحِبُ تَاجِ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ (ع و ر): وَالْعَائِرُ مِنَ السَّهَامِ مَا لَا يَدْرِي رَامِيَهُ وَكَذَا مِنَ الْحِجَارَةِ . . .
وَالْجَمْعُ الْعَوَائِرُ |.

(٥) فِي الْمَسْعُودِيِّ: أُعْتِقْتُ مَا أَمْلَكْتُ. وَلَكِنْ سَمِ أَفْرَدَ بِجَعْلِ الضَّمِيرِ لِلْغَائِبِ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ لِثَلَاثَةِ
الْيَمِينِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ أَوِ الْقَارِئِ. فَوُرِدَتْ فِيهِ الْعِبَارَةُ هَكَذَا: "عَتَقْتُ مَا يَمْلِكُ". وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى كَثِيرٌ مِنَ الْكُتُبِ.
وَذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّشْدِيدِ فِي التَّأَثُّمِ وَالتَّعَرُّجِ. وَإِذَا كَانَ نَاقِلُ الْكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرٍ، فَكَيْفَ يَقَعُ فِي الْيَمِينِ مَنْ يَرُوى
بِمَجْدِ كَلَامِ لَغِيرِهِ؟ وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا عَدَمَ جَرِّ يَانَ اللِّسَانِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ

أمير المؤمنين أَلْهَانِي حَتَّى غَمَرْتُ فِكْرِي وَغَطَّى عَلَى قَلْبِي، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَهَيْتُ
 أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك مَنْ جعلك في أَلْفٍ من العطاء، وأخرجك
 من عطاء أبناء المهاجرين، وَكَيْفَا أَهْلِ صِفِّينَ! فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَزَادَهُ
 فِي عَطَائِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَجَعَلَهُ بَيْنَ جُلَدِهِ وَثَوْبِهِ. ^(١)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاويةُ مَنْ لَا يُخَادَعُ وَلَا يُجَارَى. ^(٢)
 ولئن كان بلغ من بلاد يزيد بن شجرة وقلة حِسِّهِ ما وصف به نفسه، ما كان
 يجدير بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خَفِيَ عن معاوية، ولكنه
 تغافل على معرفة مَلَكٍ وَفَاهٍ حَقَّ رِيَاسَتِهِ. ^(٣)

[ويروى عن معاوية أنه كان يقول: "السُّرُوءُ التَّغَاوُلُ" ^(٤)

(١) ص: حماة.

(٢) روى هذه القصة في "تنبيه الملوك"، بألفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك"،
 باختصار (ص ٢٠). وأوردها صاحب "المحاسن والمساوي"، بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) ص: يحارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كما جرت عادة. ولكنه حينما أضطرَّ
 لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بُدًّا من الإشارة إليه بطريق
 الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صف الكتب في هذا المعنى وغيره"
 ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أو في مواضعها. (مروج الذهب جزء ٦
 ص ١٢٨ - ١٣٠).

(٥) هذه الجملة من زيادات ص. [ومعنى السُّرُوءِ السَّخَاءُ في مروة. فيكون المراد من هذه
 المقولة أن الظاهر بالغفلة هو مَنْ دلائل السخاء المزوج بالمروءة. وسترده هذه المقولة أيضا
 في صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

وكذلك حكي عن أبي بكر الهذلي^(١) أنه بينما هو يسامر أبا العباس إذ تحدث أبو العباس
بحديث من أحاديث الفرس. فعصفت الريح، فأذرت طساً من سطح إلى مجلس^(٢)
أبي العباس، فأرتاع ومن حضره. ولم يتحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين
أبي العباس. فقال له: ما أعجب شأنك، يا هذلي! لم تُرغ مما راغنا! قال: يا أمير المؤمنين،
إن الله عز وجل يقول: "مَاجَلُ اللَّهِ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ". وإنما المرء قلب^(٣)
واحد. فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين، لم يكن فيه لحادث بحال. وإن الله،
إذا أنفرد بكرامة أحد وأحب أن يبقى له ذكرها، جعل تلك الكرامة على لسان
نبيه أو خليفته. وهذه كرامة خُصصَتْ بها، مال إليها ذهني وشغل بها فكري.
فلو أنقلبت الخضراء على الغبراء، ما حسست بها ولا وجمت لها إلا بما يلزمني في نفسي^(٤)

- ١٠ (١) اسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢١٣). وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح، وله بحضرته مناظرة بديعة في تفضيل البصرة على
الكوفة وأهلها ركان مناظرة ابن عباس المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وحاشيته في الصفحة التالية)
أوردها ابن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكملتها في ص ١٩٠). وهو من الضعفاء
في الحديث، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣).
- ١٥ (٢) أى أوقعت الريح طسنا. وفي ص: "فاوردت طسنا"، وقد رواها صاحب "مطالع البدور"
(ج ١ ص ١٩٢). والذي في المسعودي: "فاذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس".
وأنظر "شذرات الذهب" (ج ١ ص ٢١٧). وقد روى الراغب الاصفهاني في "محاضراته" (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه، فقال: كان أبو القاسم الكعبي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طست فتزلزلت منه عرصة الدار. فلم يلتفت أبو القاسم عن الأمير. فقال الأمير لا يصلح
لوزارتي إلا هو.

(٣) في المسعودي: "بمجادة".

(٤) ص: البيضاء.

(٥) ص: توجعت.

لامير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك ، لارفعن منك ضبعا لا تطيف به السباع ولا تتخط عليه العقبان .^(١)

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المنتوف يقول : لم يتقرب العاتمة إلى الملوك بمثل^(٢) الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل حسن الاستماع .^(٣)

(١) الضَّع (ضم الباء) العضد . والجملة هنا تكمية ، بمعنى لا تؤمن بأهلك . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) . وفي المسعودي : " ضعبا " . [وهو تحريف ظاهر] .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتبديل في الألفاظ وزيادة ونقصات (خروج الذهب خ ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب " المحاسن الملوك " باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بخریف يسير صاحب " المحاسن والمساوي " (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجال المصور العباسي ، وكان من النساء . ويعرف بالمنتوف لأنه كان ينفذ لحيشه ، (ابن قتيبة في كتاب " المعارف " ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سنتي ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المصور معه يوما ، فقال له : تعرف ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين ، قتل ثلاثة خوارج مبدأ أسماؤهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العامة إن عليا قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت : [وكان المصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ، حين عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملج ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فأت] فقال المصور :

إذا سقط عليه ، فاذنبي ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنبا . وقد روى المسعودي هذه الحادثة بتفصيل أو في (ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته بألف ساق (ج ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أول أسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول أسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المصور (وأسمه عبد الله) قتل أباسلم الخراساني (وأسمه عبد الرحمن) ، وعمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان . [وأعرض ١١٤ من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

وكان [أبو زُرعة] رُوِّحَ بن زَيْنَاع [بن رَوْح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أرد
أن يُمَكِّنَكَ الْمَلِكُ مِنْ أَدْنَاهُ، فَأَمْكِنْ أَدْنَكَ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ. ^(١)

وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجلٍ يصغى
إلى حديثي. ^(٢)

وكان معاوية يقول: يُغْلِبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكَّبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحِلْمِ عِنْدَ سَوْرَتِهِ ٥
وَالِإِصْغَاءِ إِلَى حَدِيثِهِ. ^(٣)

(١) قال في "تاج العروس"، إن كل من سمي "رَوْح" من المُحَدَّثِينَ فهو بالفتح، إلا رَوْح بن القاسم، فإنه بالضم. ورَوْح بن زِينَاع الجُدَامِي من رجالات بني أُمَيَّة. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين للخليفة مروان بن الحَكَم، فوثب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فَأَخْرَجَهُ، وباع لابن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رَوْح واليا عليها، بعد أن أُلْقِيَ خطبة جذب بها الناس لبيعة مروان بن الحَكَم دون عبد الله بن عمر بن الخطاب ودون عبد الله بن الزبير. (أنظرها في آبن الاثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند أبنة عبد الملك بن مروان. وكان جلسه وأنيسه ونديه وسميره وحتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصال لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (العقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية ظريفة أوردتها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤١٩). وأنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب. ١٠

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية ظريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بُشَيْرِ أَخِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ واليا. أوردتها في "مروج الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خارجة هو آبن حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أخصياء الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "عشرات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يل أسماء بن حارثة شيئا للسلطان (العقد الفريد ج ١ ص ٥١)



ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنسانا أو أنس به حتى يهزله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يحجر بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخذاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.



ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حمايته، والرجل من حاتمته ويطأنته: إما لحناية في صلب مال، أو لخيانة حرمة الملك، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلا، ثم لا يظهر له ما يوحشه حتى يتيق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنايات وعند أول بوادر الغضب.

فأما الملوك وأبناؤهم، فليست تُقاس أخلاقهم ولا يُعابَرُ عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سحره ونحره. فتطول بذلك المسألة وتمتد به الأزمنة، وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعثر لم يكن

(١) الخضوع والأياد. وفي "الأعاني": أنت تخضع لهذا، هذا الخضوع وتستخذي له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم: تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرنة والمراد به هنا، الجنازة، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها):

"مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين سحري ونحري." تعني بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة

الاقتراب والآثراف، كما تقول أيضا: بين سمعه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صم: وهوله. صم: ويقولون.

بين هذه القِتلَة وبين الأُخرى بعدها بعشرين سنة فَرَّقُ. إذ كان لا يخاف ثأراً، ولا في المَلِكِ وَهْنًا.

وفيا يَذْكُر عن سيرة أنوشروان أنَّ رجلاً من خاصِّ خَدَمِه جنى جناية أطلع عليها أنوشروان، والرجُل غافلٌ عنه. وكانت عقوبة تلك الجناية توجب القتل في الشريعة. فلم يدر كيف يقتله: لا هو وَجَدَ أمراً ظاهراً يَقْتُلُ بمثله الحُكَّامُ فيسفِكَ به دَمَهُ، ولا قدر على كشف ذَنْبِه لما في ذلك من الوَهْنِ على المَلِكِ والمملكة، ولا وجد لنفسه عذراً في قتله غيلةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه سَلَفهم. فدعا به بعد جنايته بسية فاستخلاه وقال: قد جزي أمرٌ من أسرار مَلِكِ الروم، وبى حاجة إلى أن أعلمها، وما أجدني أسكنُ إلى أحد سُكُونِي إليك، إذ حلت من قلبي المحل الذي أنت به. وقد رأيتُ أن أدفع إليك مالاً لتجمل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك. فإذا بعْتَ ما معك، حلت مما في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إليّ. وفي خلال ذلك تُصْنِعي إلى أخبارهم وتطلّع^(١) وتطلّع ما بنا حاجةً إليه من أمورهم وأسرارهم.

فقال الرجل: أفعلُ أيها الملك، وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه.

فأمر له بمال، وتجهز الرجل وخرج بتجارة. فأقام ببلاد الروم حتى باع وأشتري^(٢) ولقن من كلامهم ولقنهم ماعرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم^(٣). ثم أنصرف إلى

(١) حرَّ به الأمر اشتدَّ عليه وأصابه منه غمٌ.

(٢) أى: وتعلم سرَّ أمرهم الذي نحن في حاجة إلى معرفته.

(٣) أى فهم وحفظ بسرعة.

(٤) سرهم: أسرارهم.

أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدومه وزاد في برّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول
المقام بها والتربُّص بتجارته . ففعل حتّى عُرف واستتفاض ذكره . فلم تزل تلك حاله
ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل
في جامٍ من جاماته التي يَشْرَبُ فيها ، وتُجعل صورته بإزاء صورة الملك ، ويُجعل مخاطباً
للكم ومشيئاً إليه من بين أهل مملكته ، ويُدنى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
يُسِرُّ إليه .^(١) ثم وهبَ ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوكة ترغب في هذا
الجلام . فإن أردتَ بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
باعه من الملك نفسه ، ففعل ؛ وإن لم يُمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
بعض حاشيته . " فناء غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غُرْزِ ركابه ،^(٢)
فسأله أن يبيع جامه من الملك ، وأن يتَّخذَ بذلك عنده يدًا . وكان الملك يقَدِّم ذلك
الغلام ، وكان من خاص غلمانِه وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى
صاحب خزانته ، وقال : "احفظه ! فإذا صرْتُ إلى باب الملك ، فليكن فيما أعرضه
عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض
على الملك . فلما وقع الجلام في يدي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى
صورة الرجل وتركيبه : عُضْوًا عُضْوًا وجارحةً جارحةً . فقال : "أخبرني ، هل يُصوّر
مع الملك صورة رجلٍ خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آنية الملك
صورة لا أصل لها ولا علة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك أشنان يتشابهان

(١) صه : يساره .

(٢) الغرز هو الركاب من جلد مخروزر .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا في الصورة، وكلاهما نديم الملك؟ قال:
لا أعرفه. فقال: قم! فقام، فتأملته قائماً، فوجد صورته قائماً في الحمام، ثم قال: أدبر!
فأدبر، فتأمل صورته في الحمام مديراً. ثم قال: أقبل! فأقبل، فتأمل صورته في الحمام مقبلاً.
فوجدها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يجترئ الرجل أن يسأله
عن سبب ضحكك، إجلالاً له وإعظماً. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان
إذ كانت تأخذ مديتها فتدفعها، وأنت أهديت إلينا مديتك بيدك! ثم قال له: تغديت؟
قال: لا. قال: قربوا له طعاماً. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد
لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبد ما كنت عند ملك الروم متطعاً على أموره
متبعاً لأسراره؛ بل أنت ملك ونديم ملك إذا قدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم
وسقي الخمر حتى إذا ثمل، قال: إن من سنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعاً ولا عطشاناً. فأمر أن يصعد به إلى صرح
كان يشرف منه على كل من في المدينة، إذا صعد، فضربت عنقه هناك، وألقيت
جثته من ذلك الصرح، ونصب رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المغزد بصوت الحراسة
- إذا ضرب بأجراس الذهب - أن يقول، إذا مر على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سه: نجي.

(٢) روى المقرئ عن ابن عبد الظاهر "أن خادماً رأى من مشرف عال ذباحاً، وقد أخذ رأسين من الغنم
فدبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقضى حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بقمه ورمها في البالوعة.
بغاء الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطولع بهذه القضية أهل
القصر، فأمروا بعمله جامعاً" (الخط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بنجام الفاكهاني.

(٣) صه: يأمر بالعود يضرب.

”كل نفس وجب عليها القتل ففى الأرض تقتل، إلا من تعرض لحرم الملك فإنه يقتل فى السماء.“

(١) فلم يدر أحد من أهل مملكته ماذا أراد بذلك حتى مات.

(٢) فليس فى الأرض نفس تصبر على مَضَض الحقد ومطاوله الأيام بها صبر المملوك. ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووجهت آراء ذوى الحجا والتميز فى العمل عليها والمقابلة بها حتى تخرج على وزن واحد وبنظم مؤتلف.

(٣) وكذلك يحكى عن عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق، أنه أقام

٥٣
تكية
مروان
نازعا

(١) روى صاحب ”تنبية الملوكة“ هذه القصة عن الجاحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهى واردة بالحرف فى ”الحاسن والأضداد“ (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) فى ”الأشتقاق“ لابن دريد (ص ٤٩) ما نصه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشديق، وهو الذى يلقب بطيم الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة فى مكة) صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا ذئان قتل طيم الشيطان ”وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون“. قتله عبد الملك بن مروان فى خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، مثل المسعودى (ج ٥ ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (فى حوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لاتدل على تردد عبد الملك فى شأنه بضع سنين كما يصرح به الجاحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لا نهاية لها. سعى فى حل الناس على مبايعة مروان، بعد أن اتفق معه على أن يجعله ولي عهده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، نقض الشرط وجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمرو وليي عهده بعده. ولكن عبد الملك تخلص من خالد بأيسر سبب، وحزبه أمر عمرو وهو يصاحبه. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: ”إنك لتطمع نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل“. فأجابه عمرو: ”استدراج النعم إليك أفادك البغي، ورائحة القدرة أورتك الغفلة. زجرت عما وافقت عليه، وندبت الى ما تركت سبيله. ولو كان ضعف الإنسان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولاذل عزيز. وعن قريب يتبين من صريح بغي وأسير غفلة“. قال فى المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله، فمرة يرجئه، وأخرى يهزم به، ومرة ينجح، وأخرى يقسم، حتى قتله، على أحبث حالاته.

وحدثني قثم بن جعفر بن سليمان^(٢)، قال: حدثني مسرور الخادم^(٣): قال: أشهد بالله! لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبى ثوبه، وهو يقول فى مناجاته ربه: "اللهم! إني أستخيرك فى قتل جعفر بن يحيى". ثم قتلته بعد ذلك بخمس سنين أو ست.

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له، صغرت أم كبرت، فكمن فىل قد وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت أعاؤه، وكمن

١٠ = (ج ٢ ص ٤٤) إنه سُمي بالأشديق لأنه كان مائل الشدق. وأنظر التفاصيل فى المواطن التى نهى عليها. | وأنظر الأقوال الأخرى التى رواها الجاحظ فى سبب تسميته بالأشديق وأنه كان خطيباً مفوهاً "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٢١-١٢٢ وأنظر أيضاً ص ١٨٤-١٨٥ منه.

(١) س: يارود.

(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس. كان عاملاً على المدينة، وأميراً على البصرة. وله فيها مجالس علم وأدب. (أنظر البلاذرى والأغانى فى فهرسهما)

١٥ (٣) فى الأصل: "حسين". ولانعلم أن الرشيد خادماً خاصاً بهذا الاسم. ولذلك أبدلناه بخادمه المشهور وهو: "مسرور". يؤيد ذلك أيضاً رواية "تنبية الملوك والمكاييد" الواردة فى الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة.

(٤) س: مع.

(٥) فى "تنبية الملوك والمكاييد" مانص: "كان الرشيد أدهى الناس وأكتمهم لمره. ومما يدل على ذلك ما حدث به مسرور خادمه، قال: كنت مع الرشيد فى بعض سني حجه، فمعهته وقد أترم المستجار من الكعبة وهو يلتفت يمينا وشمالاً، وكنت بين أستار الكعبة لم يرى. وهو يقول: "اللهم إني أستخيرك فى قتل جعفر بن يحيى!" مراراً كثيرة. فلما سمعته، طارعتلى وخشيت أن يفتلن بى، فيكون ذلك سبب هلاكى. فأقبلت أتعوذ، ولم أزل أحتال حتى استلست من الأستار. قال أبو هاشم مسرور الخادم: فكان بين الوقت الذى أستخار الله فيه فى قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين". (صفحة ١٩٧ - ١٩٨)

شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته^(١)، وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناضها قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء، وكم من جمجمة كانت تُصان وتعل بالمسك والبان قد أُلقيت بالعرء^(٢)، وعُيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والنساء، والخدم والأولياء! ولم يأت الشيطان أحدا من باب قط حتى يراه بحيث يهوى متقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب، إذ كان من ألطف مكايده وأدق وساوسه وأحلى ترييته^(٣)!

(١) أى مصّت عظمه . وفي سـ : ”تمزقته السباع وتمششته“ . وفي صـ : ”تمزقته السباع وتمششته“ . وفي ”الحاسن والأضداد“ : ونهشته .

(٢) أى تُطيب مرة بعد أخرى بالمسك الخ، عله بالخناء يعله ويعله ”الكامل للبرد“ . والعليلة المرأة المطيبة طيبا بعد طيب ”قاموس“ . وفي صـ : تعل . وفي نسخ ”الحاسن والأضداد“ : تعل ، تعل ، تغدا . [أنظر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والحاشية ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب أسم البان على شجرتين مختلفتين . فالأولى هى المساة أيضا بشجرة الخلاف ، وهى التى يهيم بها الشعراء ويشبهون قوام المحبوب بقضبانها . وهى كثيرة بمصر . والخلاف نوع من الصفصاف (Saul) أو هو غيره . ويطلقون أسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يشم رطبا ويستقطر مثل الورد والنسرين والنيلوفر (نهاية الأرب ، فى الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع ؛ وحسن المحاضرة) . وفى ”صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣“ أن البان والخلاف من الفواكه المشمومة وأنهما نوعان .

أما أسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca* . والشجرة الثانية هى التى عناها الجاحظ . تشبه الأثل ولها ثمركاؤه الحوز فيه حب كالفسق ، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط . وهذا الثرى يسمى بالشوع أيضا . ودهنه يدخل فى تركيب نفائس الطيب والأعطار والعوالى . وتوجد شجرته ببلاد العرب . واسمه العلمى (*Guilandina moringa*) واسمه العامى المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية . (راجع ابن البيطار وترجمته إلى الفرنسية فى الكلمات التى ذكرناها) (٤) صـ : نهبت .

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط .

(٦) فى نسخ ”الحاسن والأضداد“ (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل ترايته ، أجل بوائقه .

فعلَى الحكيم المحبِّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أن يطلبَ^(١)
دوامَهما لنفسه بكل خيلة يجد إليها سبيلاً؛ ويدفع مفارقتَهما لكل شئ يقع فيه^(٢)
التأويل بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَطِبَ يُتلف^(٣)، ولا يتَّكل على خيانة خفيت
أو بَغْرَةٍ حَظَى بها أحدٌ من أهل السفَه والبطالة. فإنَّ تلك لا تُسمَّى سلامة، بل^(٤)
إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكَم من فعلة قد ظَهَرَ عليها بعد مرور الأيام
وطول الأزمنة بها، فَرَدَّتْ من كان قد أحسنَ بها الظنَّ حتى تركته كأمس الذاهب،^(٥)
كأن لم يكن في العالم!



ومن حقِّ الملك - إذا أَسَّ بِإنسانٍ حتى يُضحكه ويُهزله ويُفِضِي إليه بستره
ويُخصِّصه دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أن لا يرفع إليه طرفه،
إعظاماً وإكراماً، وتجيلاً وتوقيراً، ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه،
وليكن غرضه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

(١) يُكنَى بالنسيم الدقيق عن النَّفس، وبالماء الرقيق عن الدم.

(٢) سـ : مفارقتَهما بكل. صـ : مفارقتها بكل. | وربما كان الأصوب ما وضعناه في متن الكتاب :
"ويدفع مفارقتَهما لكل شئ الخ" أي يحول دون ارتكابها لأنَّ أمر تكون عاقبته مشكوكاً فيها بين السلامة
والهلاك. | قال في تاج العروس : "قارقه مفارقة وقرافا : قاربه. ولا تكون المفارقة إلا في الأشياء الدينية."*

(٣) صـ : غضب.

(٤) سـ : تسمى.

(٥) الفعل هنا هو ردِّي، مثل أردى، بمعنى أهلك. وفي صـ : فأوردت.

(٦) أمس الذاهب، وأمس الدابر، وخبر كان : كأنها بمعنى واحد. (أنظر لسان العرب في د ب ر)



ومن حق الملك أن لا يرفع أحدُ صوته بحضرة . لأن من تعظيم الملك وتبجيله خفض الأصوات بحضرة ، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزه وسلطانه .

وهذا أدب الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال عز من قائل :
 «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» .
 فآخبر أن من رفع صوته فوق صوت النبي فقد آذاه ، ومن آذاه فقد آذى الله ، ومن آذى الله فقد حبط عمله .
 وكان قوم من سفهاء بني تميم أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : يا محمد !
 أخرج إلينا نكمتك . فقم ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء أدبهم ، فأنزل الله عز وجل :
 «إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»^(١) .

ثم أتى على من غصَّ صوته بحضرة رسوله ، فقال جل اسمه : «إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى»^(٢) .

فمن تعظيم الملك وتبجيله خفض الأصوات بحضرة ، وإذا قام عن مجلسه :
 حتى لا يدخل الملك وهن ولا خلل ولا تقصير ، في صغير أمر ولا جليله .



وكانت ملوك الأعاجم تقول : إن حرمة مجلس الملك إذا غاب كحرمة إذا حضر .

(١) أنظر قصة هذا الوفد في كتب السيرة النبوية ، وفي "صبح الأعشى" (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥) .
 وفي "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣٩) .

(٢) أنظر "محاضرات الراغب" (ج ١ ص ١١٧) .

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها. فمن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سُمي ذا وجه. ومن خالف أخلاقه وشيمه وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سُمي ذا وجهين، وكان عند الملك منقوصاً متصنعاً.^(٢)



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصة نفسه وإما في توكيد ملكه. فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقّه على الملك أن يخلع عليه خلعة في قرار داره، وبحضرة بطانته وخاصته. وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقّه أن يخلع عليه بحضرة العائنة، لينشر له بذلك الذكر ويحسن به الأحدث وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه.

وليس من العدل أن يُفرد المحسن بخلعة فقط، إلا أن تكون الخلعة على شرب أو هيو. فاما إذا كانت لأحد المعيّنين اللذين قدمنا ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل حمالات أو قضاء دين أو إحسان، كائناً ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها.

(١) أى رقيه.

(٢) صنفه: مقصياً. وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيغته هنا "مُقَصَّى" إذ لا يقال

"مقصياً" في أسم المفعول. وأنظر الفاعلوس وشرحه في مادة ق ص ر.

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح والأخلاق، لا الصفراء ثقله وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بوله وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد مزاجه. فأما الدموي^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المندومة، إذ كان بالبدن إليه حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.



ومن حقّ الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفاً بمنازل الطريق وقطع المسافة، دليلاً بهديته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب والنّعاس، قليل السعال^(٣) والعطاس، معتدل المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والمحادثة، قصير المياومة^(٤) والملايلة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالماً بالنادر من الشعر والسائر من المثل، متطرباً من كل فنّ، آخذاً من الخير والشر بنصيب. إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة، حدثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛ وإن ذكر النار، حذّره ما قرب إليها. فزهده مرة، ورغبه أخرى. فإن بالملك أعظم

(١) صم : الدين .

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموي".

(٣) صم : وناره .

(٤) صم : قصير الملايلة .

(٥) صم : متصرفاً .

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالحرّ^(١) إذا أصاب هذا، أن لا يفارقه إلا عن أمرٍ
تقطع به العصمة وتجب به النعمة^(٢).



ومن حقّ الملك، إذا خرج لسفَرٍ أو زُجْجَةٍ، أن لا يفارقه خلعٌ للكساء، وأموالٌ
للصلّات، وسيّاطٌ للأدب، وقيودٌ للعصاة، وسلاحٌ للأعداء، وحِماةٌ يكونون من
ورائه وبين يديه، ومؤنّسٌ يقضى إليه بسرّه، وعالمٌ يسأله عن حوادث أمره وسنة
شريعته، ومُلهٍ يقصر ليله ويكثر فوائده.

وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم، أولّها وآخرها.

وأيضاً فإن ملوك العرب، لم تزل تمتثل هذا وتفعله.

ولنستدعِ الملك وبطانته خلالاً يسأون فيهِ الملك ضرورةً. ليس فيها قصص على
الملك، ولا ضَمّةٌ في الملك. منها: اللَّعِبُ بالكُرّة، وطلب الصيد، والرّمي في الأغراض،
واللَّعِبُ بالشَّطرنج، وما أشبه ذلك.

ومن الحقّ على الملك أن لا يمنع ملاعبه ما يجب له من طلب النّصفَة في هذه
الأقسام التي عدّدنا.

ومن حقّ المُلّا عِب له المشا حةُ والمكالبَة والمساواة والممانعة وترك الإغضاء والأخذ^(٣)

(١) في "القاموس": "الحرّ الخلق". ومنه: بالحرّ أن يكون ذلك. وفي "الصّحاح": ويحدّث الرجل
الرجل فيقول: بالحرّ أنت يكون. [والمعنى هنا أن الملك إذا أصاب رجلاً توقّرت فيه هذه الصفات
فالأحرى والأجدر واللاحق به أن لا يفارقه إلا في الحالة التي نص عليها المؤلف.]

(٢) سر: "القيمة".

(٣) صر: المعاقبة.

من الحق بأقصى حدوده. غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلام رقيق ولا معارضة بما يُزيل حق الملك ولا صياح يعلو كلامه ولا نخير ولا قذف ولا ماهو خارج عن ميزان العدل.

وفيما يُحكى عن سابور أنه لاعب تراباً، كان له بالشطرنج امرأة مطاعة. فقمره^(٢) ترابه. فقال له سابور: ما أمرتك؟ فقال: أركبك حتى أخرج بك إلى باب العاقبة. فقال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فرد غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأيسف لذلك سابور وقام فدعا برفع، فتبرقع. ثم جثا لترابه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعب أحد لعبة على حكم غائب، فمن فعل فدمه هدر.^(٣)

فأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعير، وتوبيخ في مثل ونادر من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُحاطب به الملك ويُعارض فيه. فأما إذا خرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل ترب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.



ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدابته على دابة

(١) النخير: مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا الترب كانت عادته ودينه أن لا يلعب الشطرنج إلا على امرأة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الآحكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

الملك، وصوّب لآنه على صولجان الملك، وأن يعمل جهده في أن لا يُخس حظه ولا يفتر في مسابقة ولا مراكضة ولا التقاف كرة ولا سبق إلى حدّ ونهاية وما أشبه ذلك. وكذلك القول في الرماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج.

سمعت محمد بن الحسن بن مُصعب يقول: ^(٢) "كان لي صديق من بني مخزوم،

- وكان لاعبا بالشطرنج. فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر، فقال: أحضره." ٥
فقلت للمخزومي: تهياً للقاء أبي العباس. وكان متصرفاً كثير الأدب. فغدوت به، فدخل. فلما وقعت عين أبي العباس عليه، وقف. فراه من بعيد، ثم أنصرف من غير أن يكلمه. فقال: هذا رجل من أهل الأدب، فأغد به ولا عبه الشطرنج بحضرتي

(١) ص: ولا عين.

- (٢) اضطرب اسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب. فورد في س: "الحسين"، وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصر وفي "الحسان والمساوي" ص ٢١٧. وورد في ص: "الحسن"، وكذلك في الأغاني وفي س في موضع آخر | أي في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب | أما الطبري فأورد الأسمين، وقرن بينهما صاحب فهرسته بجمل "محمد بن الحسين"، راويا. ولا أدري من أين له هذه التفرقة، فإن متن الطبري لا يفيدها. والظاهر عندي أنها شخص واحد.

- أولا - لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقا، ولو كان روايا - كما يزعم صاحب فهرست الطبري - لكان من الراجح وقوع اسمه في كتاب الأغاني؛

ثانيا - لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذي النينين الذي فتح بغداد باسم المأمون. ومعلوم أن طاهراً هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف. فيكون صاحبنا الذي أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب، وإلا لكان عمه. ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذي أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمين بعد قتله ببغداد. فهو من

- ٢٠ غصبة عبد الله بن طاهر الذي وقعت الحكاية في مجلسه. وقد كان بصيرا بالغناء والنغم، وكان من الملحنين. وذلك لأن أبا الفرج الإصفهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان، وينعت بلقب الأمير. (ابن الأثير ج ٦ ص ٢٠١ و ٣٥٦) و (الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٥٣ و ١٠٢ و ج ٩ ص ٦٢ و ج ١٤ ص ٩١)

حَتَّى أَبُو رَهْ وَعَاشِيَهُ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَالشَّيْثَةِ . فَلَمَّا قَعَدْنَا ، دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةٌ ، فَقُلْتُ : خَذْهَا ، وَأَنَا الْغَلَامُ الْبُوشَنَجِيُّ ! وَهُوَ سَاكِتٌ . ثُمَّ دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةٌ أُخْرَى ، فَقُلْتُ : خَذْهَا ، وَأَنَا مَوْلَى مَخْزُومٍ ! فَسَكَتَ . ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِ ضَرْبَةٌ ، فَقُلْتُ : خَذْهَا يَا أَبْنِ مَخْزُومٍ ، فِي حَرَمٍ مَخْزُومٍ ! فَسَكَتَ . وَأَسْتَوْذِنُ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ صَالِحٍ ، وَكَانَ خَاصًّا بِأَبِي الْعَبَّاسِ ، فَأَمَرَ بِالِإِذْنِ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ الْهَاشِمِيُّ وَقَعَدَ ، قَالَ [لِي] الْمَخْزُومِيُّ : لَيْسَ فِيكَ مَوْضِعُ شَرَفٍ وَلَا عِزٍّ ، فَأَفْأَحْرُكُ ! أَنْتَ بُوشَنَجِيٌّ ثُمَّ دَانِقٌ ! وَلَكِنْ قُلْ لِهَذَا الْهَاشِمِيِّ يَفْأَحْرُنِي حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ حَالُهُ . فَأَمَّا أَنْتَ ، فَمَنْ أَنْتَ حَتَّى أَفْأَحْرُكَ ؟ فَضَحَكَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَتَّى فَصَّ بِرَجْلَيْهِ ، وَأَمْرُهُ بِخَمْسَةِ دِينَارٍ وَقُرْبِهِ وَآلَتِهِ .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ ، إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ ، أَنْ يَنْهَضَ مِنْ حَضْرَةِ مَنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ ، بِحُكْمَةٍ لَيْسَتْ خَفِيفَةً ، حَتَّى يَتَوَارَى عَنْ قَرَارِ مَجْلَسِهِ ، وَيَكُونُ بِحَيْثُ يَقْرُبُ مِنْهُ إِذَا آتَتْهُ . وَلَا يَقُولَنَّ إِنْسَانٌ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ هَبَّ مِنْ سَيْتِهِ لَا يَسْأَلُ عَنِّي ، أَوَّلَعَلَّهُ أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ النَّوْمُ أَوْ يَعْزِضَ لَهُ شُغْلٌ . فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْخَطِيئَةِ . وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ رُجُلًا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ .

(١) الْبُورُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِمْتِحَانُ كَالْأَبْيَارِ . قَالَ فِي نَقَائِصِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ (ص ٣٥٤) : ” وَهَذَا كَلَّةُ أَبْيَارٍ مِنْهُ لِلنَّاسِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى خَلْعِهِ “ .

(٢) يُظَنُّ بِبَعْضِ الْجَهْلَةِ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُتَعَدِّلِينَ مَالُوا إِلَى الشَّمِّ لَفْظًا وَمَعْنَى ، دُونَ أَنْ يَنْقَطِعُوا إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمَصْدَرِ . وَالْقَامُوسُ وَشَرَحَهُ وَكُلُّ مَتُونِ اللَّفْظَةِ وَالْجَاخِظِ وَأَمْثَالِهِ شَهْدٌ عَدْوَلٌ . وَأَنْظَرُوا بِضَاحِشِ الْقَامُوسِ فِي مَادَّةِ هُزْلٍ فَقَدْ صَرَحَ بِأَنَّهُمْ اشْتَقَوْا الشَّيْثَةَ مِنَ الشَّمِّ | وَأَنْظَرُوا الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ج ٢ ص ٦ |

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى نَشْأَتِهِ بِمَدِينَةِ بُوشَنَجٍ مِنْ خُرَّاسَانَ .

(٤) كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ تَرْكِيبًا إِضَافِيًّا مِنْ كَلِمَتَيْنِ . وَحُذِفَ حَرْفُ الْأَلْفِ مِنَ الثَّانِيَةِ . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ . وَهُوَ شَيْثَةٌ . وَبِضَارِعِ ذَلِكَ فِي حَذْفِ الْأَلْفِ ، قَوْلُ الْعَرَبِ : ” لَابَّ لَكَ “ أَيْ لَا أَبْ لَكَ ، وَقَوْلُهُمْ : ” وَبِلْمَةٍ “ (أَنْظَرُ تَاجَ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ وَ ي ل) . | وَأَنْظَرُ صَفْحَةَ ١٣٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ | .

(٥) أَيْ ضَرَبَ الْأَرْضَ بِرَجْلَيْهِ كَثِيرًا حَتَّى كَأَنَّهُ يَبْحِثُ فِيهَا .

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقاً، وهو وإن سلم من عدل
ملك ولائته لكرم الملك، وشيئته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطغن عليه، وبالحرى
، لا يسلم من عدل وتأنيب^(١).



ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لحصولها منها - أنه
إمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة
، قرار داره وموطئ يساطه، ولو حضر مجلسه أزهى الخلق وأعلمهم .
فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع،
أن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا بسجود ولا قيام .
وهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوماً من صغير أو كبير أو شريف أو ضيع،
فهو للملك أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائماً . فإنهم لا يدرون أريد
تنقلاً أو دخولاً أو قعوداً في مجلسه^(٢).

فإن قام لنافلة، فليس من حقه أن يتنقلوا . لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع
صلاته لحديث، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصلون بإزائه، وهو قاعد .
ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يعلموا ما الذي يفعل . فإن قعد، انحرفوا إلى
حيث لا يراهم، فصلوا نوافلهم . وإن دخل في الصلاة، صلوا على مكاناتهم^(٣).

(١) أنه تأنيباً: عطفه ولامه . (حاشية في صـ)

(٢) صـ: بالإقامة .

(٣) في صـ: "تنقلاً" بالقاف، ولكن بقية السياق تدل على أنه بالغاء .

(٤) المكانة المنزل عند مالك . (قاموس) . وقد وردت هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن

الملوك" (ص ٧٨)

وقد قلنا إنَّ من حقِّ الملك أن لا يتبدَّه أحدٌ بمسيرة. وإن طلب ذلك منه من يستحقُّ المسيرة، فالذي يُجزئه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فإن أوماً إليه، سايره، وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسيرته. ومن حقِّه، إذا سايره أن لا يمسَّ ثوبه ثوب الملك، ولا يُدني دابَّته من دابَّته، ويتوخَّى أن يكون رأس دابَّته بإزاء سرج الملك، غير أنه لا يكلفه أن يلتفت إليه. ولا ينبغي له أن يتبدَّه بكلام.

وإن كان لا يثق ببلين عنان دابَّته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأي له أن لا يسايره. فإن في مسيرته وُضمة عليه وعلى الملك. أمَّا عليه، فإنه يحتاج إلى حركة متواترة يُتعب بها نفسه ودابَّته، ويخرج بها عن حدِّ أهل الأدب والمروءة والشرف. ولعلَّه في خلال ذلك أيضاً أن لا يبلغ ما يريد. وأمَّا على الملك، فإنه وهن في المملكة. لأنَّ الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابَّته، كان إنما يسير عند ذلك بسيره. وليس في آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأساورة والديريذ وموبدان موبد ومن أشبه هؤلاء من خاصة الملك، إذا همَّ الملك بالمسير في تزهة أو لبعض أموره، عرضوا دوابهم

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (الذنب والإشراف للسعودي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب الكتاب المقدس عند المجوس. وربما كان الصواب في هذا المقام: "ديريذ" من كلمتين الأولى فارسية والثانية عربية بمعنى "كاتب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه المسعودي، ألهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التنقيف. [أنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبد فهو القاضي، وموبدان موبد هو قاضي القضاة. وموبد من ألقاب الفهلوية، وهي اللغة الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جز ٦ ص ٣٧٥).

على راضية الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك
للسايرة والمحادثة ، فيحتاج إلى معاناة دابته لبلاديه أو كثرة نفور أو عثار أو جماح .
فيكون على الملك من ذلك بعض مايكره . وكان الراض يمتحن دابة دابة من دواب
هؤلاء العطاء ، فما اختار منها ركب ، وما نفى أرجى .

وأيضاً إن من حق الملك ، إذا سايره واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تتحصن^(١)
ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذاة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

وفيما يُحكي عن ملوك الأعاجم أن قبازاً ، بينا هو يسير والموبذ يسايره ، إذ راثت
دابة الموبذ وفطن لذلك قباز . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له في كلام بينهما : ما أول
ما يستدل به على سُخف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أن يَعْلِف دابته في الليلة
التي يركب في صبيحتها الملك . فضحك قباز حتى أفتر عن نواجذه . وقال : لله أنت !
ما أحسن ما صنعت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزيمة
أحكامهم في يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن
ظهر هذا الجاني عليك إلى ظهر هذا الطائع لك .^(٢)

(١) تحصن الفرس صارحصاناً أي إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تثب على الدابة التي تكون
قدأما كما يفعل الفحل . لتلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباي إذ ركب في محرم سنة ٨٧٦ ومعه
الأتاكي أربك (منشئ الأزبكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . وفي أثناء الطريق سب فرس
الأتاكي على فرس السلطان ورفسه . فجاءت الرفسة في قصة ساق السلطان فأنكسرت ، فبذل بسبيين وهو في غاية
الأم . واستحضر السلطان حقة من القاهرة ليعود عليها . (وأنظر التصيل في آبن لباس ح ٢ ص ١٢٨)
(٢) معرب قباز . وفي كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتي حلوان وكازرون . وأقول إن حلوان هذه
من غير التي بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة في العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد
وسمر من رأى . [وأنظر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .

(٣) رواها في "محاسن الملوك" بأختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف في "المحاسن
والمساوي" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

وهكذا يحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السميط^(١) يسايره، إذ رايت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة. فططن معاوية بروث الذابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمّت، دأّت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هامت فإنها عظيمة، وعقل ضعيف ناقص. فتبسّم معاوية، وقال: كيف ذلك، ولله أنت! قال: لإطعامي هذا النائل أمه البارحة مكوكى شعير. فضحك معاوية، وقال: أَلَحْشَتَ، وما كنت فاحشًا! وخمله على دابة من مراكبه.

(١) هو أبو السمح الكندي. كان من رجال معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص للملافة أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان الممدودين، وأشارك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية ويسان وأجنادين. وقد طلب من علي عليه السلام أن يدفع قتلة عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذى فتح حصص ثم تولّاها لمعاوية، وهو الذى قسم منازلها بين أهلها. ومما يحسن ذكره للتمريف بجلالته في نفسه وقومه أنه اعتزل مع ولده بنى معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقالوا لهم: "إنه لتقيس بالحرار الأحرار | التنقل. إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتركمون أن ينتقلوا إلى أوضاع منها، بخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لنأمل قوما على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ٢١٨، وتاج العروس في باب الباء وفي باب اللام)

(٢) إقديت في هذا الموضع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. وأنظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب.

(٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٩٧).

فليتنكب من يسير الملوك ما يقضى أعينهم بكل جهده . فإن لمسايرتهم شروطا يجب
على من طلبها أن يستعملها ويتحفظ فيها . وقلمّا حظى أحد بمسايرة ملك حتى يكون
قبلها مقدمات يجب بها الخطوة .

فأما نفس المسيرة للملك المتصلة ، فإن الأعاجم كلها كانت تتطير منها وتكرهها .
وأیضا فإن الملك لم يكن يثابر على مسايرة أحد من بطانته بعينه ، لما كان يعلم من
طيرتهم من ذلك وكراهتهم له .

ويقال إن سعيد بن سلم^(١) ، بينا هو يسير موسى أمير المؤمنين ، وعبد الله بن

(١) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي . كان بميلة عظيمة من الهادي ومن الرشيد بعده ، وكان
يركب معه في قبة واحدة . وقد استعمله الرشيد على الموصل ، ثم على الحريرة ، ثم على أرمينية . خرج الحرير عليه فهرموه
وعملوا الأفاعيل المنكرة التي لم يسمع بمثلا لها . فأرسل الرشيد رجلا من أصحابه ما أفسده . ثم ولاء مَرَعَش
فأعارت الروم عليها وأصابوا من المسلمين وأدبروا ، ولم يتحرك سعيد من موضعه . وكان ذلك سنة ١٩١ .
قال سعيد إن أعرابيا مدحه بيتين لم يسمع أحسن منهما .

أيا ساريا بالليل ، لا تحش صلاة ! سعيد بن سلم صوّء كلّ ملاد .
لنا قمرم أرني على كلّ مقرم ، حواد حتا في وحده كل حواد .

فأعمل صلته وهجاه بيتين لم يسمع أحسنهما

لكلّ أحي مدح ثواب علمته ، وليس لمدح الباهلي ثواب .
مدحت ابن سلم ، والمدح مهرة ، فكان كصفواي عليه راب .

(إن الأثير ح ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ ، و "الأعالي" ح ١٧ ص ٣٢)

وح ٢١ ص ٢٣٤ ، و "عيون الأساء" ح ١ ص ١٥٤ ، و "أمالى الفالى" ح ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمامته، والحربة في يده، فكانت الريح تسقي التراب الذي تُشير به دابة عبد الله في وجه موسى، وعبد الله لا يشعر بذلك، وموسى يحيد عن سنن التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضعه، فيطلب أن يحاذيه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيهِ. حتى إذا كثرت ذلك من عبد الله، ونال موسى أدنى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما أقصر في الاجتهاد، ولكنه جرم حظّ التوفيق. (٤)

وفياً يذكر عن عبد الله بن حسن أنه بيتاً هو يساير أبا العباس [السفاح] بظاهر مدينة (٥)

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهديّ فالهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وانتهت بضمّ الحما على يد أحد المزورين من حيث لا يعلمان ولا يعلم (سافها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة أشتكاه:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُطْلَبَةً * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وَعَكَ.

يا ليت ما بك بي، وإن تَلَفْتَ * نفسى لذاك! وقُلْ ذاك لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤ و أنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ج ٨ ص ١٠٥ و ج ١٦ ص ١٦٧). [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب].

(٢) يستفاد من كلام الجاحظ هنا مضافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة وولى عهده أن يسير قائد بحرية بين يدي كلّ منهما.

(٣) كذا في سـ، صـ، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعلّ الأصل: "المائق".

(٤) نقل ابن عبدربه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يشتر إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦)

ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧)

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور.

لأن السفاح اجتهد في ترصّيه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمداً النفس

الزكية وإبراهيم خرجا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبدربه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨

ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري والكمال للبرّد بمقتضى فهرسهما).

الأخبار وهو ينظر إلى بناء قد بناءه ، فقال أبو العباس له : هات ما عندك ، يا أبا محمد !
(١) وهو يستطيع الحديث بالأنس منه) فأنشده :

أَلَمْ تَرَ مَالِكًا تَبَيَّنَ * بِنَاءَ نَفْعِهِ لِبَنِي بَقِيلَةَ ؟
يَرْجَى أَنْ يَعْمَرَ عُمَرُ نَوْحَ ، * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ !

فتبسّم أبو العباس كالغضب ، وقال : لو علمنا ، لأشترطنا حقّ المسيرة ! فقال
عبد الله : يا أمير المؤمنين ، بوادِر الخواطر وإغفال المشايخ ! قال : صدقت ، خُذْ
في غير هذا .

وذكر المدايني أن عيسى بن موسى ، بينا هو يسير أبا مسلم عند مُنصرَفه (٣) (٤)

(١) م : يستفهمه .

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة (ص ٨٣ و ٨٤) ، ورواها أيضا صاحب الأعاني
(جزء ١٨ ص ٢٠٦) باختصار ، وأورد البيت الأول هكذا :

أَلَمْ تَرَ حَوْشِبَا أَمْسَى يَبْنِي * بِنَاءَ نَفْعِهِ لِبَنِي بَقِيلَةَ

ونقيلة تصحيف في المحاسن وفي الأعاني ، إذ لم يرد في أسمائهم ، والذي ورد من هذه المادة إنما هو نُفَيْل .
وأما بقيلة فهو الاسم الصحيح الوارد في متون اللغة وكتب التاريخ . قال أبو ذؤيد : "ومنها (أي من العرب) بنو سَين
وهم بالخيرية منهم بقيلة صاحب القصر الذي يقال له قصر بني بقيلة بالخيرية . منهم عبد المسيح بن عمرو بن حيان
أبن بقيلة الذي صالح خالد بن الوليد على الخير ، وكان من المعمرين وهو الذي بعث به كسرى أبرويز إلى
سطيح بالشام في رؤيا الموبدان ، وله حديث " . وفي حاشيته مانصه : "في معجم الشعراء للرزباني رحمه الله :
عبد المسيح بن بقيلة الغساني هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة . وبقيلة اسمه ثعلبة بن سَين
ويقال الحارث . وسمي بقيلة لأنه خرج في يردّين أخضرين ، وقيل له : يا حارث ! ما أنت إلا بقيلة خضراء .
فغلبت عليه . (الاشتقاق ص ٢٨٥) ؛ وراجع الطبري وآبن الأثير في فهرسهما ؛ وتاج العروس في ب ق ل ،
ون ف ل ؛ والمسعودي ج ١ ص ٢١٧ - ٢٢٢ وج ٢ ص ٢٢٨ ؛ وكتاب البلدان لليقوتى ص ٣٠٩ . وقد
أورد هذه الحكاية صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤) وجاء في النسخة المطبوعة : "بقيلة" بالنون والفاء .
وهو غلط أيضا من النسخ أو الطابع . وأوردها أيضا في "محاسن والمساوي" (ص ٤٩٨) ، ولم يلفظ
طابعه في "بقيلة" .

(٣) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله الهاشمي (راجع فهراس آبن الأثير والأغاني) .

(٤) هو أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية بخراسان . [وأنظر ص ١٧٦ من هذا الكتاب وحاشية ٣ منها] .

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه، إذ أنشد عيسى :

سَيَاتِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ، * وَمَا حَلَّ فِي أَكْثَافِ عَادٍ وَجُرْهُمُ،
وَمَنْ كَانَ أَنَايُ مِنْكَ عِزًّا وَمَقْخَرًا، * وَأَنهَدَ بِالْجَيْشِ اللَّهَامِ الْعَرَمَرِمَ .^(١)

فقال أبو مسلم : هذا مع الأمان الذي أُعْطِيَتْ؟ قال عيسى : أَعْتَقُ مَا أَمْلِكُ إِنْ
كَانَ هَذَا لَشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ ! وما هو إِلَّا خَاطِرٌ أَبْدَاهُ لِسَانِي . قال : فَبَيْسَ الْخَاطِرُ
وَاللَّهِ إِذْ ذَنْبُ^(٢) !

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُسَمَّى وَلَا يُكْتَبَى فِي جَدٍّ وَلَا هَزْلٍ وَلَا أَنْسٍ وَلَا غَيْرِهِ .
ولولا أَنَّ الْقَدَمَاءَ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَتَبَتْ الْمُلُوكَ وَسَمَّوْهُمْ فِي أَشْعَارِهَا وَأَجَازَتْ ذَلِكَ
وَأَصْطَلَحَتْ عَلَيْهِ، مَا كَانَ جَزَاءُ مَنْ كَتَبَ مَلِكًا أَوْ خَلِيفَةً إِلَّا الْعُقُوبَةُ . عَلَى أَنَّ مَلُوكَ
أَلْ سَاسَانَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ رِعَابَاهَا قَطُّ وَلَا سَمَّاهَا فِي شِعْرِ وَلَا خُطْبَةٍ وَلَا تَقْرِيطِ
وَلَا غَيْرِهِ . وَإِنَّمَا حَدَثَ هَذَا فِي مَلُوكِ الْخِيرَةِ^(٤) .

(١) صه : أدنى .

(٢) كثير النود أو النهوض بأمر الجيش والقيام بأعبائه .

(٣) نقلها في "المحاسن والمساوى" (ص ٩٨٨) .

(٤) أظن يقوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأساطيرها في الجاهلية ، ولم يذكر لنا شيئاً عنها في أيام
عظمتها على عهد الإسلام . وإنما استفدنا منه أنها بقرب النَجَف . ولذلك رأينا أن ثبت هنا مجاء عنها
في الأغاني (ج ٨ ص ١٢٥) ليعرف القارئ مكانها التي دخلت الآن في خبر كان . قال :

« كان بعض ولاية الكوفة يذم الخيرة في أيام بني أمية . فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً :

— أتعيب بلدة بها يُضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟

— وبها ذا تُمدح ؟ =

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المنشور ملكًا

== بصحة هوائها ، وطيب مائها ، وزهرة ظاهرها . تصلح للنفّ والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارعهم ، ومسكنهم ومناوهم . وقد قدمتها — أصلحك الله — مُخَفِّفًا فرجعت مُثْقَلًا ، ووردتها مُقَلًّا فأصارتك مُكثَّرًا .

— فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟

— بأن تصير إلى ، ثم أَدعِ ماشئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة !

— فأصنع لنا صنيعة [Une partie de plaisir] ، وأخرج من قولك .

— أقفل !

فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وسمنها وما صيد من وحشها : من ظباء ونعام وأرانب وحبارى . وسفاهم ماءها في قلاها ، ونحرقها في آيينها . وأجلسهم على رُقها ، وكان يُتخذ بها من الفراش أشياء ظريفة . ولم يستخدم لهم حرا ولا عبداً إلّا من مولدتها ومولداتها ، من خديم ووصائف كأنهم اللؤلؤ ، لغتهم لغة أهلها . ثم غناهم حنين وأصحابه في شعر عديّ بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى همدان لم يجاوزهما . وحياتهم بر ياحينها . ونقلهم على نحرها — وقد شربوا — بفواكهها . ثم قال :

— هل رأيته استعنت على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وأقترشت وشممت وسمعت ، بغير ما في الحيرة ؟

— لا ، والله ! ولقد أحسنت صفة بلدك ، ونصرتة فأحسنت نصرتة والخروج مما نصّمتة . فبارك الله لكم

في بلدكم ! »

وكان ابن مُبرِّمة يقول : ” يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنتين “ . (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) . وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في بحر الإسلام (الأعلاق الفقيسة لأبن رُسْتَمَة ص ١٩٢ و ٢١٧) .

وكانت عمارة الكوفة سببا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط ومُسرّ من رأى . وأنت علم بما صارت إليه البصرة وبغداد . وهذه الستة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين . وناهيك بها من أمصار رفعت للحضارة أعلى منار ! فسبحان من يبيده ملكوت الأرض والسماء ! يتصرف بالبلاد والعباد كما يشاء !

أو خليفة وهو مخاطبه باسمه ، كان جاهلاً ضعيفاً خارجاً من باب الأدب .
(١) (٢)

ولولا أن الاصطلاح منعنا إيجاب المنع من ذلك ، كان من أول ما يجب .

ولا أدري لم فعل القدماء ذلك ، كما أنى لا أدري لم أجازته ملوكها ورضيت
به ، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شئ وترقى عنه .
(٣)

وكانت الخفاة من العرب بسوء أدبها وغلظ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه
وسلم) - خاطبوه ودعوه باسمه وكُنيتِه . فأمّا أصحابه ، فكانت مخاطبتهم إياه : "يا رسول
الله !" و "يا نبي الله !" .

(١) صه : "الاضطلاح" ويجانبها "الاصطلاح" . وفي سه : الاصلاح .

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة - فهو أول من منع الناس أن ينادوه
باسمه . (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر) . ولكن يظهر أن ذلك الأمر تراخى بتطول العهد ، فعاد القوم
إلى ما كانوا عليه .

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يحرّون عند إنشاد القصائد على أحد الخلفاء والأمراء ،
فيتخيرونها من التي لا يكون فيها اسم معشوقة يشابه اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة (الأغاني ج ٥ ص ١٧٤) .
وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال : كنت عند الرشيد ، فأهديت له أطباقاً
ومعها رقعة . فلما قرأها ، أسفّزته الطرب . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما الذي أطربك ؟ فقال : هذه هدية
عبد الملك بن صالح . ثم نبذ إلى الرقعة ، فإذا فيها بعد البسملة : "دخلتُ ، يا أمير المؤمنين ، بسنا ناعمرته بنعمتك ،
وقد أئنت أئمناره وفاكته . فأخذتُ من كل شئ (وعدد أنواعاً من الفاكهة) وصيرته في أطباق القُضبان
ووجهته لأمر المؤمنين ، ليصل إلى من بركة دعائه ، ما وصل إلى من برّه ونعمائه" . قلت : يا أمير المؤمنين ،
وما في هذا يقتضى هذا السرور ؟ فقال : ألا ترى إلى ظرفه ، كيف قال : "القضبان" ؟ فكنتي به عن

الخيزران ؛ إذ كان يجري به اسم أمنا . ٢

وهكذا يجب للملك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! ويا أمين الله! ويا أمير المؤمنين! (٣)

(١) لم يرخص أبو بكر الصديق بأن يُسمى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٣٧٤) فضلا عن أن يُسمى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى اصطلاحهم على خلاف ذلك. قال الزجاج: جاز أن يقال للامة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا آدَارُؤُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٣١٤). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُستسقى به المطر". وقال بشر (وإن كان من باب التهنئة):

ضاعت خلافتكم ، فأقوم ، فآلتموا * خليفة الله بين الرق والعود!

وقد قال صاحب محاضرة الاوائل إن المعتمد بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. فعمل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. ولا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا.

(٢) قال حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان.

إني رأيت أمين الله مضطهدا * عثمان رهنا لدى الاجداث والكفن.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصه:

«وإنما يُسأخ بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسان:

مَجَّوَتْ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ.

وكقول المرأة تخاطبه:

أَمَحَدٌ، وَلَدَتْكَ ضَنْءُ كَرِيمَةٍ * فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ لَحْلُ مُعْرِقٍ!

رَوَى أَنَّهُ أَقْدَمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ ضَبِيَّةٌ لَهُ وَأَهْلُهُ، فَقَالَ يُخَاطِبُهُ:

يَا عُمرَ الْحَبِيرِ جُرَيْتَ الْجَنَّةِ * أَكُنْ بَنِيَّ وَأَمْنَتَهُ

أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَتَنْعَلَنَّهُ

فَقَالَ عُمرُ: يَكُونُ مَاذَا؟ فَقَالَ:

يَكُونُ عَنْ حَالِي لَسَّالَتَهُ =

ومن حقَّ الملك، إذا دخل عليه زُجْلٌ، وكان اسمُ ذلك الرجل الداخل أحدَ صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يُكَيِّ عنه ويُحَيِّ بِاسْمِ أبيه. كما فعل سعيدُ

= فقال عمر: متى؟ قال:

يومَ تكون الأعطياتُ بحته * والواقفُ المسؤولُ بيهنئه
إما إلى نارٍ وإما جَنَّة.

فنبذ عمر رضى الله عنه قِيَصَهُ، وقال: هذا جَنَّةُ ذلك اليوم!

وروى أن الرشيدَ جلس يوماً للظالم فرأى في الناس شيخاً حسن الهيئة. فلما تقوَّض المجلس، قام الشيخ وبيده قصته، فأمر بأخذها. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في قراءتها، فإنِّي أحسنُ تعبيراً لخطي. قال: أقرأ! قال: يا أمير المؤمنين، إني شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ، والمقامُ عظيمٌ. فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في الجلوس؟ فقال: اجلس! اجلس. ثم قال:

ياخيرَ من جدَّت لرحلته * تُجِبُّ الركابَ همهمه جلس!

يقول فيها:

لما رأتك الشمسُ طالعةً، * سجدت لوجهك طلعةُ الشمسِ.
خيرُ البريةِ أنت كلَّهم * في يومك الغادى وفي أمسِ،
وكذلك لم تنفك خيرهم * تُمسى، وتُصبح فوق ما تُمسى.
لله ياهرون من ملك * عَفَّ السريرة طاهر النفس!
نمت عليه لربه نعمهم * تردَّد جسدتها على اللبسِ.

(أردت قوله "لله ياهارون")

وبقية الشعر:

من عترة طابت أرومتها، * أهل العفاف ومثني القُدسِ.
مُتَلَلِّينَ على أسرَتهم * ولدى الهياج مصاعبِ شمسٍ =

ابن مرة الكندي، حين أتى معاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مرة! ^(١)

وكما قال السيد بن أنس الأزدي ^(٢) - وقد سأله المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس! ^(٣)

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنو أبيه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله! ^(٤)

= إني لجأت إليك من فزع * قد كان شردني من الأس
لما استخرت الله مجتهداً * يمتُّ نحوك رحلة العنيس
وأخترتُ حهلك لا أجارزه * حتى أغيبَ في رُئي الرّيس

فلما أتى على آخرها، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
وأمر له بخمسة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المغيرة لعمري رضي الله عنهما: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذلك نبي الله داود! قال: يا خليفة رسول
الله! قال: ذلك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذلك أمر يطول! قال:
يا عمر! قال: لا تجسّ مقامي شرفه! أتم المؤمنين، وأنا أميركم. فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين!

(١) روى ذلك صاحب "مخائن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "الحاسن والأضداد" (ص ٢١)
وفي "الحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة عبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "الحاسن والأضداد"
(ص ٢١) و"الحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

الآتراه: (رحمه الله) كيف تتخلص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فاستعمله؟
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة المملوك، إذ كانت صيغتهم غير صنيغ العامة،
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى المملوك.



ومن حقَّ المَلِك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامعٌ في أن
يشركه فيها.

(١) وما يدخل في هذا الباب ما حكاه ياقوت الجوى في معجم الأدباء (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ
مرجوليث) أن "أبا زيد البلخي" لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - سأله عن اسمه. فقال: أبو زيد.
فغضب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعد ذلك من سقطاته. فلما خرج، ترك
خاتمه في مجلسه عنده. فأبصره أحمد بن سهل، فأزداد تعجباً من غفلته. فأخذه بيده ونظر في نقش قصه،
فاذا عليه: أحمد بن سهل. فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة بينه وبين اسمه، وأنه أخذ
بحسن الأدب وراعى حد الاحتشام، واختار وصية التزام الخطأ في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير
بالاستعمال والابتدال.

وروى ابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي وائل: أيكأكبر، أنت
أم الربيع بن نعيم؟ قال: أنا أكبر منه سنًا، وهو أكبر مني عقلاً.

وقال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فقال: لقد أكلت في عرس أمك، يا أمير المؤمنين.
قال: عند أي أزواجها؟ قال: عند حفص بن المغيرة. قال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان! فانه يغضب غضب
الصبي ويأخذ أخذ الأسد. (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢). قال الحجاج للهلب: أنا أطول أم أنت؟ فقال:
الأمير أطول، وأنا أبسط فامةً منه. (الححسن والأضداد ص ٢٢، والححسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأولي به أن يقتدى بطاويس المعنى المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان: أينما أسن؟ فقال:
"أبي وأمي أنت! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب." (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣؛ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١١٧). وأورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلق
عليها تعليقاً لطيفاً، فقال: فأنتظر إلى حذقه وإلى معرفته بخارج الكلام! كيف لم يقل "زفاف أمك الطيبة
إلى أبيك المبارك" (أنظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤)

(٢) ص: "كانت صنيغهم غير صنيغ العامة."

فمنها الحِجَامَةُ، والقَصْدُ، وشُرْبُ الدَّوَاءِ، فليس لأحدٍ من الخاصَّةِ والعامةِ ممن
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك .

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول : ” إذا أراق المَلِكُ
دمه ، فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتَّى يساوى المَلِكُ في فعله ، بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر المَلِكِ ، والتشاعُلُ بطلب سلامته ، وظهور عافيته ،
وكيف وجد عاقبة ما يعالجُ به . “

وليس الاقتفاء بفعل المَلِكِ في هذا وما أشبهه من فعلٍ مَنْ تَمَّتْ طاعته وصَحَّتْ
نِيَّتُهُ وحُسُنَتْ معونته ، لأن في ذلك آسْتِهَانَةً بأمر المَلِكِ والمملكة .

ومن قصد إلى أن يشرك المَلِكُ في شئ يجد عنه مندوحةً ومنه بدءاً بالمُهْلِ
المبسوطة والأيام الممدودة ، فهو عاصٍ مفارقٌ للشرعية .

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت . وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى : ” يا أهل الطاعة ! ليكن منكم تركُ الحِجَامَةِ
في هذا اليوم على ذِكْرٍ ! ويا حجاجمون ! اجعلوا هذا اليوم لنساءكم وغسل ثيابكم ! “
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء .



ومن حقَّ المَلِكِ - إذا عطَسَ - أن لا يُسَمَّتْ ؛ وإذا دعا ، لم يؤمَّنْ على دُعائه .
وكانت ملوك الأعاجم تقول : ” حَقِيقُ عَلَى المَلِكِ الصالح أن يدعو للرعية الصالحة ،
وليس بمحققٍ للرعية الصالحة أن تدعوَ لِلْمَلِكِ الصالح : لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاءُ
المَلِكِ الصالح . “

ومن حقَّ الملك أن لا يعزّيه أحدٌ من حاشيته وحاشيته وأهل بيته وقربته .
وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة ، أو لمن قارب الملك في العزّ والسلطان
والبهاء والقدرة . فإما من دون هؤلاء ، فيهنّ عن التعزية أشدّ النهي .^(١)

وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعضٌ بنيه وهو صغير ، فجاءه الوليد
فعرّاه ، فقال : يا بُنيّ ! مصيبتى فيك أقدم في بدنى من مصيبتى بأخيك ! ومتى رأيت
أبنا عزّى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! أمّي أمرتني بذلك . قال : ذاك يا بُنيّ
أهونٌ عليّ ! وهذا العَمْرَى من مشورة النساء !^(٢)

ومن أخلاق الملك سرعة الغضب ، وليس من أخلاقه سرعة الرضا .
فأما سرعة الغضب ، فإنما تأتي الملك من جهة دوام الطاعة . وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره . فإذا ألقت النفس هذا العزّ الدائم ، صار أحد صفاتها .
فتقرع حسّ النفس ما لا تعرفه في خلقها ، نفرت منه نفورا سريعا ، فظهر الغضب ،
أنفةٌ وحميةٌ .

وأما رضا الملك فبطيءٌ جدّا . لأنه شيءٌ تُمانعه النفس أن يفعله ، وتدفعه عن
نفسها . إذ كان في ذلك جنسٌ من أجناس الاستخذاء ، وخلقٌ من أخلاق العادة .

(١) ص : والقربة .

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن

الملك" (ص ٣٤) وختمها بأن عبد الملك قال لأبيه : "والله لتعزيتك إياي أهون عليّ من قبولك

مشورة النساء ! " وهي أحسن من روايتنا . ثم أضاف على ذلك ، أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز

وغيرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأسا ."

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره ليلةً من الليالي. فقال له بعض سُمَّاره: يا أمير المؤمنين! فلان لو رآه أعدى خلق الله له، لرحمه وأنصر له قلبه. قال: ولم ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ما له من الذنب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فمَن عليه، يا أمير المؤمنين، برضائك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلت إنك يا أمير المؤمنين لما صغرت ذنبه، طمعت في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يحسن أن يغضب ولا يرضى.

وعلى هذا أخلاق الملوك وصنيعهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخزاعي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله وحشمه وجميع قرابته أن يجتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه وبذنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يدن منه أحد ولم يطف به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إن لك عندى يدًا لا أنساها ومعروفًا ما أكفره. وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين في أمرك. وها أنا ذا بين يديك ونصب عينيك! فمرني بأمرك! فوالله

(١) يقال في اللثة عَصَرَ العنب ونحوه فَأَنصَر. وفي المفضليات:

وَهِيَ لَوْ يَعَصُرُ مِنْ أَرْدَانِهَا * عَيْقُ الْمِسْكِ، لَكَانَتْ تَعَصِرُ.

ومن شواهد النحاة:

خَوْدٌ يَغَطِّي الْفَرْعَ مِنْهَا الْمُؤَرَّرُ * لَوْ عَصَرَهَا أَلْبَانُ وَالْمِسْكِ أَنْصَرُ.

وكنتي الجاحظ بأنصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان" أى يابس عطشا.

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب.]

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الغليل.

لأَجْعَلَنَّ نَفْسِي وَقَايَةَ نَفْسِكَ، وَأَسْوَقَهَا فِي كُلِّ مَا نَكَّاهَا أَوْ جَرَّحَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ خَيْرًا، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بَعْدَهُ فِي مَوْجِدَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ. فَوَعَدَهُ مُحَمَّدٌ أَنْ يُكَلِّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْبِرَهُ بِأَعْتِزَارِهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ مُحَمَّدٌ وَافَاهُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَكِبَ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: مَنْ أَتَيْتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: عَبْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، وَهُوَ يَحْلِفُ بِطَلَاقِ نِسَائِهِ وَعِتْقِ مَمَالِكِهِ وَصَدَقَةَ مَالِهِ مَعَ عَشْرِينَ نَدْرًا يُهْدِيهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ حَافِيًا رَاجِلًا، وَالْبَرَاءَةَ مِنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ مَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعَهُ اللَّهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، أَوْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَوْ هَمَّ بِهِ أَوْ أَضْمَرَهُ أَوْ أَظْهَرَهُ. قَالَ: فَأَطْرَقَ الرَّشِيدُ مَلِيًّا مُفَكِّرًا. وَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يَلْحَظُهُ، وَوَجْهَهُ يُسِيرُ وَيُشْرِقُ حَتَّى زَالَ مَا وَجَدَهُ. وَكَانَ قَدْ حَالَ لَوْنُهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أَحْسَبُهُ صَادِقًا، يَا مُحَمَّدُ. فَمَرُّهُ بِالرَّوَّاحِ إِلَى الْبَابِ. قَالَ: وَأَكُونُ مَعَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَبَشَّرَهُ بِجَمِيلِ أَمْرِهِ، وَأَمَرَهُ بِالرُّكُوبِ رَوَّاحًا. فَدَخَلَ جَمِيعًا. فَلَمَّا بَصُرَ عَبْدُ اللَّهِ بِالرَّشِيدِ أَنْحَرَفَ نَحْوَ الْقِبْلَةِ نَحْزَ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. فَاسْتَدْنَاهُ الرَّشِيدُ. فَدَنَا وَعَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ. فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَ رِجْلَهُ وَبَسَّاطَهُ وَمَوَطَّعَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ طَلَبَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْأَعْتِزَارِ. فَقَالَ: مَا بَكَ حَاجَةٌ إِلَى أَنْ تَعْتِذَرَ، إِذْ عَرَفْتُ عُذْرَكَ. قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدُ، إِذَا دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ، رَأَى فِيهِ بَعْضَ الْإِعْرَاضِ وَالْإِنْتِبَاضِ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ عَبْدَ اللَّهِ يَشْكُو أَمْرًا بَاقِيًّا مِنْ تِلْكَ النَّبَوَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْأَلُ الزِّيَادَةَ

(١) أَوْجِبَ وَقُوعَ النِّكَاحِ بِهَا.

(٢) أَصَابَهَا بِجِرَاحَةٍ.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معشر الملوك ، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا
ثم رضيينا عنه بعد ذلك ، بقي لتلك الغضبة أثر لا يُخرج له ليل ولا نهار .^(١)



- ومن حقّ الملك أن يكتم أسرارَه عن الأب والأم والأخ والزوجة والصديق .
فإنّ الملك يحتمل كلّ منقوص ومأنوف ، ولا يحتمل ثلاثة : صفة أحدهم أن
يظعن في ملكه ، وصفة الآخر أن يُدبِع أسرارَه ، وصفة الآخر أن يُخونه في حرمة .^(٢)
فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تلبس خاصّتها ومن قرب منها على
ما فيهم ، وأن تستمع منهم إذا سَكَمُوا من هذه الصفات الثلاث .
وكان كسرى أبرويز يقول : "يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كلّهُ في امتحان
أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه" .^(٣)

- فكانت محتته في إذاعة السرّ عجيبة . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب
العدل ، داخلّة في باب الظلم والجور ، ولاّ آخر أن يقول إنها من الحكماء من الملوك .
وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصّته السحاب والألئنة والاتفاق في كلّ
شيء وعلى كلّ شيء ، خلا بأحدهما فأفضى إليه بسرّاً في الآخر ، وأعلمه أنه عازم على
قتله ، وأمره بكتمان ذلك عن نفسه ، فضلاً عن غيره . وتقدّم إليه في ذلك بوعيده .^(٤)

- (١) نقل هذه القصة في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .
(٢) أي الرجل المكروه . وهذه الكلمة ساقطة في صوره .
(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة منسوبة باللفظ لآخر لابي
جعفر المنصور العباسي . (أنظرها في الحاسن والأضداد ص ٢٨ والحاسن والمساوي ص ٥٠٢) .
(٤) في "الحاسن الملوك" (ص ٥٤) ما نصه : وأما كتمان سرّ السلاطان فهو ملاك الأمر ونظام المملكة وسبب بناء
الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وصاحب سرّه ، لم يناوذه في شيء حتّى لا يبقى عنده أحد . فإذا لم يبق
أحد ، أمر أن تُرفع الستائر عن لعله يكرن وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فناوذه بسرّه .

ثم جعل محتته في إذاعة سره ملاحظة صديقه في دخوله عليه ونحروجه من عنده، وفي إسفار وجهه ولقائه لللك. فإن وجد آخر أمره كأوله في أحواله، علم أن الآخر لم يقض إليه سره ولم يظهره عليه، فقربه وأجتهه ورفع مرتبته وجباه، ثم خلا به، فقال: "إني كنت أردت قتل فلان لشيء بلغني عنه. فبحثت عن أمره فوجدته باطلاً." (١)

وإن رأى من صاحبه نفور نفس وأزورار جانب وإعراض وجه، علم أنه قد أذاع سره، فأقصاه وأطرحه وجفاه، وأخبر صاحبه أنه أراد محتته بما أودعه من سره. فإن كان هذا من أهل المراتب، وضع مرتبته، وإن كان من الندماء، أمر أن يُحجب عنه، وإن كان من أصحاب الأعمال، أمر أن [لا] يُستعان به، وإن كان من سدنة بيوت النيران، أمر بعزله وإسقاط أرزاقه. ويقول: "من لم يصلح ملكه، لا يصلح لنفسه، ومن لم يصلح لنفسه، فلا خير عنده." ويقول: "إن القلب أعدل على القلب شهادة من اللسان؛ وقيل شيء يكون في القلب إلا ظهر في العينين: إذ كانت الأعضاء مشتركة يتعلق بعضها ببعض." (٢)

فأما محتته في الحرم، فكان إذا خفف الرجل على قلبه وقرب من نفسه، وكان عليه يظهر التأله، وكان عنده ممن يصلح للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره، أحب أن يمتحنه بمحنة باطنة. فيأمر به أن يحول إلى قصره ويفرغ له بعض الحجر التي تقرب منه، ولا يحول إليها امرأة ولا جارية ولا حُرمة. ويقول له: "إني أحب الأئس بك في ليل ونهارى. ومتى كان معك بعض حرمك، قطعك عني وقطعتك عنك."

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه العبارة باختصار. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سم: إن القلب ليظهر ما فيه في العينين.

فَأَجْعَلْ مُنْصَرَفَكَ إِلَى مِثْلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلًا لَيْلَةً. “ فإذا تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَخَلَا بِهِ وَأَنَسَهُ وَكَانَ آخِرَ مَنْ يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهُرًا .

- فَامْتَحَنَ رَجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْحَنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّائِفِ وَهَدَايَا. وَأَمَرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تُؤْتِيهِ .
- فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّائِفِ الْمَلِكِ، قَامَتْ . فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ . حَتَّى إِذَا كَانَتْ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ ،
- أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَاكَ . وَأَنْ تُبْدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا . فَفَعَلَتْ . وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَلَمَّا كَانَتْ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتَحَادِثَهُ ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ . فَفَعَلَتْ . وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرُّ بِحَدِيثِهَا . وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ . فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ ، قَالَتْ : ” إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْثَرَ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ دَعْنِي أَدْبُرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا . “ ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا . فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَتَقَاتَنَ بِالطَّائِفِ وَهَدَايَا . فَلَمَّا جَاءَتْهُ ، قَالَ لَهَا : مَا فَعَلْتَ فَلَانَةُ ؟ قَالَتْ : أَعْتَلْتُ . فَأَرَبَدَ لَوْنُ الرَّجُلِ ^(١) . ثُمَّ لَمْ تُطَلِّ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأَوَّلَى فِي الْمَرَّةِ الْأَوَّلَى . ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا . وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ ، فَأَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودَ وَالْمُضَاحَكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ . فَدَعَاَهَا إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ . فَقَالَتْ : ” إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى خُطَى يَسِيرَةٍ ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَى بَيْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعٍ كَذَا ، فَيَقِيمُ هُنَاكَ . فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الْفَهَابِ مَعَهُ ، فَأَظْهِرْ أَنَّكَ عَلِيلٌ ، وَتَمَارَضْ . فَإِنْ

(١) أَيْ عَلَتْ الْغُبْرَةُ لَوْنَهُ .

خَيْرَك بَيْنَ الْأَنْصُرَافِ إِلَى دُورِ نِسَائِكَ أَوْ الْمَقَامِ هُنَا إِلَى رَجُوعِهِ، فَأَخْتَرِ الْمَقَامَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّ الْحَرَكَةَ تَصْعُبُ عَلَيْكَ. فَإِذَا أَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ، جِئْتُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَلَبِثْتُ عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ. فَسَكَنَ الرِّقِيعُ^(١) إِلَى هَذِهِ الْأَنْسَةِ، وَأَنْصَرَفَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ. فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي وَعَدْتُهُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَلِكُ فِيهِ، دَعَاهُ الْمَلِكُ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَخْبِرْهُ أَنِّي عَائِلٌ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَهُ، تَبَسَّمَ أَبُو رِيزٍ، وَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ الشَّرِّ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمِحْفَةٍ، فَحَمِلَ فِيهَا حَتَّى أَتَاهُ، وَهُوَ مُعَصَّبُ الرَّأْسِ. فَلَمَّا بَصَرَ بِهِ مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ: وَالْعِصَابَةُ الشَّرُّ الثَّانِي. وَتَبَسَّمَ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَلِكِ، سَجَدَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو رِيزٍ: مَتَى حَدَّثْتَ بِكَ هَذِهِ الْعَلَّةَ؟ قَالَ: فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ: فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَلَا أَنْصَرُافُ إِلَى مَنْزَلِكَ وَنِسَائِكَ لِيَمْرُضَنَّكَ أَوْ الْمَقَامُ هُنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي؟ قَالَ: هُنَا. أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرْفُقْ بِي، لِقَلَّةِ الْحَرَكَةِ. فَتَبَسَّمَ أَبُو رِيزٍ، وَقَالَ: مَا صَدَقْتَ! حَرَكَتُكَ هُنَا، إِنَّ خَلْقَتَكَ، أَكْثَرَ مِنْ حَرَكَتِكَ فِي مَنْزَلِكَ.

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُخْرَجَ لَهُ عَصَا الزَّانَةِ الَّتِي كَانَ يُوسِّمُ بِهَا مَنْ زَنَى. فَأَيَّقَنَ الرَّجُلَ بِالشَّرِّ. وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفًا حَرْفًا، فَيُقْرَأَ عَلَى النَّاسِ إِذَا حَضَرُوا، وَأَنْ يُنْفَى إِلَى أَقْصَى حَدِّ الْمَمْلَكَةِ، وَيُجْعَلَ الْعَصَا فِي رَأْسِ رُفْحٍ تَكُونُ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ، لِيَحْدَرَ مِنْهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. فَلَمَّا أُخْرِجَ بِالرَّجُلِ عَنِ الْمَدَائِنِ، مُتَوَجِّهًا بِهِ نَحْوَ فَارِسَ أَخَذَ مُسَدِيَّةً كَانَتْ مَعَ بَعْضِ الْأَعْوَانِ الَّذِينَ وَكَّلُوا بِهِ، بِغَبِّهَا ذِكْرَهُ، وَقَالَ: مَنْ أَطَاعَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ صَغِيرًا، أَفْسَدَ عَلَيْهِ أَعْضَاءَهُ كُلَّهَا، صَغَارَهَا وَكَبَارَهَا. فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ^(٢).

(١) الرِّقِيعُ والمرقمان الأحمق وهو الذي في عقله مَرَمَةٌ (صحاح) [حاشية في ص ١٠]. والمَرَمَةُ

معاها هنا الأختياج إلى التزييع والترميم. (أنظر لسان العرب ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) روى هذه القصة في "الحاسن والأضداد" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

وكان قد نصب رجلاً يمتحن به من فسدت نيته وطعن في المملكة . فكان
الرجل يظهر التأله والدعاء إلى التخلي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب
المملوك . وكان يقص على الناس ويكلمهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض
بذم الملك وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آبائه . وكان هذا الرجل الذي
نصبه لهذا أخاه من الرضاعة وتربيته في الصبا . فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي
قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتنح بذلك خاصته ، أخبر به . فيضحك لذلك
أبرويز ، ويقول : " فلان في عقله ضعف ، وأنا أعلم به . وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني
بسوء ، ولا المملكة بما يوهنها " . فيظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه .
ثم يوجه إليه في خلال ذلك من يدعو له ، فيأبى أن يجيبه ، ويقول : لا ينبغي لمن
يخاف الله أن يخاف أحداً سواه . فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر
الخلوة بهذا الرجل في الزيارة له والأنس به . فإذا خلوا ، تذاكروا أمر الملك ، وأبتدأ
الناسك يطعن على الملك وفي صلب المملكة . فأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشأيعه
عليه ، فيقول له الناسك : " إياك أن تظهر هذا الجبار على كلامك ! فإنه لا يحتمل لك
ما يحتمله لي . فخص من دمع ! " فيزداد الانحر إليه استنامة وبه ثقة . فإذا علم
الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة ، قال له :
إني عاقد غداً مجلساً للناس أقص عليهم ، فأحضره ! فإنك رجل رقيق القلب عند
الذكر ، حسن النية ، ساكن الریح ، بعيد الصوت . وإن الناس إذا رأوك قد حضرت
مجلسي ، زادت نياتهم خيراً ، وسارعوا إلى استجابتي . فيقول له الرجل : إني أخاف
هذا الجبار ، فلا تذكره إن حضرت مجلسك .

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، وإذا
 ابتدأ في قصة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوناً تحضر مجلس الناسك، متى جالس.
 فبكر الناسك وقص على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن. فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فإذا زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فأظهر به والأُنس به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فاقتله قتلةً تُخفي بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار. فإنه من فسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعلته".^(١)



ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يخرج المال ولا يضع من
 العز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء الفرس بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. وعنه شرح واف
 في ياقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراصد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "وشفاء الغليل" (ص ٢٠٣). وأنظر Dictionnaire géographique de la Perse, par
 Barbier de Meynard, p.p. 122, 569.

(٢) ص: "لغير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 وتلخصها جداً صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردتها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمساوي"
 (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) ص: في القلب ولا يخرج.

وفيما يحكي عن بهرام جور أنه خرج يوماً لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى راج تحت شجرة، وهو حافن،^(٢) فقال للراعي: احفظ عليّ عنان دابتي، حتى أبول. فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان القرس. وكان لجامه ملبساً ذهباً. فوجد الراعي غفلةً من بهرام فأخرج من خفه سيكينا فقطع بعض أطراف اللجام. فرفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستحيا، ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام، قام فقال: ياراعي! قدم إلى قريتي، فإنه قد دخل في عيني مما في هذه الريح، لما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤهم أنه يتفقد حلية اللجام. ففزع الراعي فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعي: أيها العظيم! كيف أخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (لموصي بعيد). قال بهرام: وما سؤل الك عن هذا الموضع؟ قال: هناك منزلي، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا، ولا أراي أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، ووظن لما أراد. فقال: أنا رجل مسافر، وأنا أحق بأن لا أعود إلى ها هنا أبداً. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه فال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق اللجام قد وهبتا لسانيل صري، فلا تمهمن بها أحداً.^(٥)

١٥ (١) عار القرس أي ذهب هاها وهاما، وذهب على وجهه كأنه مملت. وفي نسخة: صارت فرسه. | وفي هامشه: صح: عاره يعوره ويعيره أي أخذه وذهب به. | وأست ترى أنت رواية صره عارية عن الصواب، وأن حاشيته في الهامش لا تحل لها في هذا المقام.

(٢) أي أجمع البول فيه، وهو في حاجة شديدة إلى تصريفه. وفي الحديث: «لا رأي لحاقب ولا لحافن» أي لمن تشدد به الحاجة للإخراج من أحد السيلين ويكون مضطراً لحبسهما.

٢٠ (٣) | أنظر حاشيته ١ ص ١٢٣ من هذا الكتاب |

(٤) سر: عليه.

(٥) روى هذه الحكاية بحرفها في "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجان^(١)، ووضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى بحيث يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما أنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب فأخفاه في قبائه^(٢)، وأنوشروان يلاحظه. فصرف وجهه عنه. وآفتقد صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش. فقال كسرى: لا تتعرض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إنّا قد فقدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا ينم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام^(٣).

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووضعت الموائد، وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعده على كيس فيه دنانير. فصاح به انلحدم: تتح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية.

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسرهما، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجرأته على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة دوزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (قبای) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kubani) للدلالة على الثوب الذي يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير حدّا صاحب "المحاسن والمساوى" (ص ٥٠٦).

(٤) | راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧ | وفي ص: وبذر.

فَقَالَ: دَعُوا الرَّجُلَ يَبْعُدْ حَيْثُ أَنْتَهَىٰ بِهِ الْمَجْلِسُ. فَأَخَذَ كَيْسًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَمُحْجَزَةِ سُرَاوِيلِهِ، وَقَامَ. فَلَمْ يَحْتَسِرْ أَحَدٌ أَنْ يَدُلُّوهُ مِنْهُ. فَقَالَ الْخَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ لَقَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسٌ دَنَانِيرٌ. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مُحْسَبٌ لَكَ.^(١)

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سببرهم وكتبهم.

- وَإِنَّمَا يَتَقَفَّدُ مِثْلَ هَذَا مَنْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فَيَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَصْغُرُ عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

- : والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه، وإِنَّمَا هُوَ شَيْءُ أَلْفَاةِ الشَّيْطَانِ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَجْرَاهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى قَالُوا فِي نَحْوِ مِنْ هَذَا فِي الْبَائِعِ وَالْمُسْتَمْرِى: "الْمَغْبُونُ لَا مَحْوَدٌ وَلَا مُأْجُورٌ"، فَحَمَلُوا الْجَهْلَةَ عَلَى الْمَنَازَعَةِ لِلْبَاعَةِ، وَالْمَشَامَةِ لِلسَّفَلَةِ وَالسُّوفَةِ، وَالْمَقَازِفَةِ لِلرَّعَاعِ وَالْوُضْعَاءِ،^(٢) وَالنَّظَرَ فِي قَبْصَةِ حَبِيَّةٍ، وَالْأَطْلَاعَ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ، وَأَخَذَ الْمَعَابِرَ بِالْأَبْدَى.^(٣)

وَبِالْحَرَى أَنْ يَكُونَ الْمَغْبُونُ مَحْجُودًا وَمُأْجُورًا. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ: اغْنِنِي. بَلْ لَوْ فَالَهَا، كَانَتْ أَكْرَمَةٌ وَفَضِيلَةٌ، وَفَعْلَةٌ جَمِيلَةٌ نَدُلُّ عَلَى كَرَمِ غُنْصِرِ الْغَائِلِ وَطَيْبِ مُرَكَّبِهِ.^(٤)

- (١) موضع التَّكَّة من السراويل.
- (٢) رواها تاحصار صاحب "الحساس والمساوى" (ص ٥٠٦).
- (٣) ص. "والمعارفة للرعايع والوضعاء".
- (٤) جمع معيار.
- (٥) س. "مكرمة". وهما معنى واحد.

ولذلك قالت العرب: "السُّرُّ التَّغافلُ" ^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُين، وعن التقصّي إذا بُحس، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ماتقدر على دفعها. وكذا أذنبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يُرْحِمُ الله سَهْلَ الشراءِ، سَهْلَ البيعِ، سَهْلَ القضاءِ، سَهْلَ التقاضى!" ^(٢)

وهذا الأدب خارج من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجرذيلي على الخلدائع."

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكّاساً."

وفما يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لِمُتْرَهه ^(٤)، فبسط له في صحراء، فتغدى مع أصحابه. فلما حان أنصرافه، تشاغل غلمانته بالترحال، وجاء أعرابي فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُواجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في سه: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية = من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "التغافل من سجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الغني بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) سه: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) سه: لِمُتْرَهه.

(٥) الدُواج هو الخفاف الذي يلبس. ولعل شبهه بالملحفة المسماة الآن بالمُضَرَّبِيَّة. وأنظر ما كتبه عليه درزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى. قال في مطالع البدور: "وجد لأم المتمر ثلاثة دوايح كانت تستعملهن، فقوم الدُواج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠)." ٢

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألق ما عليك ! فقال الأعرابي : " لا لعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته " . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فمزكأته إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا نافعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عُثرَ برجل سرق دُرَّةً رائعة ، أخذها من بين يديه . فطلبت بعد أيام فلم توجد ، فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وحمل إلى جعفر فلما بصر به ، استعجيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لاتعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء ورُبُّهم والاستئمانه إليهم والثقة بهم والتقدمة لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحد منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكّر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمنّ دونه . فإن كان الملك^(٢)

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" . صه : "وإن" . | ووضعت حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والاضطراب

في السياق . |

فيه سَيِّئُ الرَّأْيِ ، فليس من الوفاء أن يُعِينَهُ عَلَى سُوءِ رَأْيِهِ . فَإِنْ خَافَ سَوُطَ الْمَلِكِ وَسَيْفَهُ ، فَأَحْسَنُ صِفَاتِهِ أَنْ يُمَسِّكَ عَنْ ذِكْرِهَ بَخِيرٍ أَوْشَرٍ .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والتعل بالتعل والثوب بالثوب .

ومنها - الحفظ له في خَلْقِهِ وَعِيَالِهِ ، مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَجْعَلَهُمْ إِسْوَةً عِيَالِهِ فِي الْجَدْبِ وَالْخِصْبِ .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أولها وآخرها ، لا تمنع أحدا من خاصتها وعامتها شُكْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهَا وَتَقْرِيطَهُ وَذِكْرَ نِعْمِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ الشَّرِيعَةُ قَدْ قَتَلَتْهُ وَالْمَلِكُ قَدْ سَخَّطَ عَلَيْهِ . بَلْ كَانُوا يَعْرِفُونَ فَضِيلَةَ مَنْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ وَيَأْمُرُونَ بِصَلَاتِهِ وَتَعَهُدَهُ .

وَيُقَالُ إِنْ قُبِذَ أَمْرٌ بِقَتْلِ رَجُلٍ كَانَ مِنَ الطَّاعِينَ عَلَى الْمَمْلُوكَةِ . فَقُتِلَ . فَوَقَفَ عَلَى قُبَا رَأْسِهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ جِيرَانِهِ فَقَالَ : ”رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - لَتُكْرِمَ الْجَارَ وَتَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُ ، وَتُوَاسِيَ أَهْلَ الْحَاجَةِ ، وَتَقُومَ بِالنَّائِبَةِ ! وَالْعَجَبُ كَيْفَ وَجَدَ الشَّيْطَانُ فِيكَ مَسَاغَا حَتَّى حَمَلَكَ عَلَى عَصِيَانِ مَلِكِكَ ، وَخَرَجْتَ مِنْ طَاعَتِهِ الْمَفْرُوضَةِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ ! وَقَدِيمًا مَا تَمَكَّنَ مِنْهُ هُوَ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً وَأَثْبَتُ عَزْمًا .“ فَأَخَذَ الرَّجُلُ

(١) [أنظر حاشية (٢) صفحة (٧٨) من هذا الكتاب] .

صاحب الشرطة فحبسه . وأتتهى كلامه إلى قباد ، فوقع قباد : يُحسن إلى هذا الذي
شكر إحساناً ففعل به ، وترفع مرتبته ، ويزاد في عطائه .^(١)

* وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة [الخرزمي] ، حين حمل رأس
مروان [الجعدى] إلى أبي العباس [السفاح] بالكوفة ، فعقد له مجلساً وجاءوا
بالرأس . فقام سعيد بن عمرو بن جعدة فأكب عليه قايماً طويلاً ، ثم قال : هذا رأس
٥

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ١١٤) .

(٢) كان من رجال مروان الجعدى ، وأشترك معه في وقعة الزاب . (الطبرى سلسلة ٣ ص ٢٠٤
و ٢٢٤ ؛ والأغاني ج ١١ ص ٧٥ ؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥) .

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالمشرق .

١٠ ولد سنة ٧٢ وقيل سنة ٧٦ . تولى هشام ومن بعده من الخلفاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لغاية
سنة ١٢٦ . وفي هذه السنة الأخيرة أظهر الخلاف على يزيد بن الوليد . ثم سار في سنة ١٢٧ إلى الشام
وحارب سليمان بن هشام ودعا الناس إلى مبايعته . وتمت له البيعة بدمشق في تلك السنة . وهو الذي سُمي يزيد
أبن الوليد بالناقص . وكانت وفاته بأرض مصر في سنة ١٣٢ هجرية . [وانظر صفحة ١٧٥ من هذا الكتاب] .

وهو المعروف في كتب التواريخ بمروان الفرس ، ومروان الحمار ، ومروان الجعدى . سماه العباسيون
الذين خرجوا عليه وقلبوا دولته بالحمار في نظير تسميته بالفرس . وقيل إنه لُقّب بالحمار لأنه كان لا يخف له لبد
في محاربة الخارجين عليه . (كان يصل السير بالسير ويصير على مكاره الحروب . ويقال في المثل : "فلان
أصبر من حمار في الحروب" ، فذلك لقب به) . وقيل إن العرب تُسمي كل مائة سنة حماراً . (فلما قارب ملك
بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك) . وربما كان ذلك لفراره على حمار (يدل على ذلك قول رؤبة
أبن العجاج في مدح السفاح :

ما زال يأتي الأمر من أقطاره * عن اليمن وعلى يساره

مُسمرًا لا يضطلي بناره * حتى أقر الملك في قراره

= وفر مروان على حماره .

(١) أبي عبد الملك، خليفتنا بالأمس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فظعن في حجرة. وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه. فلامه بنوه وأهله، وقالوا:

= وأما تسميته بالجعدى فنسبة إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتعاليم مؤدبه الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيون مروان نسبوا إلى الجعد ما رأوه من سعة عليه. وكان الناس يذمون مروان بنسبته إلى الجعد. وكان الجعد من شيوخ المعتزلة وأظهر مقالته بخلق القرآن والقدر والاسططاعة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا كان الجماع يتولد منه الولد، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله، لا فاعل له غيره، وإنما يقال إن الله خلقه مجازا لا حقيقة". ومن قوله: "إن كان النظر الذى يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها". وقيل إنه كان زنديقا. وعظه ميمون بن مهران، فقال: "لَشَاءُ قُبَادُ أَحَبُّ إِلَىَّ مَا تَدِينُ بِهِ! فقال له مهران: قتلك الله، وهو قاتلك!". وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراق، وأمره بقتله. فحبسه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاما فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأخرج خالد من الحبس في وثاقه. فلما صلى العيد يوم الاضحى قال في آخر خطبته: "إنصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا آخذ إبراهيم خليلا! تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا!" ثم نزل وذبحه.

أنظر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأنظر الأغاني (ج ١٨ ص ١٢٣ وج ٢١ ص ٨٧)؛ وأنظر "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والفصل فى المال والأهواء والنحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١)؛ وابن الأثير (ج ٥ ص ١٩٦ و ١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب (ص ٨١)؛ والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجعدى، باسم أبته.

(٢) أى فى حضته.

عَرَضْنَا ونَفْسِكَ للَبَّارِ ! فقال : أَسْكُتُوا ، قَبَّحَكمُ الله ! أَلَسْتُمُ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيَّ
بِالْأَمْسِ بِحِزَانٍ بِالتَّخْلُفِ عَنْ مَرَّوَانَ ، ففَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ؟
وَمَا كَانَ لِيغْمِيزَ عَنِّي عَارِ تِلْكَ الْفَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ . فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ ^(١) ، فَإِنْ نَجَوْتُ يَوْمِي
هَذَا مِنَ الْقَتْلِ ، مُتُّ غَدًا . قَالَ : بِفَعْلِ بَنِيهِ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَاصْبَحُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ . وَغَدَا الشَّيْخُ إِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ . فَلَمَّا
بَصُرَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَبْنَ جَعْدَةَ ! أَلَا أُبَشِّرُكَ بِجَمِيلٍ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ
الَّيْلَةِ مَا كَانَ مِنْكَ ، فَقَالَ : ” وَالله ! مَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ . وَهُوَ
أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً ، وَأَمْسُ بَنِي رَحِمًا مِنْهُ بِمَرَّوَانَ ، إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ ! “ قَالَ : أَجَلٌ ، وَالله ! ^(٢)

(١) يقول العرب : فلان هامة ، أى يصير في قبره . ومنه قول كثير :

فَإِنْ تَسَلُّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَّحِ الْهَوَى • فَبِالْيَأْسِ تَسَلُّ عَنْكَ ، لَا بِالتَّجَلُّدِ .
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فِيهِ فَهْوً قَائِلٌ : * مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْغِدَ .

يقال : فلان هامة اليوم أو غده ، أى يموت في يومه أو غده . ويقال ذلك للشَّيْخِ إِذَا أَسَنَّ ، وَالْمَرِيضِ إِذَا طَالَتْ
حَلَّتُهُ ، وَالْمُحْتَمِرِ لِمُدَّةِ الْأَجَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا حَازِمَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَالَ لِثَابِتِ بْنِ وَقْشِ الْأَنْصَارِيِّ وَقَدْ تَخَلَّفَ
مَعَهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ : ” إِنِّهْضُ بَنِي نَصْرٍ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْغِدَ “ .
(وَكُنَّا قَدْ أَسَنَّا) . وَمَرْجِعُ ذَلِكَ لِأَعْقَادِ الْعَرَبِ فِي مَسْأَلَةِ الْهَامَةِ . (رَاجِعِ ” الْكَامِلُ “ لِلْبَيْهَقِيِّ ص ٢١١ وَ ٣٨٧ :
وَأَنْظُرِ ” الْأَغَانِي “ ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ . وقد رواها في ” المحاسن والمساوى “

(ص ١١٩ و ١٢٠)

وهكذا فعلَ قَيْسُ بنُ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ [الأَنْصَارِيُّ] بِمَعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، حينَ دَعَاهُ إِلَى مُفَارَقَةِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ والدخولِ فِي طَاعَتِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَيْسُ بنُ سَعْدٍ: "يَا وَثْنُ ابْنِ وَثْنٍ! تَكْتُبُ إِلَيَّ تَدْعُونِي إِلَى مُفَارَقَةِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ والدخولِ فِي طَاعَتِكَ وَتُخَوِّفُنِي بِتَفَرُّقِ أَصْحَابِهِ عَنْهُ وَإِقْبَالِ النَّاسِ عَلَيْكَ وَإِجْفَالِهِمْ إِلَيْكَ! فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ! لَوْ لَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْرِي وَلَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُهُ، مَا سَأَلْتُكَ أَبَدًا، وَأَنْتَ حَرْبُهُ، وَلَا دَخَلْتُ فِي طَاعَتِكَ وَأَنْتَ عَدُوُّهُ، وَلَا آخَرْتُ عَدُوَّ اللَّهِ عَلَى وَلِيِّهِ، وَلَا حَرَبَ الشَّيْطَانِ عَلَى حَرْبِ اللَّهِ. وَالسَّلَامُ!"

وَفِي سِيرَةِ الإسْكَندَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ لَمَّا قَصَدَ نَحْوَ فَارِسَ، تَلَقَّاهُ بَجَاعَةٍ مِنْ أَسَاوِرَتِهِمْ بِرَأْسِ مُلْكِهِمْ، يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِهِ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ لُسُوءِ رَغَبِهِمْ وَقِلَّةِ شُكْرِهِمْ لِمُلْكِهِمْ وَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ: مَنْ غَدَرَ بِمُلْكِهِ كَانَ بِغَيْرِهِ أَغْدَرَ.

وَفِيمَا يُحْكِي عَنْ شِيْرِيهِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الرِّعَايَةِ وَقَفَ لَهُ يَوْمًا، وَقَدْ رَجَعَ مِنَ الْمَيْدَانِ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبْرُويزَ عَلَى يَدَيْكَ، وَمُلْكُكَ مَا كُنْتَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُ وَأَرَاهُ آلَ سَاسَانَ مِنْ جَبَرِيَّتِهِ وَعُتُوِّهِ وَبُخْلِهِ وَنَكَدِهِ. فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ يَأْخُذُ بِالْحُبَّةِ^(٤)،

(١) أَنْظِرْ فِي الْمَسْعُودِيِّ مَكَاتِبَاتٍ أُخْرَى جَرَتْ بَيْنَهُمَا (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) [أَنْظِرْ حَاشِيَةَ ١ صَفْحَةَ ٩ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.]

(٣) ص: «جَبَرُوتُهُ». وَالْجَبَرُوتُ الْقَهْرُ وَالْعَالِيَةُ. وَفِيهَا لَفَاتٌ كَثِيرَةٌ ذَكَرَهَا فِي الْقَامُوسِ وَفِي كَامِلِ الْمَبْرَدِ. وَفِي خُطْبَةِ عُبَيْدِ بنِ غَزْوَانَ: "وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ إِلَّا تَأَسَّخَتْهَا جَبَرُوتُهُ". أَيْ مُلْكُ غَالِبٍ وَعَضُوضٌ. | أَنْظِرْ

"الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ" ج ١ ص ١٧٢ |

(٤) ص: بِالْإِحْتَةِ.

ويقتل الظن، ويخيف البريء، ويعمل بالهوى، فقال شيرويه للحاجب: اجمله إلى . تحمل . فقال له : -

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنت في كفاية من العيش .

- فكم زيد في أرزاقك اليوم؟

- ما زيد في رزقي شيء .

- فهل وترك^(١) أبرويز، فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟

- لا .

قال - فما دعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك؟

وما للعامة والوقوع في المملوك، وهم رعية؟

فأمر أن يُنزع لسانه من فمها، وقال: "بحق ما يقال إن الخرس خير من البيان فيما لا يجب^(٢) ."

وحدثني صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس^(٣)

(١) وتره حقه أى نقصه . (صحيح) [حاشية في صـ]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في "الحاسن والمساوى" . (ص ٤١١) .

(٣) هو صباح بن خاقان المنقري . كان نديماً لمصعب الزبيرى، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب . وكان متعصباً للفرزدق وجريراً يفضلهما على الأخطل (أغاني ج ٧ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠) . وكان هو ومصعب جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠) . وقد أمتدحه إسماعيل النديم (المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠) .

(١) إبراهيم بن عبد الله فُوضَّع بين يديه، وجاء بعض أولئك الرويَّةِ ^(٢) فضرب الرأس بعمودٍ كان في يده. فقال المنصور ^(٣) للمسيَّب: دُقَّ وجهه! فدُقَّ ^(٤) المسيَّب أنفه. ثم قال [المنصور] له: يا ابن الخناء! تجميء إلى رأس أبي عمي (وقد صار إلى حال لا يدفع ولا ينفع) تضربه بعمودك، كأنك رأيته وهو يريدُ نفسى فدفعته عني. أُخرج إلى لعنة الله وأليم عذابه!

ويقال إن أبا جعفر وجهه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله عن تدير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ ما دبره فقال: "فعل (رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا". فقال المنصور: قُمْ، عليك لعنة الله! تطأ بساطي، وتترحم على عدوي؟ فقام الرجل، فقال وهو مَوَّلٌ: إِنَّ نعمةَ عدوك لِقَلَّادةٌ في عُنُقٍ لا يترعُّها إِلَّا غاسلي. فقال له المنصور: ارجع يا شيخ! فرجع. فقال له: أشهد

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرَّفة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتله في سنة ١٤٥. ولم يتمكن بعد شدَّة البحث وكثرة التفتيش في كتب التواريخ واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لابسى الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل بأنه من السيفاء (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

(٣) هو المسيَّب بن زهير الضبيُّ وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضبة). كان على شرطة أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة موسى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه لهارون والأُميين والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: سو.

أنت نبيص حرة وعراس شريف أعد إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا فرغ، دعا له بمال ليأخذه فقال: "والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجة إليه! ولقد مات عني من كنت في ذكره آنفا، فما أحوجني إلى وقوف على باب أحد بعده، ولولا جلاله عز أمير المؤمنين وإيثار طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة." فقال المنصور: "ميت إذا شئت، فله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك، لكنت قد أقيمت لهم مجداً مخلداً". ويقال إن الرجل كان من شيبان^(١).



وهن حق الملك - إذا حضره سماره أو محدثوه - أن لا يحرّك أحد منهم شفّيته مبتدئاً، ولا يقطع حديثه بالاعتراض فيه، وإن كان نادراً شياً، وأن يكون غرضهم حُسن الاستماع، وإشغال الجوارح بحديثه. فإذا فرغ من الحديث فنظر إلى بعضهم، فقد أذن له أن يُحدثه بنظير ذلك الجنس من الحديث. وليس له أن يأخذ في غير جنس حديثه.

وليس لمن حدث الملك أن يُفسد ألفاظه وكلامه، بأن يقول في حديثه: "فأسمع مني" أو "إفهم عني" أو "يا هذا" أو "ألا ترى". فإن هذا وما أشبهه عي من قائله وحشو في كلامه وخروج من بسط اللسان ودليل على القدامة والغثالة. وليكن كلامه

(١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨) - ونقلها بالحرف الواحد

في "الحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أموره وتدييره وسياسته متبجاً لهشام في أفعاله. لكثرة ما يستحسنه من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)

(٢) سه: ونخرج من بسط الزمان، سه: ونخرج يربط اللسان.

(٣) القدامة التي عن الحجة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٤) هي سوء الخلق. ويعبر عنها العامة في أيامنا هذه بقولهم: الغثالة. ومنها فلان غثوت.

كلاماً سهلاً، وألفاظه عذبةً مُتَّصِلَةً، وسَقَطَ كلامه قليلاً. فإذا فرغ من الحديث، فليس له أن يصله بحديث آخر، وإن كان شبيهاً بالحديث الأول، حتى يرى أن الملك قد أقبل عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه. [فإن أعرض] لشغل يعرض له، [فليس له] أن يمر في حديثه وأن يصل كلامه، فيحتاج الملك إلى الإصغاء إليه ويحتاج إلى التشاغل بما عرض له، فيجمع عليه أمرين. فإن هذا يُخَفِّفُ من فاعله ويخرج من الأدب. ولكن لِيُنْصِتَ مُطَرِّقاً: فإن اتَّصَلَ شُغْلُ الْمَلِكِ، تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَإِنْ أَتَقَطَعَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَذِنَ لَهُ فِي إِتِمَامِهِ وَإِعَادَتِهِ.



ومن حقِّ الملك أن لا يَضْحَكَ من حديثه إذا حَدَّثَ، لأن الضحك بحضرة الملك جُرْأَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُظْهَرُ التَّعَجُّبُ بِفَائِدَةِ حَدِيثِهِ. وإنما هذا إلى الملك. فإن ضحك الملك من الحديث وأظهر السرور به، فذاك غرض حديثه، وإليه قصد. وإن سكت، فلم يكن في الحديث ما يُلْهِمُهُ وَيُطْرِبُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ فَائِدَةً، كَانَ قَدْ سَلِمَ مِنَ الْعَيْبِ، إِذْ لَمْ يَضْحَكْ وَلَمْ يَعْجَبْ.



ومن حقِّ الملك أن لا يُعَادَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ طَالَ بَيْنَهُمَا الدَّهْرُ وَغَبَرَتْ بَيْنَهُمَا الْأَيَّامُ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ الْمَلِكُ. فَإِنْ ذَكَرَهُ، فَهُوَ إِذْنٌ مِنْهُ فِي إِعَادَتِهِ. (١) وكان رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ يَقُولُ: أَقْبَتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ، مَا أَعَدْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا.

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

(١) وكان الشعبي يقول: ما حدثتُ بحديثٍ مرَّتين لرجلٍ بعينه قطُّ.

(٢) وكان أبو العباس يقول: ما رأيتُ أحداً أغزر علماً من أبي بكر الهذلي، لم يُعِدْ على حديثٍ قطُّ.

(٣) وكان ابن عيَّاش يقول: حدثتُ المنصور أكثر من عشرة آلاف حديثٍ. فقال

- لي ليلةً، وقد حدثته عن يومٍ ذى قارٍ: قد اضطُررتُ إلى التَّكرار، يا ابن عيَّاش! قلتُ: ما هذا منها، يا أمير المؤمنين. قال: أما تذكر ليلة الرعد والأمطار، وأنت تحدث عن يومٍ ذى قارٍ، فقلتُ لك: ما يومٌ ذى قارٍ بأصعبَ من هذه الليلة؟^(٥)

(١) هو فقيه العراق وأشهر من أن يذكر.

(٢) يعنى السفاح رأس الدولة العباسية.

(٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب.

(٤) ذو قار هو اسم ماء لبني بكر بن وائل، بالقرب من الكوفة. حدثت فيه معركة هائلة بين العرب والعجم قبل البعثة النبوية، وقيل بين عروقة بدر وأحُد. انتصر فيها العرب على العجم انتصاراً باهراً تفنَّى به شعراؤهم وتحدَّث به أخباريوهم. ويُسمَّى هذا اليوم أيضاً بيوم الحنو، ويوم حنو ذى قار، ويوم حنو القراق، ويوم بطحاء ذى قار، ويوم قراق، ويوم الجبابات، ويوم ذات العجروم. وكلهن مواضع حول ذى قار. ولكنه الأشهر والأكثر استعمالاً.

(٥) القار (بجفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الزفت) الذى تُطْلُب به السُّفن، وهو شجر مرّ أيضاً (عن ناج العروس). وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عديم من أسماء الأضداد)؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزفت بسبب لونهما. وليس يستمد من الحكاية التى أوردتها الجاحظ (مع ملاحظة المنصور على جلسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء، ولأنه ربما كان تسميتها يوم ذى قار علاقة بنزل الثلج وأن الموضع ربما سُمي بهذا الاسم لهذه المناسبة. والحقيقة أن اللفظ عربى صميم لأنه اسم ماء. =

(١) وكان الشَّرَفِيُّ بْنُ الْقُطَيْمِيِّ يُعِيدُ الْحَدِيثَ مَرَارًا. وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ أَحَادِيثِهِ مُصَاحِيكٌ، وَكَانَتْ تُعْجِبُ الْمُهْدِيَّ فَيَسْتَعِيدُهُ.

= لبنى بكر بن وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظر إلى الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض هذا المكان مما لا يقع فيه الثلج. وفوق ذلك فالمعلومات التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام القيظ. يدل على ذلك قول التغلبي الذي يريد هلاك بكر بن وائل، حينما استشاره كسرى أبرويز في أمرهم: "أمهلهم حتى يقيظوا ويساقطوا على ذى قار، تساقط القَرَّاش في النار. فتأخذهم كيف شئت" (ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد حديث التغلبي مع كسرى هكذا:

"— ياخير الملوك! ألا أدلك على غيرة بكر؟

— بلى!

— أقرها، وأظهر الإضراب عنها حتى يُجْلِبَهَا الْقَيْظُ وَيُدْنِيَهَا مِنْكَ. فَإِنَّهُمْ لَوْ قَاطُوا، تَسَاقَطُوا عَلَيْكَ بِمَا لَمْ فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَوْ قَارٍ، تَسَاقَطَ الْقَرَّاشُ فِي النَّارِ. " وإِذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ هُوَ اسْتِدَادُ الْأَمْرِ وَحُجْجُ الْحَالِ وَأَصْطِلَامُ الْحَرْبِ، كَمَا كَانَتْ لَيْلَتُهُ شَدِيدَةً بِرَعْدِهَا وَمَطَرِهَا.

(أنظر التفضيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠-١٢؛ "والأغاني" ج ٢٠ ص ١٣١-١٤٠؛ "والعقد الفريد" ج ٣ ص ١١٣-١١٦؛ "وآبن الأثير" ج ١ ص ٣٥٢-٣٥٨؛ وأنظر "صبح الأعشى" ج ١ ص ٢٣٦؛ "وتاج العروس" في ق و ر.)

(١) سماه في القاموس شرق بن القطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللغة أنه بفتح الراء. والقطامي بفتح القاف في لغة قيس وعند سائر العرب بالضم.

وهو الوليد بن الحُصَيْن الكلابي. والشرقي لقبه، كما أن القطامي لقب أبيه. كوفي وأفر العلم والأدب، وأشهر بمعرفة الأنساب ورواية الأخبار والدواوين. ولكنه في الحديث محدود من الضعفاء. كان =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يُسأِر الخلفاء أحدٌ كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألفاظاً ولا أفكّه مجلساً ولا أعظم أبهةً وقدراً منه. وكان عيسى بن دأب يتكلم في مجلس أمير المؤمنين.

= صاحب سمر. أقدمه أبو جعفر المصور ليُعلم ولده المهدي. وقد سأله: "عَلَّامٌ يؤتى المرء؟" فقال: أصْلَحَ الله الخليفة! على معروف قدسلف، أو مثله يؤتف، أو قديم شرف، أو علم مطَّرف. "صمَّ المصور إلى المهدي حين حلَّه بالزِّي، وله معه ههنا حديث طريف عن العريين (ساقه في "مروح الذهب" ح ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت رواية أخرى في "معجم البلدان" ح ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأسباب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله قصيدة في العرب. سأله رجل ذات يوم عما كانت تقرأه العرب في صلاتها على موتائها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤون:

. ما كنت وكواكا ولا رويك. رويك حتى يبعث الخلق ناعته.

حدثت بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (أطرو "كتاب المهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦، و "رحمة الأبناء" ص ٢ - ٤ و ٣٠ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠).
(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: مارال هذا أنه وديده رعا دته وديه أي فعله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من الهباء ما حار العرب وأشعارهم. وكان عيسى شاعراً فوق ذلك. وكان يصنع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الحجاز بل ومعاصريه أدبا وعلماً وعدونة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم، وكان لديه المفاكهة، طيب المسامرة، كثير السادة، حيد الشعر، حس الأنواع له. وهو من نسله الأحمار. وتناد الأشعار. حطى عند الهادي خطوة لم يكن لأحد قبله. وبلغ من بيه على الخليفة أنه كان يباهمه ولا يعلى. - مدبل - في ذلك، فقال: أنا لا أتدنى في مكان لا أعسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتعد! فكان الناس إذا تعدوا تحووا لعسل أيديهم، وأس دأب يعسل يديه تحصره الخليفة. وبلغ من تبه ودالته عليه أيضاً أن الخليفة كان يدعو له بما يتكلم عليه في مجلسه. (وما كان يفعل ذلك غيره ولم يكن عنده أحد يطعم منه بذلك) =

ولم يكن هذا لأحد. غير أنه يُحكى أن رُوح بن زُبَاع مَرِض فكان يدعو له عبدُ الملك بن مروان بِمُتَكَ^(١).



وعلى المحدث لِّلِكَ أَنْ لَا يَعْجَلَ فِي كَلَامِهِ ، وَأَنْ يُدْجِ الْفَاطْهَ ، وَلَا يُتْسِرَ بِيَدِهِ ،

الا

= وكان يقول له : " ما استطلت بك يوما ولا ليلا ، ولا غبت عن عيني إلا تمنت أن لا أرى غيرك " .
أمر له مرة ثلاثين ألف دينار . فعاكسه الجاحظ في قبضها ، فتركها . ثم رآه الهادي ، وليس معه إلا غلام واحد ، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه . فلما دخل إليه عرض له بذلك وقال له : " أرى ثوبك غسिला ، وهذا شتاء يحتاج إلى الجديد " . فقال : باعني قصير . فقال : وكيف ، وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك ؟ فقال : ما وصل إلي . فدعا صاحب بيت المال واستحضر الثلاثين ألف دينار وحملها بين يديه .

وكان كثيرا ما يدعوه ويسأله إنشاد الأبيات من أشعر ما قالت العرب . وكان يروى له الأخبار (منها حديث عن غلام سندی مع مولاه ، ساقه المسعودي في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥) وصاحب " المحاسن والمساوي " (ص ٦١٣ - ٦١٤) ، والأبشهي في " المستطرف " (ج ٢ ص ٦٥) ، وصاحب " تنبيه الملوك والمكائد " (ص ١١٦ - ١١٧) . ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة ، ساقه المسعودي أيضا في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧) . وقد أخذ عليه خلف الأحمر هفوة فقال فيه : " العجب

من ابن دأب ! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه " . وقد هجاه ابن مناذر الشاعر الفصيح المتقدم في العلم بالغة ، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً . وكان خلف الأحمر ينسب إليه الكذب . وقالوا إنه كان يتشيع ويضع أخباراً لبني هاشم . (أنظر " كتاب الفهرست " (ص ٩١) ؛ و " الأغاني " (ج ٥ ص ١٥٨ و ١٥٩ ص ١٠٤ و ١٠٦ و ١١٠ و ١١٦ و ١١٧ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠) ؛ و " كتاب الأشتقاق " لابن دريد (ص ١٠٦) ؛ و " كامل المبرد " (ص ١٨٦ و ٢١٢) ؛ و " المحاسن والمساوي " (ص ٢٠٧ - ٢٠٨) ؛ والطبري سلسلة ٣ (ص ٥٨٩) ؛ و " شرح الحماسة " (ص ٢٠٠) ؛ و " البيان والتبيين " ج ١ ص ٢٤ و " تاج العروس " في دأب . وله ترجمة وافية في " معجم الأدباء " لباقوت روى هذه الأحوال صاحب " محاسن الملوك " بالحرف الواحد عن الجاحظ دون أن يسميه (ص ٢٤) .

(١) دخل محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة ، فجعل يأمره وينهاه ، ثم دعا له بمُتَكَ ، فقال : أعينك بالله ، يا أمير المؤمنين ! ما كنت لأتبيك في مجلسك ! فقال له : إن على قلبك من ذلك ثقلاً وموتة ، فأردنا أن يستريح بدنك ليفرح لنا قلبك . (" مطالع البدور " ج ١ ص ١٠) .

(٢) من قولهم : أدمج الحبل أجاد فثله ، وقيل : أحكم فثله في رقعة . (عن تاج العروس) .

ولا يُحرِّك رأسه، ولا يزحف من مجلسه، ولا يراوح بين قعدته، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا يُقبل على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.



٥. ومن حقَّ الملك - إذا تشاب أو ألقي المروحة أو مدَّ رجله أو تمطَّى أو اتَّكأ أو كان في حالٍ فصار إلى غيرها مما يدلُّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كلُّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطَّى، قام سُمَّاره.
- وكان الأَرَدَوَانُ الأَحمَرُ له وقت من الليل وساعات تُخصَّى، فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره.

١٠. * وكان يُستاسِف إذا دلك عينيه، قام من حضره.
- وكان يزدجرد الأئيم إذا قال: "شَبَّ بُسْدٌ" ^(٢)، قام سُمَّاره.
- وكان بهرام جور إذا قال: "وَنَحْرَمُ خُفْتَارَ" ^(٤)، قام سُمَّاره.
- وكان قُبَاذ إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُمَّاره. ^(٥)
- وكان سابور إذا قال: "حسبك يا إنسان!"، قام سُمَّاره.

وكان أنوشروان إذا قال: "قوت أعينكم!" قام سُمَّارُه^(١).

وكان عمر بن الخطاب إذا قال: "الصلاة!" قام سُمَّارُه^(٢). وكان ينهى عن السَّمر بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" قام سُمَّارُه.

وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُه ومن حضره^(٣).

وكان عبد الملك إذا ألقى المِخْصَرَةَ، قام من حضره^(٤).

* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام من حضره^(٥).

وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام من حضره.

وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك!" قام سُمَّارُه^(٦).

(١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ ويزدجرد يقول: شب بشد (أى مضى الليل)؛ وبهرام يقول: حُرِّم خورش باد (أى كُنْ مسروراً)؛ وأبروزيمد رجله؛ وقباذ يرفع رأسه إلى السماء. (عن "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربى الأول عن المرحوم محمد عارف باشا فى حاشية "المحاضرات")

(٢) إذا قال قامت الصلاة. (فى "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)

(٣) قال أصحاب معاوية له: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شمتك، فتريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شئتم!". وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!" وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)

(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.

(٥) فى المسعودى (ج ٥ ص ٢٥٧) وفى الراغب فى الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شئتم" وكانت سادات العرب يقولون لجليسهم: "إذا شئت فقم!". وهذه الجملة أستعملها مصعب بن الزبير، كما فى الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)

(٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص.

(٧) سبحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواثق إذا مشى عارضيه وتساءب، قام سماره.

(١)

وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره.

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإنما

(٢)

أضفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.



ومن حق الملك أن لا يُعاب عنده أحد، صغراً أو كبراً.

غير أن من أخلاقها التجريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

فمن الملوك من يُدبر في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قل آثنان

أستويا في منزلة عند الملك والجاه والتبعية والعز والحظوة عند السلطان فأنفقا، إلا كان

ذلك الاتفاق وهناً على المملكة والمملك، وفساداً في تدبيره. وذلك أنهما إذا آتفقا، وهما

وزير الملك، كانا - متى شاأن - ينفضا ما أرم الملك ويحلان ما عقده ويؤهيا ما أكده -

قدراً على ذلك للاتفاق والمجامعة. ومتى انفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في ص. ٠ وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد: أي قبل هذا

الموضع بسطرين.

١٥

(٢) في "مطالع البدور في منازل السور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمائه أمانة ينصرفون

بها من مجلسه إذا أراد، كسرى. وهو أن يمد رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون. وتبعه الملوك.

فكان فيروز الأصغر يدلك عنقه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء. وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول:

العزة لله!، وعبد الملك يلقي المروحة من يده. وحديث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته، فقال:

٢٠

إذا قلت "يا غلام، هات الطعام!" وأقار أيضاً "محاضرات الراغب" (ج ١ ص ١٢١)

أثبت في نظام الملك وأؤكد في عز المملكة. وكان متى أراد هذا شيئاً، أراد الآخر خلفه. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعا على نصيحة الملك، شاء أم أبى. وآثرها كل واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم لذلك تديره وتم له أمره^(١).

ومن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه العلة، بل ليعرف معاييب كل واحد منهما، فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الانبساط في خواجه والتسحب على ملكه.



ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج، ذا بيان وعبرة، بصيراً بخارج الكلام وأجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوقاً للهجة، لا يميل إلى طمع ولا طبع^(٢)، حافظاً لما حمل.

وعلى الملك أن يمتحن رسوله بمحنة طويلة، قبل أن يجعله رسولا.

(١) كان السفاح، إذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله، وإن كان القائل عنده عدل في شهادته. وإذا أصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه. ويقول إن الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على إظهار المسالمة وتحتج الأفعى التي إذا استمكنت لم تبق. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطبع: الشين والعيب. ومنه الحديث: "استعيذوا بالله من طبع يهدي إلى طمع". "أخذه عروة بن أذينة شاعر قريش فقال:

لا خير في طمع يهدي إلى طبع * ونفقة من قوام العيش تكفي

(عن تاج العروس)

والنفقة البقة من العيش.

وكانت ملوك الأعاجم - إذا أثرت أن تختار من رعيتهما من يجعله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تمتحنه أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاصية الملك ومن في قرار داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه. فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن اتفقت أو اتفقت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم يرفعها إلى الملك. فإن اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتريد عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

وكان أردشير بن بابك يقول: "كنتم من دم قد سيفكّه الرسول بنيرجله! وكم من جيوش قد قُتِلَتْ وعساكر قد هُزِمَتْ وحُرْمَةٌ قد أَتُهِكَّتْ ومالٍ قد أَتُهِبَ وعهد قد نُقِصَ بخيانة الرسول وأكاذيبه!"

وكان يقول: عليّ الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بآخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ، [فَعَلَّ]. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له مافي كتابه الأول حرفا حرفا، ومعنى معنى. فإن الرسول ربما حرم بعض ما أمل، فافتعل الكتب وحرّض المُرْسَل على المُرْسَل إليه، فأغواه به وكذب عليه.

(١) أورد القامعشدي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الانعش" ببعض تصرف

في الألفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ويقال إن الإسكندر وجه رسولاً إلى بعض ملوك الشرق . فجاء برسالة شك في حرف منها . فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسدّد ، إذا مالت . وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنّ فيها حرفاً ينقضها . أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شكّ فيه ؟ فقال الرسول : بل على يقين أنّه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظه حرفاً حرفاً ويُعاد إلى الملك مع رسول آخر ، فيقرأ عليه . ويترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره . فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضيها . فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكين^(١) ، فقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس الملكة حجة فطرة^(٢) الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسول^(٣)ه ، إذ كان عن لسانه ينطق . وإلى أذنه يؤدي . وقيد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلاً . فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه . فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سعت ، لالنا ! فلما فاتك بعض ما أملت ، جعلت ذلك ثأراً في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من ففاه .^(٤)

(١) المدة يسميها العرب سكيناً وسكيناً . والأسم الأول أشهر وأكثر شيوعاً ، والسكين يذكروا يؤنث ، وقال بعضهم إن السكين خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصح أن لغة قوم من بني ببيعة ، وأوردوها القراء وآبن سيده . قال الشاعر :
سكينته من طبع سيف عمرو
نصائبها من قريب تيس برى .

وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : أتيت بالسكين (أنظر "تاج العروس" في س ك ن ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) سم : أس .

(٣) أنظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "محاسن الملوك" (ص ٦١) واستعمل الألفاظ الجاحظ نفسها .



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لمنامه في ليل ولا نهار موضع يعرف به ، ولا حوايق قصد إليه . إذ كانت أنفـس الملوك هي المطلوب غرثها ، والموكل برعاية سـنـتها (٣) وساعة غفلتها . ويقال إن ملوك آل ساسان لم يعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقيله .

فأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان ، فكان يفرش للـك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا] (٤) . ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة [وأنه نائم فيه] (٥) . ولعله أن لا يكون على واحد منها . بل لعله ينام على مجلس رقيق . وربما توسد ذراعه ، فنام .

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم وصيانتهم عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كـلـاءـته إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمتثلوا فعله . وقد كان المشركون هموا بقتله ، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك ، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام) فأنامه على فراشه ، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر . فلما جاء المشركون إلى فراشه ، فنهض منه على ، وأنصرفوا عنه .

(١) في صه ، سم : "خوى" [وأخترت الحارثي لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الحيز]

(٢) صه : عزتها .

(٣) ضبطه في سم : "سنتها" وهو سبق قلم .

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك" .

(٥) سم : إلا ومن ورائه من بعيد على الانفراد فراش لا يشك الخ .

ففي هذا أكبر الأدلة وأوضح الحجّة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي الأنفس الخطيرة الرفيعة التي توزن بنفوس كل من أظلمت الخضراء وأقلمت الغبراء.^(١)^(٢)

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يطلع على موضع منامه إلا الوالدان فقط، فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم، وأؤكد في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهويين.^(٣)^(٤)^(٥)



ومن حق الملك أن يعامله أبنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا عن إذنه، وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك وخدمه، لئلا تجله الدالة على غير ميزان الحق.^(٦)

فإنه يقال إن يزيد جرد رأى بهرام أبنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟ قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً، ونحّه عن السّتر، ووكل بالحجابه أراد مرّد. ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،

(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك" باختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣).

(٤) سم: وأرفع.

(٥) التؤدة والرقق.

(٦) صم: مراد.

(٧) لم أعر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"

سماء "فلانا".

دفع أَرَادَ حَرْدُ فِي صدره دَفْعَةً وَقَدْ هَمَّ بِهَا، وَقَالَ: إِنَّ رَأْيِيكَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ثَانِيَّةٌ، ضَرَبْتُكَ سِتِينَ سَوْطًا، ثَلَاثِينَ مِنْهَا لِحَنَاتِكَ عَلَى الْحَاجِبِ بِالْأَمْسِ، وَثَلَاثِينَ لِمَثَلِ تَطْمَعٍ فِي الْجَنَائَةِ عَلَى^(١). فَبَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ حَرْدًا، فَدَعَا أَرَادَ مَرَدَّ، فَنَفَلَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

وَيُقَالُ إِنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ بَيْتَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ بَابٌ. فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ قَالَ: يَا جَارِيَةُ! أَنْظِرِي هَلْ تَحْرُكُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ بَغَاءَتِ الْجَارِيَةُ [مَرَّةً] حَتَّى فَتَحَتِ الْبَابَ. فَإِذَا مَعَاوِيَةُ قَاعِدٌ، وَفِي حِجْرِهِ مُصْحَفٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ تَصْفَحُ عَلَيْهِ. فَأَخْبَرَتْ يَزِيدَ بِذَلِكَ. بَغَاءَ يَزِيدَ لِدُخُولِ عَلَى مَعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّ بَنِي! إِنَّمَا جَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَابًا، كَمَا بَنَيْتُ وَبَيْنَ الْعَامَّةِ. فَهَلْ تَرَى أَحَدًا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا بِإِذْنِي؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَذَلِكَ فَلْيَكُنْ بَابُكَ! فَإِذَا قُرِعَ عَلَيْكَ فَهُوَ إِذْنُكَ.

وَهَكَذَا ذَكَرْنَا أَنَّ مُوسَى الْهَادِيَ دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ فَزَبَرَهُ وَقَالَ:
إِيَّاكَ أَنْ نَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يُفْتَحَ بَابُكَ!

وَذَكَرْنَا أَنَّ الْمَأْمُونُ لَمَّا اسْتَعْرَبَهُ الْوَجْعَ، سَأَلَ بَعْضَ بَنِيهِ الْحَاجِبَ أَنْ يَدْخُلَهُ عَلَيْهِ لِيَرَاهُ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ! مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَاهُ مِنْ

(١) أَيْ أَوْجَعَتْهُ وَأَلَمَتْهُ كَثِيرًا. وَالْوَقْدُ شِدَّةُ الصَّرْبِ. وَفِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ": فَدَعَا دَفْعَةً أَوْقَعَهُ بِهَا.

(٢) فِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ": وَثَلَاثِينَ عَلَى اسْتِمْرَارِ حَنَاتِكَ.

(٣) رَوَى هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِتَلْحِيصٍ حَفِيفٍ صَاحِبُ "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" (ص ٨٦ - ٨٧).

(٤) إِتْبَاهُهُ.

(٥) عَطَّلَهَا فِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" (ص ٨٧).

(٦) أَيْ اسْتَسْتَعَرَبَهُ عَلَيْهِ. وَاسْتَعْرَبَ مَا سَأَلَ الْبَارِ. وَفِي صَدْرِهِ: اسْتَعْرَفَتْهُ. وَلَعَلَّ صَوَابَ الرِّوَايَةِ: اسْتَمَرَّ.

وَفِي "مَحَاسِنِ الْمُلُوكِ" اسْتَعْدَ.

حيث لا يراك، فأطَّلِعَ عليه من ثُبِّي في ذلك الباب، بخاء حتى أَطَّلَعَ عليه وتأمله ثم أنصرف.

وذكر لنا أن إيتاخ بَصَّرَ بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزَّبره وقال: تَنَحَّ! فوالله لولا أني لم أتقدم إليك في ذلك، لضربتُك مائة عَصاً. (١)
وليس لأبن الملك من الملك إلا ما لعبده من الاستكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يُظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في الثمط الأوسط من الناس ثم الذين يُلَوِّههم، فأما الملوك فترقى عن كل شيء يمت به. (٢)
وليس لأبن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكه وجاءت الملة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الياء (إيتاخ) كما في سمركا في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب تقديم الياء التحتية. ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبَّاحاً ثم ترقى به الأحوال إلى أن صار مقدِّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابك إن المعتصم لم يبق لديه أحد إلا وجهه به إليه، حتى طبَّاه، وبعت بذلك المعنى إلى ملك الروم، يُغريه بالخليفة حيناً ضايقه وأخذ بخنقه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر اليمن والكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر. وأنهى أمره بأن خافه المتوكل وأعمل الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤ هـ. (أنظر "النجوم الزاهرة"، وأبن الأثير في فهرسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠).

(٢) سمر: أني أتقدم.
(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "المحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) صم: الجنوح.
(٥) في سمر: "تمت". وأملت هو التوسل والتوصل بقرابة أو حرمة أو دالة أو نحو ذلك. وفي صم: فترقى عن كل شيء يمت إليه.

به ، إلا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهن على الملك وضعف في المملكة .

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان
ولي عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعته والملك دار واحدة^(٢) - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن]
يشرب إلا بشربه ولا [أن] ينأى إلا بمنأيه .

وكذا يجب عليه في كل شيء من أموره الساترة والضائرة أن يكون له تابعا وحركته
تاليا .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر رعيته . لأن ابن الملك عضو
من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والآب فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عن سخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه
لاذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالي من والى الملك ، ويعادى
من عاداه . ولا ينظر في هذا إلى حظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك
ما إن وجد إلى غيابه سبيلا^(٣) أن يقتله . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .

(١) صه : وضعة .

(٢) الوارثا واورامية .

(٣) الضمير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي صه : حيك .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَلَةً لَشَهْوَةِ الاستبدال فقط. (١) فليس لصاحب الملك، إذا أحدث الملك خُلُقًا، أن يعارضه بمثله، ولا إذا رأى نبوةً وأزورارةً، أن يُحدث مثله. فإنه متى فعل ذلك فسدت نيته. ومن فسدت نيته، عادت طاعته معصيةً وولايته عداوةً. ومن عادى الملك، فنفسه عادى وإياها أهان.

ولكن عليه، إذا أحدث الملك الخلق الذي عليه بنية أكثر الملوك، أن يحتال في صرف قلبه إليه. والحيلة في ذلك يسيرة: إنما هو أن يطلب خلوته فيلبيه بنادرة مضحكة أو ضربٍ مثيلٍ نادرٍ أو خبرٍ كان عنه مغطى، فيكشفه له.

كما فعل بعض سُمّار ملوك الأعاجم. أظهر الملك له جَفَوَةَ المَلَلَةِ فقط، فلما رأى ذلك، تعلم بُباح الكلاب وعُواء الذئاب ونهيق الحمير وصياح الديوك ونحيب البغال وصهيل الخيل. ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب من مجلس الملك وفراشه يُخفى أمره. (٢) فنباح الكلاب، فلم يشك الملك أنه كلبٌ وابنُ كلب، فقال: أنظروا ما هذا! فعوى عُواء الذئاب، فنزل الملك عن سريره. فنهق نهيق الحمار، وصرَّ الملك هازبًا. وجاء غلماناه يتبعون الصوت. فكلما دَنَوْا منه، أحدث معنى آخر، فأجمعوا عنه. ثم اجتمعوا فأقتحموا عليه، فأخرجوه وهو عريانٌ محتجبٌ. فلما نظروا إليه، قالوا للملك

(١) سم: الاستبدال.

(٢) في المسعودي طبع باريس: "رقاء"؛ وفي طبعة بولاق: "زقاء". وهذا هو الصواب، ومعناه صياح الديك. (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي: "وأخفى أثره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره". وفي ص: من مجلس الملك وموضع منامه.

هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟^(١)
قال: إن الله مسخني كلباً وذنباً وحماراً، لما غضب على الملك. فأمر أن يُخلع عليه
ويُرَدَّ إلى موضعه.^(٣)

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يُنبئهم أقدارهم.

كما فعل رُوح بن زنياع، وكان أحد دُعاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضاً. فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواهها نحوى، وأهوت بنحالبها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احتل في حديث يضحكه! فقال رُوح: إذا أطمأت بنا المجلس، فسألني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحاً؟ فقال الوليد: أفعَل.

وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رُوح. فلما أطمأت بهم المجلس، قال الوليد لروح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: حدثني ابن أبي عتيق أن امرأته عاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماه في المسعودي: "مرزبان" وكرره.

(٢) ص: ويحك.

(٣) نقل المسعودي هذه الحكاية. (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورعه وتقواه أشهر من نار على علم. (وترجمته في "الطبقات
الكبرى"، لأبن سعد. وفي "أسد الغابة"، وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحابة)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة. كان من نساء قريش وظرفائهم
بل قد بذهم ظرافاً. وله أخبار كثيرة. في الخلاصة بغير روث وفي المجتبى بغير فسوق. وقد غلبت عليه
الدعابة وأشتهر بها. (أنظر "المسند الفريد" ج ٣ ص ٢٣٨ وراجع "كامل" المبرد و"الأغاني"
و"الكامل" لأبن الأثير - بمقتضى فهرسها)

ذهب الإله بما تعيش به * وقمرت ليلك أيما قمر.

أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر.

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فأخذ هذين البيتين - وهما في رقعة - فخرج بهما. فإذا هو بعدد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه الرقعة، وأشر على رأيك فيها. فلما قرأها، أسترجع عبد الله. فقال: ماترى فيمن هجاني بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تعف وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيت قائلها لأني لئن نيلًا جيدًا! فأخذ ابن عمر أفكَلُ^(٢)، وأربدَّ لونه وقال: ويلك! أما تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأقترقا، فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: بالقبر ومن فيه، إلا ما سمعت كلامي! فتخوَّب عبد الله، فوقف وأعرض عنه بوجهه. فقال: علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر فثلثته؟ فصعق ابن عمر ولُبط به. فلما رأى ما حلَّ به، دنا من أذنه فقال: إنها أمرأتى! فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه. فضحك عبد الملك حتى خُص برجله وقال: قاتلك الله ياروح! ما أطيب حديثك! ومد إليه يديه فقام روح فأكبَّ عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، ألدنِّب فأعتذر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل ورعدة"، من باب عطف التفسير.

(٣) أقسم عليه بالروضة الشريفة والمدفون فيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فتخوَّب أى وجد في عدم الوقوف إثمًا، فوقف ولكن معرضا عنه بوجهه.

أم للبلالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا لك من شيء نكرهه. ثم عادله أحسن حالاً*^(١)
 ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الحطفي، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده
 إليه الججاج بن يوسف. فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل.
 فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الحطفي، مادحك وشاعرك!
 قال: بل مادح الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأي أمير المؤمنين أن ياذن
 لي في إنشاد مديحه؟ قال هات بالججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال:
 هات في الججاج! فأنشده قولي في الججاج:

صبرت النفس يا ابن أبي عقيل * محافظةً، فكيف ترى الثوبا؟
 ولو لم تُرض ربك، لم يُنزل * مع النصر الملائكة الغضابا.
 إذا سمر الخليفة نار حرب، * رأى الججاج أنقبا شهابا.

فقال: صدقت، هو كذلك! ثم قال للأخطل، وهو خلفي وأنا لا أراه: قم فهات^(٢)

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صه. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"
 هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما المسعودي فقد أوردتها بالفاظ أخرى وزيادة
 ونقص في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦). وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"
 (في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المحبون والنوادر والفكاهات والملح). ولكن عبارتهم
 كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال التصريف الذي تراه في عبارة الجاحظ.

(٢) سماه في "الصحاح" الخطفي. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو
 الاستلاب. وهو لقب جدّه، لبيت قاله في شعره. ولكن الأسم الخفيف الذي استعمله الجاحظ هو الأكثر
 شيوعاً. وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "ناج العروس"، "كتاب الاستتاق"، لابن دريد (ص ١٤١).
 "ديوان الأخطل"، الذي نشره الأب الفاضل أطلون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب).

(٣) سبب تسمية الأخطل أن آئين تما كماله فاقسم أنها لثيان، هما وأمهما وهو نفسه أيضاً. فقيل له إن هذا
 خطل من قولك. فسمي الأخطل. (أما القالي ج ٢ ص ٢٣٤)

مديحنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأنت مديحنا. فم فاركبه! قال:
فألقى النصراني ثوبه، وقال: ^(١) حُب! يا ابن المِراغة ^(٢). قال: وساء ذلك من حضر من
المُضَرِّيَّة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، لا يركب الحنيف المسلم، ولا يظهر عليه. فاستحيا
عبدُ الملك، وقال: دعه! قال: فأنصرفْتُ أخرى خلق الله حالاً، لم رأيتُ من
إعراض أمير المؤمنين عني، وإقباله عليّ عدوي. حتى إذا كان يوم الرواح للوداع،
دخلتُ لأودعه، فكنتُ آحر من دخل عليه. فقال له محمد بن الحجاج: يا أمير المؤمنين،
هذا جرير، وله مديح في أمير المؤمنين. فقال: لا، هذا شاعر الحجاج! قلت: وشاعرك
يا أمير المؤمنين! قال: لا. فلما رأيتُ سوء رأيه، أنشأتُ أقول:

أتصحو أم فؤادك غير صالح؟ ...

فقال: ذاك فؤادك!

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سرّه، وهو قولي:

ألستم خير من ركب المطايا * وأندي العالمين بطون راح؟

فأستوى جالساً، وكان متيئاً، فقال: بلى نحن كذلك، أعد! فأعدت. فأسفر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبته أو على الأرض ليتمكن من ركوبه. و"حُب" فعل أمر من التجبية بمعنى
الأنحاء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانصه: وجي الرجل وضع يديه على ركبته في الصلاة
أو على الأرض. "وهو أيضاً أنكابه على وجهه". والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام:
"طاطى البصلة" ويعنون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

(٢) هذا هو أسم أم جرير. وقيل إن الفرزدق والأخطل سمياها كذلك في هجاء كل منهما له. وقيل إن
ذلك تعبير له ببني كليب لأنهم أصحاب حير. ووفود جرير على عبد الملك المذكور في كثير من كتب الأدب مثل

"الأغاني" و"العقد الفريد" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الإحاطة هي أوفى وأحسن ما رأيت.

- وذهب ما كان في قلبه، ثم ألقت إلى محمد بن الحجاج فقال: ترى أم حَزْرَةَ تُروِيها مائة من الإبل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كَلْبٍ فلم تُروها، فلا أرواها الله! قال: فأمر لي بمائة فريضة، ومددت يدي - وبين يديه صحائف أربع من فضة قد أُهديت إليه - فقلت: الحلب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة. فقال: خذها، لا بُورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه. ^(٤)
- وهكذا فعل بالأُمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر ^(٦) قد جفاه. فأتاه يوما في قائم الظهيرة، والهجرة تقد. ^(٧) فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. ^(٨) فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مره يسلم قائما ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف، فدخل فسلم قائما ثم قال: أصلح الله الأمير! إني أنصرفت بالأُمس نحو منزلي، و[قد]

- (١) حزره هي بنت جرير. وكان يُكنى بها. قال في "تاج العروس"، ما ضه: "وأبو حرة كنية سيدنا جرير رضى الله عنه". ولا أدري لماذا لقبه بالسيادة ثم رضى عنه (؟!) ويظهر أنه فهم أنها كنية جرير بن عبد الله البجلي الصحابي، وليس كذلك.
- (٢) ص: كلام.
- (٣) ص: رواها.
- (٤) روى صاحب "الأغانى" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (جزء ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأنظر القصة بعينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القسالى" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها بالتبصار ألفاظ الحافظ في "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).
- (٥) ص: عبد الملك بن هلال الهامى. وقد صححت حسما في المصحف طبع ياريس و بولاق
- (٦) هو سليمان بن أبي جعفر المصور، وكان من قواد موسى الهادى. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)
- (٧) أى كانت شدة الحر تنوقد. وفي مروج الذهب: وأحترام الهجير.
- (٨) ص: "أعلمه موضعي". وقد أحررت رواية المسعودى.

أَمْسَيْتُ. فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ ثَوَّبَ بِصَلَاةِ الْمَغْرَبِ عَلَى مَسْجِدٍ مَعْلَقٍ^(٢).
فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ... قَالَ سَلِيمَانُ: فَبَلَغْتَ السَّمَاءَ، فَكَانَ مَاذَا؟ قَالَ:
فَتَقَدَّمْتُ إِنْسَانًا، إِمَّا كُرَيْيْحِيٌّ وَإِمَّا سُنَيْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ^(٣). فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ
[وَلَعْنَةٍ مَا أَعْرِفُهَا]، فَقَالَ: "وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمًّا مَالًا وَعَدَدَهُ" يَرِيدُ "وَيْلٌ لِكُلِّ هَمْزَةٍ
لِمُسْرَةٍ الذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدَهُ". قَالَ: وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانُ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا، فَلَمَّا سَمِعَ
قِرَاءَتَهُ ضَرْبَ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ "إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي!
فِي حَرَمٍ قَارِيكَ!" فَضَحَكَ سَلِيمَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَقَالَ: أَدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدَ،
فَأَنْتَ أَطْيَبُ أُمَّةٍ مَعْدٍ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخَلْعَةٍ وَقَالَ: "إِزِمِ الْبَابَ وَأَعِدْ فِي كُلِّ يَوْمٍ."
وعاد إلى أحسن حالاته عنده *^(٥)

وهذه أخلاق الملوك لمن فهمها. وليس بعجيب أن تتلون أخلاقهم، إذ كنا نرى
أخلاق القرين المساوي والشريك والإلف نتلون ولا تستوى، ولعلّه يجد عن إلفه

(١ - ٢) ثَوَّبَ: دعا إلى الصلاة. وفي المسعودي طبع باريس وبولاق: "فَدَنُوتُ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى مَسْجِدٍ
مَعْلَقٍ". وظاهر أن رواية صه أوقع وأفعد وأتم.

(٣) فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيس "إِمَّا كَرْدِي وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ" وَفِي طَبْعِ بُولَاق: "إِمَّا كَرْدِي أَوْ طُمَطَانِيٌّ"

(٤) أَنْظَرَ الرَوَايَاتِ الْآخَرَى فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيس وَبُولَاق. وَكُلُّهَا مَحْرَقَةٌ مِنَ النَّسَاحِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ مُرَجِّمُ الْمَسْعُودِيِّ. [وَأَنْظَرَ حَاشِيَةَ ٤ صَفْحَةَ ٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ]

(٥) هَذِهِ الْفَقْرَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ نَجْمَيْنِ * مُنْقُولَةٌ عَنْ صَه. وَالحكاية أوردها المسعودي بالحرف الواحد

تقريباً عن الجاحظ دون أن يشير إليه (راجع "مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨،

وطبع بولاق ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صه: إن فهمتها.

وقرينه وشكله مَنَدُوحَةٌ . فكيف يَمَنَّ مَلَكُ الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



وعلى أنه ربما كانت جَفْوَةُ الْمَلِكِ أَصْلَحَ في تأديب الصاحب من اتِّصَالِهِ بِالْأَنْسِ ،
وإن كان ذلك لا يقع بموافقة المَجْفُوءِ . لأن فيها فراغ المَجْفُوءِ لنفسه وتخلُّصه لأمره .
ولمَّا كان لا يمكنه الفراغ له من مُهِمِّ أمره . وفيها أيضا أنه إن كان المَجْفُوءُ من
أهل السَّمر وأصحاب المُكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الجفوة علما طريقا مُحدثا
له بالكتب ودراستها أو بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جَفْوَةَ الْمَلِكِ ربما أدبت الصاحب الأدب الكبير . وذلك أنه
كُلُّ مَنْ أَنْقَسَ الْمَلِكُ مَجْلِسَهُ وطال معه قعوده وبه أنسه ، تَمَّتْ الفراغ وطلبت منه
نفسه التخلُّص والراحة والخُلُوة لإرادة نفسه . كما أنه من كَثُرَ قَرَاغُهُ وَقَلَّ أناسه ، جُفِيَ
وَأُطْرِحَ ، وَطَلَبَ الشَّغْلَ وَالْأَنْسَ وما أشبه ذلك .

فبهذه الأخلاق رُكِبَتِ الْفِطْرُ وَجِيلَتِ النُّفُوسُ .

فإذا جاءه الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يَقْدَرُهَا ، طلبت نفسه
الموضع الذي يَمْلُكُهُ وَالشُّغْلَ الذي كان يَهْرُبُ منه .

(١) سه : الآخر .

(٢) سه : وتخلص أمره عليه . سه : وخاص أمره عليه . وقد صححت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجد مجلسه وجالوسه معه قفيسا . وفي سه : سه : "نفس" . [ولا معنى لها . ولذلك

صححت المتن بما وصل اليه آجتهادي] .

ومنها أنه كان في عزٍّ ومنعةٍ وأمرٍ ونهيٍّ، وكان مرغوباً إليه مرغوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكروا ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحدثُ رقةً على العامة ورأفة بهم، وتُحدثُ للجفوة حُسنَ نيّةٍ.

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وجب على الجفوة شكر الله تعالى على ما ألهم الملك فيه فتصدق وأعطى وصام وصلى.

فكلُّ شيءٍ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخط، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والسرّاء والضراء. غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يجتهد بكلِّ وسع طاقته أن يكون من الملك بالمنزلة بين المتزلّتين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، وأستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة.



وليس من أخلاق الملك أن يُدني من عَظَم قدره وأتسع علمه وطاب مرّكبه، أو ظهرت أمانته أو كُتبت آدابه.

(١) أي رحمة.

(٢) في سره: "مسارعة". وفي صره: "مشاغبة".

(٣) كذا في سره، صره. نعم إن بقية الكلام ربما تنفي النفي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطيقة ضرورة يدل على أن تهريبهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التقرّب للقرناء والمحدثين كائناً من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جنس آخر يحتاج الملك إلى أصحابه ضرورة: لحاجته من القضاء إلى الفقه والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحيدى بالصناعة والركانة^(١)، وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكتب، وما أشبه ذلك. فأما القرناء والمحدثون وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكل من دنا منهم من الملك وعلق به: كائنًا من كان ومن حيث كان.

وكذا وجدنا في كُتب الأعاجم وملوكها.

وفيما يُذكر عن أنوشروا أنهُ قال: "صاحبك من علق بنوك."

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ" أنَّ الملك "مِثْلُ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ، إِنَّمَا يَنْعَلِقُ بِمَا دَنَا مِنْهُ"^(٢). وقد نجد مصداق ذلك عِبانًا في كُلِّ دَهْرٍ وَأَحْبَارِ كُلِّ زَمَانٍ.

(١) الركابة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كان الأصوب "الركانة" وهي الظن الذي يكون بمرة اليقين.

(٢) ص: فأما العرباء والمحدثون.

(٣) نقلت هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة لآل من كتاب "كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ" وهي إلى طبعها الأب الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "مِ" للفظة "بما". وقد وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة السارون دوسامى العرسى سنة ١٨١٦ هكذا: "مِثْلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ إِلَّا بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ" (ص ٨). وهي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق عبا سنة ١٢٨٥ هـ. وهذه الرواية مسورة وبسببها جدا، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، تؤيدها رواية الحافظ وإن كان الذي نسخها قد مسحها. فهي في نسخة "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، ولكن بالأقرب منها". وفي نسخة "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، إنما يتعلق بما قرب منها".

(١) ومن أخلاق الملك السخاء والحياء.

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنهما رُكَّبَا في الملوك
 كتركيب الأعضاء والجوارح ، كان له أن يقول. إذ كنا لم نشاهد ولم يبلغنا عن
 مضى من الملوك ، ملوك العجم ومن كان قبلهم ، وملوك الطوائف وغيرهم ، القسحة والبخل .
 فأما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك ، كان يجب أن يكون باكتساب ، إن كان
 الملك من أهل التمييز. وذلك أنه يفيد أكثر مما ينفي^(٢). فإذا كانت هذه صفة كل
 ملك ، فب عليه من اتخاذ الصنائع وعم المنن والإحسان إلى من نأى عنه أو دنا منه^(٣)
 من أوليائه ، والرحمة للفقير والمسكين ، والعائدة على أهل الحاجة .
 وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة^(٤).

وحقيق لللك (إذ كان الراعي) أن يرحم رعيته ، (وإذ كان الإمام) أن يرق على الموتى
 به ، (وإذ كان المولى) أن يرحم عبده .

فقد تخطى العامة وكثير من الخاصة في الملوك حتى يُسمونهم بغير أسمائهم^(٥)
 ويصفونهم بغير صفاتهم ويتحلونهم بالبخل والإمسالك ، إذا رأوا الملك على سنن من

(١) ص : الملك الكرم والسخاء . ورواية سه أصح . لأن الكلام التالي منقسم إلى موضوع السخاء وإلى موضوع الحياء . ولذلك اعتمدتها في المتن .

(٢) أفاده واستفاده وتفيده بمعنى واحد . (عن القاموس)

(٣) ص : وتعميم .

(٤) زاد في سه هنا : " للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة " . وقد سبقت هذه الجملة في الموضوع المناسب لها في السطر السابق ، فلا حاجة لتكرارها .

(٥) ص : الأبخال .

الْقَصْدُ وَعَدْلٍ مِنْ حَدِّ الْإِنْفَاقِ، وَيَعْمَلُونَ عَمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيهِ (صلى الله عليه وسلم) بقوله عز وجل: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ"، وبمدحه الصالحين من عباده بالقصد في ذات أيديهم، بعلمهم أن أرضى الأحوال عنده مَادْخَلٌ فِي بَابِ الْاِقْتِصَادِ، بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا".

وقد ذكر بعض من لا يعلم (في كتاب ألفه في البخلاء من الملوك) ^(١) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

(١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخلاء عامه ، وقد طبعه في لندن سنة ١٩٠٠ المشرق الهولندي فان فولتن Van Volten ، ثم قلده المتأفوت على سرقة المطبوعات في مصر . وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشاماً هذا "دخل حائطاً بستاناً له فيه فاكهة وأشجار وثمار معه أصحابه . فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! إقلع هذا ، وأغرس مكانه الزيتون . " فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه ، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضاً على بخله ، حتى إذا جاء حائطه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلاً إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام ، وختمها بقول هشام لقيم البستان : " إقلع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئاً " . ولم يذكر الجاحظ شيئاً من هذا القيل عن المنصور في كتابه في البخلاء .

(٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيراً عن الجاحظ بالحرف الواحد أو بالاختصار ولكنه لم يسأله ولم يشر إلى كتابه ، فكان مثله كمثل المسعودي وافر كثير من المؤرخين والمتأدبين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتبجيله ذكر اسم الجاحظ ، فقال في صفحة ١٠٢ مناضه : "قال الجاحظ : ربما وصف الأغنياء المنصور بالبخل ، وليس الأمر كذلك . فإنه لم يسمع عن أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وقرق على أهل بيته في ليلة واحدة ألف ألف . " ثم روى القصة الآتية عن زيد . ولى عيسى بن نبيك باختصار وختمها بهذه العبارة : " قال الجاحظ : فهل يجوز أن يعد من فعل هذا الفعل بخيلاً ؟ "

أَحْتَجْنَا إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ جَهْلِ هَذَا، لَمْ يَكُنْ لِيَذْكُرْهُ مَعْنَى وَلَا لِلتَّشَاغُلِ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ. وَكَيْفَ
يَكُونُ الْمَنْصُورُ مِنْ دَخَلٍ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ
وَلَا مَلُوكِ الْأُمَمِ وَصَلَ بِأَلْفِ أَلْفٍ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ غَيْرُهُ! وَلَقَدْ فَرَّقَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ عَشْرَةَ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. ذَكَرَ ذَلِكَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالْمَدَائِنِيُّ. وَحَدَّثَنِي بَعْضُ
أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ قَالَ: دَعَانِي الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَوْتِ مَوْلَايَ

(١) ص: ولو احتجنا.

(٢) الْمَنْصُورُ هُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ أَعْطَى أَلْفَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَمُومَتِهِ الْأَرْبَعَةَ (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)
وَمَا يَدْخُلُ فِي مَكَارِمِ الْمَنْصُورِ أَنَّ الشُّعْرَاءَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَنشَدُوهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، فَاسْتَحْسَنَ أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ
الْحِجَابِ وَظَهَرَتْ لَهُمْ وَأَمَرَ لِأَحَدِهِمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَعْطَى الْبَاقِينَ أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ (ذِيلُ الْأُمَامِي لِلْقَالِي ص ٤١).
وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ فَقَالَ: يَارَبِّيعُ لَا يَنْصَرِفُ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ،
خُلِمْتُ مَعَهُ (ذِيلُ الْأُمَامِي لِلْقَالِي ص ٢٢٨).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَتِي بْنُ حَزْمٍ فَذَكَرَ لَهُ مَا فَعَلَهُ بَنُو أُمَيَّةَ بِقَوْمِهِ وَأَنشَدَهُ شُعْرًا لِلْأَحْوَصِ كَانَ سَبِيحًا فِي حُرْمَانِهِمْ مِنْ
أُمَوَاهِهِمْ مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةٍ. فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ بِرَدِّ ضِيَاعِ آلِ حَزْمٍ عَلَيْهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ غُلَّتِهَا
فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَتَقْسِيمِ أُمَوَاهِهِمْ بَيْنَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَلَى التَّائِيحِ، وَنَ مَاتَ مِنْهُمْ وَفَرَّ عَلَى وَرَثَتِهِ.
فَأَنْصَرَفَ الْهَقِي بِمَا لَمْ يَنْصَرِفْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)

(٣) سَمَّاهُ فِي مُحَاسِنِ الْمُلُوكِ "زَيْدًا".

(٤) كَانَ الْأَمِيرُ عُثْمَانُ بْنُ نَهْيَكٍ عَلَى حَرَسِ الْمَنْصُورِ. فَلَمَّا مَاتَ سَنَةَ ١٤٠ فِي فِتْنَةِ الرَّائِدِيَّةِ، اسْتَعْمَلَ
الْخَلِيفَةُ أَخَاهُ عَيْسَى هَذَا عَلَى حَرَسِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ. وَهَنَالِكَ أَبْنُ نَهْيَكٍ آخِرَ اسْتَعْمَلَهُ الْمُهَدِيَّ وَأَمْرُهُ بِضَرْبِ
بِشَارِ بْنِ بَرْدٍ حَتَّى قَتَلَهُ. وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ نَهْيَكٍ فَقَدْ قَتَلَهُ الرَّشِيدُ لِأَنَّهُ كَانَ يَبْكِي عَلَى قَتْلِ جَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فأين هي؟ قلت: أنفقتها الحرّة في مآتمه. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مآتمه ألف دينار! ما أعجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد إلى باب المهديّ، فغدوت فقبل لي: معك بغال؟ فقلت: لم أؤمر بإحضار بغل ولا غيره، ولا أدري لِمَ دُعيتُ. قال: فأعطيتُ ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرتُ أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلت. ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به لبنات أبي يزيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد علىّ بألفهنّ حتى أزوجهن

= وعلى ما وقع للبرامكة. فكان إذا أخذ منه الشراب، يقول لغلّامه: هات سيني! فيسله ويصيح: واجعفر! ثم يقول: لا أخذتُ ثأرك، ولا قُتلتُ قاتلك! فتمّ عليه آبه عثمان للفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (ابن الأثير ج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "الحاسن والمساوي" رواية أخرى في وثاية الولد بأبيه للرشيد (ص ٥٩٢). وأما لفظ "نبيك" فهو "مشتق من النباكة وهي الجرأة والإقدام يقال: إتبهك فلان إذا نال من عرضه وشتمه. ومنه: آتتهك المحارم، ونهكته الخي إذا أضرت به، وأنهكته عقوبة إذا أوجعه ضرباً." (الأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ١٢٨)

(١) هذا اللقب كان يُعطى عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلبت تغلبت الدولة التركية في العراف، وفي مصر خصوصاً. صار لقب نساء الملوك "نخونده" "خاتون"، "آدر (جم دار)" وهذا اللقب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المماليك. وفي عصرنا هذا يقول: "حرم"، و"هائم"، وهما لسان يطلقان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من كتاب "زبدة كشف

الممالك وبين الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

منهم . قال : فعدوت عليه بثلاثة من ولد العكي^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عجمي .
 فزوج كل واحدة منهم على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن يجعل صدأقه من ماله .
 وأمرني أن أشتري بما أمر له ضياعاً يكون معاشته منها .^(٢)

فهل سمع هذا الجاهل الخائن بمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي ؟ ولو أردنا أن
 نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار .
 وقبلنا استعمالات العامة وكثير من الخاصة التمييز ، إيثاراً للتقليد . إذ كان أقل
 في الشغل وأدل على الجهل وأخف في المؤونة ، وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
 السمين على النحيف ، وإن كان السمين مأفوناً والنحيف ذا فضائل ، وتفضل الطويل
 على القصير ، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ماهو ، وتفضل راكب الدابة على
 راكب البغل وراكب البغل على راكب الجمار ، أقتصاراً على التقليد إذ كان أسهل
 في المأني وأهون في الاختيار .



ومن حق الملك - إذا اعتل - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار ،
 حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر ، وأن لا يرفع إليه الحاجب أسماءهم

(١) الظاهر أن العكي المذكور هنا هو مقاتل بن حَكَم العكي الذي استخلفه المنصور على حران ، وقد حاصره
 بها عبدالله بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٣ ر ٩٤)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حرفاً حرفاً . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل السواب : المسائن . بمعنى الكاذب .

(٤) صه : أثراً .

(٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل . وفي صه : وؤفا . [أي ذا آفة وعاهة] .

مبتدئاً حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقّه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مرأتها ، فلم تسلم عليه فتحوّجه إلى رد السلام ؛ فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيراً موجزاً ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدها الثالثة ، فكان حظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة لتأمل الملك وتدعوله وتنظر إليه . وإنما مرأتها أن يراها فقط .

ومن حقّ الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحبة الملك . وبالحريّ ينبغي أن لا يبرح فناء سيّده ومالكه ، أنتظاراً لإفافته من علته وفحصاً عن ساعات مرضه .



ومن الحقّ على الملك تعهّد بطانته وخاصّته بجوائزهم وصلاّتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاّتهم ، ولا يحوّج أحداً منهم إلى رفع رُفعة أو إذكار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقّظ من الملوك .

(١) صه : يجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ صفحة ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) صه : ومحصى .

سا وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر للرجل من خاصته وبطانته تقديرًا وسَطًا بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّه كُلِّها، وحوائجها خاصّها وعامّها . فإذا كان التقدير - على الجهة التي وصفنا - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة^(١)، أمر أن يُدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنّ^(٢) زلّاله ونفقاته وحوائجها . ويقول له الملك: "قد علمنا أنّ الضيعة التي أفدتنا هي مما تقدّم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكر تلك النعمة منك، وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شيء أفدتنا^(٣) بشكرٍ قد تقدّم وحرمة قد تأكّدت. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهورًا لنوائب الزمان وتخوّم الأيام وأنقلاب الدّول وحوادث الموت. ولتكن مؤنك^(٤) وكلّفك على خاصّ أموالنا." ^(٥)

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام . فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه بطلب درهم ولا غيره، منبسطا لزمانه مبتهجا ينعم ملكه مسرورا بما يكفي^(٦) عن التذكار وشكوى الحال. ^(٧)

(١) الأتزال (جمع زُل): القوم النازلون على الإنسان، أو ماهي للضيف أن ينزل عليه، كما في تاج العروس .

(٢) ص: أخذتها .

(٣) ص: أخذته .

(٤) سم: وحوادث الأيام والموت . ص: وحوادث المؤن .

(٥) ص: وكُلّك .

(٦) في ص: "مستنشاطا" . وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام، فلذلك أصلحناها بما اقتضاه

الحال . وهي من الكلمات التي تفرّد بها ص .

(٧) ص: بما كفي من التذكار وشكر الحال .



ومن حقّ الملك هدايا المهرجان والنيروز^(١).

والعلة في ذلك أنّهما فصلًا السنة.

فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد، والنيروز إذن بدخول فصل الحرّ. إلا أن في النيروز أحوالاً ليست في المهرجان. فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج وتولية العمال والاستبدال وضرب الدراهم والدنانير وتذكية بيوت النيران وصب الماء وتقريب القربان وإشادة البنيان وما أشبه ذلك^(٢).

فهذه فضيلة النيروز على المهرجان.

ومن حقّ الملك أن يُهدى إليه الخاصة والحامة.

والسنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرجل ما يحب من ملكه، إذا كان في الطبقة العالية. فإن كان يحب المسك، أهدى مسكاً لا غيره؛ وإن كان يحب العنبر،

(١) كلمتان فارسيتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السنة.

(٣) ص: والأخذ بالاسفند. | والذي في المعجم الفارسي العربي الإنكليزي لريتشارد ص: أن الإسفند هو آسم اليوم الثالث من الخمسة الأيام التي يضيفها الفرس لآخر الشهر الثاني عشر من السنة. ولما كان الشهر عندهم ثلاثين يوماً فهم يضمون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة ليجعلوها معادلة للسنة الشمسية. وربما كان الجاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالفرس في ذلك اليوم بتقريب القربان |

(٤) كل هذه رسوم فارسية نقلها الجاحظ عن آيئينهم، بغير ملاحظة لما أخذ المساهمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يؤيد ما أشرنا إليه في الحاشية السابقة.

أهدى عنبراً، وإن كان صاحب بزة ولبسة، أهدى كسوة وثياباً، وإن كان الرجل من الشجعاء والفُرسان، فالسنة أن يهدى فرساً أو رمحاً أو سيفاً، وإن كان رامياً، فالسنة أن يهدى ثياباً، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة، وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيد للسنة الماضية، جمعها وجعلها في بدر حريصين^(٤) وشريحات فضة وخيوط إبريسم وخواتيم عنبر ثم وجهها.

(١) صه : صاحب كسوة وثياب .

(٢) صه : "أصحاب العال" . [ولعلها أصحاب الأعمال] .

(٣) وردت هذه الكلمة مهملة في سه ، صه هكذا (مواسن) ، فوجدناها في شفاء الغليل (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا : "مواسن" وفسرها بقوله "بقايا في شعر الفرزدق . معرب" . (ص ٢٠٨) ولكن الناسخ أو الطابع جعلها بالناء المثناة الفوقية بدلاً من النون . وهي واردة على صحتها في كتاب "المعرب من الكلام الأجمعي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألمانية سخاو بمدينة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد استشهد عليها ، بقول الفرزدق .

"خَرَجَ مَوَانِيدٌ عَلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ * تَشْدُلُهَا أَيْدِيهِمْ بِالْعَوَاتِقِ" .

وقد رأيت هذا البيت في قصيدة طويلة في مدح عمر بن هبيرة الفزاري ، ضمن ديوان الفرزدق الذي طبعه باللغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسيو بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠ . (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي) . وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الأصح في كتابها الدال المهملة بدلاً من المعجمة ، وظن أنها تعريب كلمة "مانده" الفارسية . وأقول إن العرب يجعلون الدال ذالاً عند التعريب (مثل أسد ، تليذ ، فالودج ، فولاذ ، بغداد ، كلواذ ، مروالروذ الخ) . وأما الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانیدن" بمعنى البقاء . وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجعل الدال ذالاً جراً على عادتهم في التعريب .

(٤) صه : بيت .

وكذلك، إنما كان يفعل من المأل من أراد أن يترين بفضل نفقاته أو بفضل عمالته أو أداء أمانته .

وكان يهدى الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التحفةَ والطرفةَ والبأكورةَ من الخضرَاوات .

- ٥ وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يؤثرنه ويفضله كما قدما في الرجال . غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسر بها - أن تهديها إليه بأكل حالاتها وأفضل زينتها وأحسن هياتها . فإذا فعلت ذلك ، فمن حقها على الملك أن يقدمها على نسائه ويخصها بالمنزلة ويريدها في الكرامة ، ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به .

ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تعرض عليه وتقوم قيمة عدل .

- فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف ، أثبتت في ديوان الخاصة . فإن كان صاحبها ممن يرغب في الفضل ويذهب إلى الربح ثم نابتة نائبة من مصيبة يصاب بها أو بناء يتخذها أو مأدبة يادها أو عرس يكون من تزويج ابن أو إهداء ابنة إلى بعلها ، نظر إلى ما له في الديوان (وقد وكل بذلك رجل يرعى هذا وما أشبهه ويتعهده) ، فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف ، أضعفت له ليستعين بها على نائبته .

(١) ص : يؤثر به ويفضله .

(٢) سم : يجتده .

(٣) في سم : يجتدها . وليست في ص .

وإن كان الرجل ممن أهدى نُسابة أو درهما أو تُفَاحَةً أو أُتْرَجةً، فإن تلك الهدية إنما قدمها لثُبَّتَ له في الديوان، ويُخبر الملكُ إنْ نابته نائبةً. فعلى الملك إعانتها عليها، إذا كان من أساورته وبنطائه أو محدثيه. فإذا رُفِعَ للملك أنْ له في الديوان نُسابةً أو درهماً أو أُتْرَجةً أو تُفَاحَةً، أَمَرَ الملكُ أَنْ تَوْخَذَ أُتْرَجةٌ فُتَمَلَأَ دنانيرَ منظومةً ويوجَّهَ بها إليه. وكان لا يُعطى صاحبُ التُّفَاحَةِ إلَّا كما يُعطى صاحبُ الأُتْرَجةِ. وأما صاحبُ النُسابة فكانت تخرج نُسابته من الخزانة وعليها اسمه، فتُنصَبُ ويوضعُ بإزاءها من كِسوةِ الملك ومن سائر الكساء. فإذا أرتفعت حتى تُوازى نَصَلُ النُسابة، دُعِيَ صاحبُها فدُفِعَتْ إليه تلك الكِسوة.

وكان من تقدَّمت له هدية في النيروز والمهرجان (صَغُرَتْ أمْ كَبُرَتْ، كَثُرَتْ أمْ قَلَّتْ)، ثم لم يُخْرَجْ له من الملك صلةٌ عند نائبةِ توبه أو حقٍّ يلزمه، فعليه أن يأتي ديوان الملك ويُدَكِّرَ بنفسه، وأن لا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة. وإن غفل عن أمره بعارض يحدث، فإن ترك ذلك على عمد، فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لستة أشهر، وأن يدفعها إلى عدو، إن كان له. إذ أتى شيئاً فيه شينٌ على الملك وضعتُ في المملكة.

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرُون بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنيروز من الكسبي فتتفرَّق كلها على بَطَّانة الملك وخاصته، ثم على بَطَّانة البَطَّانة، ثم على سائر الناس، على مراتبهم.

وكانوا يقولون: إن الملك يستغنى عن كِسوة الصيف في الشتاء، وعن كِسوة الشتاء في الصيف، وليس من أخلاق الملوك أن يُحِبَّ كِسوتها في خزائنها، فتساوى العامة في فعلها.

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والملحَم. ثم تفرَّق كمسوة الصيف على ما ذكرنا.

فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر يكسوة الشتاء كلها ففُتِّقَتْ. ^(١)

- ولا نعلم أن أحداً بعدهم أقتفى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإني سمعت من محمد بن الحسن بن مُصْعِبٍ ^(٢) يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في خزانته ثوباً واحداً إلا كساه. وهذا من أحسن ما حكى لنا من فضائله.



ومن أخلاق الملوك اللهُو.

- غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتاً واحداً، وأخذ نفسه بذلك. فإنه إذا فعل ذلك، استطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أدمن ذلك، خرج به اللهو من بابه حتى يجعله جدًّا لا هزل فيه، وحقًّا لا باطل معه، وخلقًا لا يمكنه الانصراف عنه. وليس هذا صفة الملك السعيد.

- ومن أدمن شيئاً من ملأ الدنيا، لم يجد له من اللذة وجود القرم النهم المشتاق. ^(٣) وهذا قد نراه عياناً. وذلك أن ألد الطعام وأطيبه ما كان على جوع شديد؛ وألد الجماع وأطيبه، إذا اشتد الشبق وطالت العزبة؛ وألد النوم وأهناؤه ما كان يعقب التعب والسهرة.

(١) ص: ثياب سابور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته.

(٣) ص: اللذة وجودة الطعم وجودة النوم.

(٤) ص: الغربة.

وعلى هذا جميع ملائذ الدنيا.

فالمملوك الماضية إنما جعلت للملائذ وقتاً واحداً من اليوم واللييلة، وهذه الفضيلة التي فيها.

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساماً. فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله، وصدرة لرعاياه وإصلاح أمرها، ووسطه لأكله ومنامه، وطرّفه للهو وشغله. وأن لا يثابر على إدمان الشغل في كل يوم. وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها، فلا يجد للهو لذته، ولا للنعيم موضعه الذي هو به.



وكانت المملوك الماضية من الأكاسرة تشرب في كل ثلاثة أيام يوماً، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور. فانهم كانوا يذمنون الشرب في كل يوم. (١)

وكان ملوك العرب (كالنعمان) وملوك الحيرة وملوك الطوائف، أكثرها يشرب في كل يوم وليلة مرة. (٢)

وكان من ملوك الإسلام، من يذمن على شربه، يزيد بن معاوية. وكان لا يمتنع إلا سكران، ولا يصبح إلا مخموراً.

وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو (٣)

(١) لعل الصواب: الأصغر. (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩، و صفحة ١١٨ من هذا الكتاب).

(٢) ص: في كل جمعة يوماً وليلة

(٣) ص: عبد الله.

(١) أو في الماء، ويقول: "إنما أقصد في هذا إلى إشراق العقل، وتقوية منة الحفظ،
(٢) وتصفية موضع الفكر." غير أنه كان إذا بلغ آخر هذا السكر، أفرغ ما كان في بدنه حتى
لا يبقى في أعضائه منه شيء. فيصيحُ خفيف البدن، ذكي العقل والذهن، نشيط
النفس، قوي المنة.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا
سمع غناء.

(٤) وكان هشام يسكر في كل جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمnan اللهو والشرب. (٤) فأما يزيد بن الوليد،
فكان دهره بين حالين، بين سُكرٍ وحمارٍ، ولا يوجد أبداً إلا ومعه إحدى هاتين.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

(٥) وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عشية الثلاثاء وحدها، دون السبت.

(١) ص: الأرض.

(٢) ص: وتقوية وتصفية.

(٣) ص: آخر حد السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * * متقولتان عن ص.

(٥) ص: وحدها في كل جمعة.

(١) * وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدعان يوماً.

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين. وربما قدم أيامه وأنحرها. على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً. إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائته. (٢)

وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة. ثم أدمن الشرب عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفي.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه. غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة ولا يومها. *



وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب.

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة. فإذا نزع لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم يلبسه بعد. (٣)

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * * متقولة عن ص.

(٢) وأنظر حاشية ٥ ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) ص: روثقه وبعض ماثره رمى. [ولعله: وبعض بهائه رمى]

وَقَبَازٌ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُغْسِلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُغْسِلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ لَمْ يُغْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُعِلَ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلُوكَةِ خَاصَّةً، لَا يُجَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُتَّخَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتِيكَ صِنْفٌ آخَرُ.

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُغْسِلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمُرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ.

فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِّيُّ وَالْمُهَادِي
وَالرَّشِيدُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَاتِقُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا لَبَسَةً وَاحِدَةً،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيْبًا.

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأَرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ، وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمِطْرَفَ السَّنِينَ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأَرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَسَائِرُ الثِّيَابِ الدَّنَائِرُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا

(١) أى مرّات . والعركة المرة الواحدة . وفى صـ : مرّات .

(٢) هوردا . من خز مرّيع له أعلام . ولم يذكره دوزى Dozy فى "معجم أسماء الثياب عند العرب" .

(٣) سـ : إمادة .



وأخلاق الملوك في العطر ومسّ الطيب وتغلّل الغالية تختلف^(١).

فمن الملوك من إذا مسّ الطيب وتغلّل بالغالية لم يعد إلى مسّ طيب ما دام عبقها في ثوبه.

ومن الملوك من كان إذا مسّ الطيب وتغلّل بالغالية فتضوّعت منه وعلفت ثيابه، أمر بصبّ ماء الورد على رأسه حتى يسيل^(٢)، فإذا كان من غد، فعل مثل ذلك.

فأما من كان لا يمسّ طيباً مادام يحسّ عبق الطيب في ثيابه: فأردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن زردجرد وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان، ومن ملوك العرب: معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد]، ومن خلفاء بني العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون،

وكان المعتصم قلماً يمسّ الطيب، وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتة على شدة البطش والأيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صدى السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص ٦٠: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغلّل من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، بخافز. وكذلك غلّت بها لحيتي، شدد للكرة. صحاح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الدهن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه." وأظرف صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها.

(٣) ص ٦٠: الماوردي. [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب المزجي ونسبوا إليه فقالوا: الماوردي].



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن خُصَّ بالكرمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .
وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ماتقع وتتفق بسؤال المذور الملك وتلطفه في ذلك . ^(٢)

(١) من هذا القبيل ما تفضل به مولانا الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على المأسوف عليه
بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقاً ، بعد أن أغتالته مذابحة في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) . فقد يتم المستثنى (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته ، ثم تازل بالتوجه إلى
دار القعيد بالقجالة في القاهرة ، عقب مماته في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وواسى نفسه أولاد القتل وقرابته .
نخفف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب عن جميل عايتهم بجميع صنوف رعيته .

ولقد اتفق مثل هذا الصنيع الجليل ، في حادث من هذا القبيل ، لأحد السابقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اغتيال رئيس الحكومة وصاحب الحل والعقد في ديار مصر ، وأغنى به الأتابكي سيف الدين
شيخو العمدري (وهو أول من تلقب باسم أمير كبير ، وكانت وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
هذه) ، فضر به وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
مغشياً عليه . فحملوه إلى بيته وبه بعض رقيق . وهنالك صمدوا جراحاته . فنزل السلطان من القلعة في اليوم التالي
وذهب بموكبه إلى داره وترجل عن فرسه وواسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذي القعدة من السنة المذكورة . فأحتفل السلطان بنجاسته وحصرها بنفسه وصلى عليه قبل دمه . (راجع إن

إياس ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في سه ، صه : تلطفه .

وربما رفع الملك مرتبة الوزير وخصه وقدمه على سائر طبائعه، فيكون من حيل
الوزير أن يتعالل فيعوده الملك، فيظهر للعامة منزلته عنده وتكرمه إياه وإيثاره له .
وأيضاً، فقلَّ ملك سأل وزيره أو صاحب جيشه أو أحد عظمائه زيارته إلا أجابه
إلى ذلك، و[لا سيما] إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادة في المرتبة والتنويه بالذكر .
فإذا كانت الزيارة من الملك على أحد هذه الأقسام الثلاثة، فهي منزلة كان
صاحبها يحاوطها ببلغها، وأمنية طلبها فأدركها .
فأما الزيارة للتعظيم، فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المزور . إذ كان ليس من أخلاق
وزير ولا شريف أن يقول للملك: زُرْنِي لتعظمني، ولترفع في الناس من ذكري
وقدري .
فإذا كان ذلك من الملك ابتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفع مراتب الوزراء، وأفضل
درجات الأشراف .^(٤)

(١) سم: وقربه .

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٤٥ من هذا الكتاب] .

(٣) ص: يأملها .

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضاً الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعه ،
وغرس نعمته ، وخادم دولته ، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي . فقد زاره بمنزله في رمل
الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١) . وقد جمعت هذه الزيارة من تين في آن واحد :
مزية التكرم ومزية العيادة اللتين أشار إليهما الجاحظ . ولقد كانت هذه الزيارة على غير انتظار البتة .
وكنْتُ حاضراً ليلتها في دار الوزير ، وهو لا يعلم بذلك . لأنه قبل تشريف الملك بهنية ، كان بملابس نومه .
فأهو إلان فأجأنا الخبر بالتلفون ، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة . وقد كانت بعد ذلك بدقائق .
وذلك لعمرى يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلفاء والسلاطين في مصر إلى رجال دولتهم .
أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرمية . وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بمآثره الجليلة في خدمة العلم
والأدب والفنون الجليلة نزل من قصره بالقلعة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير شريك الدوادار الكبير ،
بمناسبة التوعك الذي حصل في جسده . وكان هذا الأمير قد جمع في يده أكبر وظائف الدولة على ذلك العهد ، وهي :
الاستادارية ، والدوادارية ، والوزارة ، وكثيرة الكشف . وقد عظم أمره جداً حتى قال فيه ابن إياس : " ما أظن
أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله . " (أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨)

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظيمًا من عظمائهما
للتعظيم لا لغيره، أرخت الفرس تلك الزبارة، وخرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه وتوسم خيله ودوابه لثلاث^(١)
تسحر، ولا تمتهن^(٢)، ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل^(٣)، يكون ببابه إلى غروب الشمس. فإن ركب كانت الرحالة مشاة أمامه،^(٤)
والركبان من خلفه، ولا يجلس أحد من حامته وخاصته لجناية جناها، ولا يحكم على أحد
من عبيده بحكم، وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجّه به إليه ليرى فيه رأيه به
ويؤخر عليه وظيفته ما عليه من حراج أرضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه
في النبروز والمهرجان على كل هدية وتعرض على الملك، ويكون أول من بأذن له
الحاجب، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويًا، وتكون مرتبته إذا قعد
عن يمينه، وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد.

(١) في سـ: "توغر" وفي صـ: "يوعر". يقال أوعر الملك الرجل الأرص: جعله له من غير
حراج، أو هو أن يؤدى الحراج إلى الساطع الأكبر فراراً من العمل (قاموس). وهذا المعنى الثاني هو الذى أرادته
الحافظ، لقوله بعد ذلك بحمسة أسطر: "ويؤخر عليه وظيفته ما عليه من حراج أرضه حتى يكون هو الحامل له".

(٢) صـ: ولا تمتهن.

(٣) صـ: الرجال.

(٤) سـ: وعامته.

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحداً لعلّه من هذه العلل التي قدّمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله فرساً رائعا بسرج مذهب وأداة تامة، فقدم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن زديجرد. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كل ساعة خلعة مجددة، ويشتري الزمارة والمغنية والراقصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لغلبة اللهو عليه وإيثاره هواه.
 فإما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدّينا. ^(٢)



ومن أخلاق الملك القعود للعامة يوماً في المهرجان، ويوماً في النيروز. ولا يحجب
 عنه أحد في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف. ^(٣)
 وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام، ليتأهبّ الناس لذلك. فبهى الرجل
 القصة، وبهى الآخر الحجة في مظلمته، ويصالح الآخر صاحبه إذا علم أن خصمه

(١) لعله: فنصرف. وبقية الكلام يدل على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدر ويكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر. ١٥

(٣) أى الأسوار المزور.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * * مقولة عن صـ.

(٥) وهذا أيضاً من مقولات الملاحظ عن آيين الفرس.

يَتَظَلَّمُ مِنْهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَيَأْمُرُ الْمُوَبَّدَ أَنْ يُوَكِّلَ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ فَيَقْفُونَ بِسَبَابِ الْعَامَّةِ ، فَلَا يَمْنَعُ أَحَدٌ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ . وَيُنَادِي مُنَادِيهِ : ”مَنْ حَبَسَ رَجُلًا عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ سُنَّةَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ ، فَقَدْ أَذِنَ بِحَرْبٍ مِنْهُ وَمِنْ الْمَلِكِ .“

ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلنَّاسِ وَتُؤْخَذُ رِقَاعُهُمْ ، فَيَنْظَرُ فِيهَا . فَإِنْ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يَتَظَلَّمُ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ ، بُدِيَ بِهِ أَوَّلًا ، وَقُدِّمَ عَلَى كُلِّ مَظْلَمَةٍ . وَيُحْضِرُ الْمَلِكُ الْمُوَبَّدَ الْكَبِيرَ وَالْدَّيْرِيذَ ^(١) وَرَأْسَ سَدَنَةِ بَيْوتِ الْبَارِ . ثُمَّ يَقُومُ الْمُنَادِي فَيُنَادِي : ”لِيَعْتَرِلْ كُلُّ مَنْ تَظَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ !“ فَيَحْتَازُونَ . وَيَقُومُ الْمَلِكُ مَعَ خَصْمِهِ حَتَّى يَحْثُوبِينَ يَدَيِ الْمُوَبَّدِ فَيَقُولُ لَهُ : ”أَيُّهَا الْمُوَبَّدُ ، إِنَّهُ مَا مِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِ الْمُلُوكِ ! وَإِنَّمَا خَوَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى رَعَايَاهَا لِتُدْفَعَ عَنْهَا الظُّلْمُ وَتُدْبَّ عَنْ بَيْضَةِ الْمُلُوكِ جَوَرُ الْجَائِرِينَ وَظُلْمُ الظَّالِمِينَ . فَإِذَا كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةُ الْجَائِرَةُ ، فَحَقٌّ لِمَنْ دُونَهَا هَدْمُ بَيْوتِ النِّيرانِ ، وَسُلْبُ مَا فِي النِّوَابِيسِ مِنَ الْأَكْفَانِ . وَمَجْلِسِي هَذَا مِنْكَ - وَأَنَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ - يَشْبَهُ مَجْلِسَكَ مِنَ اللَّهِ غَدًا . فَإِنْ آثَرْتَ اللَّهَ أَثَرَكِ ، وَإِنْ آثَرْتَ الْمَلِكَ عَذْبُكَ ^(٢) .“ فَيَقُولُ لَهُ الْمُوَبَّدُ : ”إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ سَعَادَةَ عِبَادِهِ ، اخْتَارَ لَهُمْ خَيْرَ أَهْلِ أَرْضِهِ . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُمْ قَدْرَهُ عِنْدَهُ ، أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِكَ .“ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ خَصْمِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ . فَإِنْ صَحَّ عَلَى الْمَلِكِ ،

(١) سمه ، صه : الدرر - [وأنظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها ، و صفحة ١٧٣

منه أيضا] .

(٢) في ”محاسن الملوك“ أن الخصم هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي ، لا الملك . (ص ٣٩)

شئ أخذ به؛ وإلا حبس من آدعى عليه باطلاً، ونكّل به. وتؤدى عليه: "هذا جزء

(١) في تواريخ الإسلام غر كثيرة من هذا القبيل. فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزراؤهم كانوا يسأرون أقول الخصوم في مجلس القاضي ويجرى عليهم الحكم الشرعي كما يجري على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبي طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذى أمام القاضي شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموي مع صاحب حرسه أمام القاضي في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاصم رجل من حلوان مصر الخليفة عمر بن العزيز وتوجها معا إلى مجلس القاضي فسأوى بينهما في كل شيء. وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوى ص ٥٢٥)، وفيها وفيها يلها وقائع أخرى من هذا القبيل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكرم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوى" ص ٥٣٢ و"المستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع يحيى شوع الطيب عند القاضي أحمد بن أبي دؤاد "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضي "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبعد من ذلك كله ماجرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطي أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بعز الدين بن عبد السلام المشهور بسلطان العلماء قضاء مصر والوجه القبلي. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) قاصداً يتلطف به في العود إلى دمشق. فاجتمع به ولأبيه، وقال له: ما زيد منك شيئاً إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يامسكين! "ما أراضاه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذي عافانا عما ابتلنا به!". فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمهم وولاه قضاء مصر. فاتفق أن أستاذ داره نجر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ (وهو الذي كان إليه أمر المملكة) عهد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

(١)
مَنْ أَرَادَ شَيْئَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَلِكَةِ! ”

== بناءً طليحانه، وبقيت تضرب هنالك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم بهدم ذلك البناء. وأسقط نحر الدين، وعزل نفسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وطن نحر الدين وغيره أن هذا الحكم لا يتأثر به في الخارج. فاتفق أن تجهز السلطان وسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد. فلما وصل الرسول إلى الديوان، وقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، نخرج إليه وسأله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملني عن السلطان نحر الدين ابن شيخ الشيخ، أستاذ داره. فقال الخليفة: إن المد كورأسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته. فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة، ثم عاد إلى بغداد وأداها. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء. تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، وأحتدم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً. وتعلقت مصالحهم لذلك وكان من جلهم نائب الساطة، فاستشاط غضباً. فاجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نعقد لكم مجلساً، وننادي عليكم لبيت مال المسلمين! فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يقد فيه. فأنزعج الناس، وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض! والله لأضربنه بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلوك في يده. فطرق الباب. ونخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، وشرجه الحال. فأكرث لذلك. وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، بيست يد النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله. فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له. وقال: ياسيدي، إيش تعمل! قال: أنادي عليكم وأبيحكم! قال: فعم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! فتم ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وقال في ثمنهم ولم يسمهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير. (”حسن المحاضرة“ ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة). وقد روى السبكي هذه الحكاية تفصيلاً في ترجمة الشيخ عبد العزيز في ”طبقات الشافعية“ (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧) (١) صم: أراد شئ الملكة والقده فيها بالباطل. | اقتطع صاحب ”محاسن الملوك“ هنا سياق الكلام، وأضاف حاشية به على أنها ليست من الخبر. وهذا صها: ”وذكر أن أحد خلفاء العلويين الفاطميين فعل مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاة مُحاجاً لحصم ولم يتحرك له القاضي عند حركته للعود بين يديه وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم وقضى به، وشب مقللاً للأرض، جالسا دون مجلس الخليفة. فقال: والله! لو تحرك لي أولاً ونخرج عن حكم الحق، لضربت عنقه“ |

فإذا فرغ الملك من نظائمه في نفسه، قام فحمد الله ومجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وألقت إلى قرايبه وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُنصف منها إلا لثلاثاً يطعم طامعٌ في حيفي. فمن كان قبّله حقٌ فليخرج إلى خصمه منه، إما بصلح وإما بغيره."

(١) فكان أقرب الناس إلى الملك [في الحق] كأبعدهم، وأقواهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرّاً حتى ملكهم يزدجرد الأئيم، وهو الحس الباركر. فغيّر سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبريّة والفساد، وقال: "ليس للرعيّة أن تنتصف من الراعي، ولا للسوقة أن تنظّم من الملوّك، ولا للوضع أن يساوى الرفيع في حقٍّ ولا باطلٍ."

فذكرت الأعاجم في كتبها وسيّر ملوكها أنه بينا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فارسٌ مسرجٌ ملجُمٌ، لم يرقط شيء أحسن منه منظراً، ولا أكمل أداة. فأهوى نحو يزدجرد الباركر. فقامت إليه الأساورة

(١) روى صاحب "مخاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظلم الناس من الملك إلى العاني وبالخرف الواحد تقريباً عن الجاحظ. (ص ٣٩ - ٤١)

(٢) هكذا في س. والمسهور أنه يسمّى يزدجرد المليم الأئيم، ويزدجرد الأئيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أظنّ عرأ أخبار الفرس وسيّرهم للثعالبيّ صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في ص.

(٣) س: يستأدى.

(٤) ص: يزدجرد الأئيم.

(١) (٢)

لندفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَمَحَهُ فأرداه . وهو في خلال ذلك يقصد إلى الملك ، فقام إليه يزدجرد وقال للأساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

فدنا منه حتى أخذ بمِعْرَفَتِهِ^(٣) ، فذَلَّ له الفرس وتطامن حتى ركبهُ . فلما جال في متنه ،^(٤) خطا به خطأ ، ثم رده إلى اقرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحه بيده ، مُقْبِلًا^(٥) ومُدْبِرًا . حتى إذا وجد الفرس منه ممكًا وغفلةً ، رَمَحَهُ فأصاب حبة قلبه ، فقتله . فقالت الفرس : هذا ملك من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد ،^(٦) لَمَّا ظلم الرعية وعاث في الأرض .

وكان بهرام جور بن يزدجرد في حجر الثعنان بن المنذر ، ملك الحيرة . وضعه أبوه عنده ليتأدب بأداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفرس ملكت عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها . فاستنص الثعنان بن المنذر وأستنجذه . وقال : ” إني لي عليك حقاً ، إذ كنتُ أحدَ أولادك . وإن أبي قد مات وملكيت

جور
بيه

(١) أى رفسه برجله أو برجليه . يقال ذلك للفرس والبغل والحصان وكل ذى حافر ، وربما استعير لذي

الخف . (تاج العروس)

(٢) أى فأهلكه . وفى صه : فأداره .

(٣) صه : بعرفه .

(٤) صه : حال .

(٥) صه : بنوبه .

(٦) قارن ذلك بما أورده النعماني (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية وتفصيلها مع اختلاف .

الْفُرسَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمُلْكِ . فَإِنْ أَنْتَ خَدَلْتَنِي ، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ . ”
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : ” مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ ؟ وَلَكِنِّي أَنْخُرُجُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لِتَقْوَى نَيْتِكَ ^(١) . ثُمَّ أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ . ” قَالَ :
فَهَذَا أُرِيدُ .

نَخْرُجُ النُّعْمَانُ مَعَ بَهْرَامٍ حَتَّى صَارَ بِالْمَدَائِنِ ، وَبَلَغَ الْفُرسَ قَدُومَهُمَا . نَخْرُجُوا إِلَى
بَهْرَامٍ ، فَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مُلْكُ أَبِي وَإِرْثُ آلِ سَاسَانَ . قَالُوا : إِنْ أَبَاكَ سَامِنَا
الْعَذَابَ أَيَّامَ مَدَّتِهِ ، فَأَتَفَرَّدَ اللَّهُ بِقَتْلِهِ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيهِ . فَقَالَ بَهْرَامُ :
إِنَّ جَوْرَ أَبِي وَظُلْمَهُ لَا يُلْزِمُنِي لَأَيْمَةً ^(٣) ، وَلَا يُكْسِبُنِي ذِمًّا ^(٤) . وَأَنْتُمْ لَمْ تَحْبُزُونِي ، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْذَمٍ . قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ أَقْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا فَسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنَّ
تُمْلِكُوا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا فَعَلْتُمْ ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلُ مِحْنَةً تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ .
قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْمِدُونَ إِلَى أَسَدَيْنِ ضَارِبَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرَكُمْ يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنَهُمَا .
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ وَأَوْلَى . وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ . قَالُوا : نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا .

(١) صه : مُتَكَ .

(٢) روى الثعالبي هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من الجاحظ . (غرر أخبار الفرس ص ٥٤٨)

(٣) صه : لَا يُلْزِمُنِي لَأَيْمَتِهِ .

(٤) صه : مَذْمُومَةٍ .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فليُفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدَيْن فهو أحقُّ بالملك وأولى .

(١) فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدَيْن فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأنك ! فنزل بهرام عن فرسه وأخذ الطَّبرزيْن ومضى نحوهما ، ثم بدا له فجعل الطبرزيْن في مِنطَقَتِهِ . ودنا من الأسدَيْن فأهويا نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به حتى قتلهما جميعا . وشدَّ على التاج فأخذه من موضعه فجعله على رأسه .

فملكته الفُرسُ أسرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرةً حسنةً

(١) ص ٥ : وضوا .

- (٢) جمعه طبرزيات | أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦ | . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبر ، تير) ومعناها الفأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يعلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت النزال والبراز . وقد عرب المشارقة وأهل الاندلس هذا اللفظ الفارسي فجاعلوه " طبرزين " . قال في " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لرا كشي (ص ٩٠) مانصه " نخرج المعتمد وببسه الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برد " . وقال في " المحاسن والمساوي " (ص ٥٩٣) . " وكان معه طبرزين فضربه كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات " .
- (١٥) (وأنظر أيضا تاج العروس ، و بهران قاطع ، وشفا ، الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي)

- كذلك كان الشأن عندآب المشارقة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانصه : " الطبر . وهو باللغة الفارسية الفأس . ولذلك يسمى السكر الصُّلب بالطَّبَرِزُ " يعني الذي يكسر بالفأس . وإلى الطبر تنسب الطيردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أنعدمت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيتُ منها رواين كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها أن إلياس في " بدائع الزهور في وقائع الدهور " مرات عديدة منها قوله : " وضربه بطركان معه على وجهه فسقط إلى الارض مغشيا عليه " (ح ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : " حرح عليهم التركبان بالقسي والنشاب والسيوف والاطبار " (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : " فلبس حرجوا سهم قطعهم بالاطبار قطعا قطعاً " (ح ٣ ص ٢٦٩)

(١) وَعَدَلْ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ سَاسَانٍ.

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سِرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَاقِمَتِهِ، وَإِذْ كَأَنَّ الْعُيُونَ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعْيَةِ عَامَّةً.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًّا لِيَفْحَصَ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعْيَةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فَحْصِ أَسْرَارِ رِعْيَتِهِ وَابْتَحَثَ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنْ الْمُلُكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمُّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْفَحْصِ عَمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ.

وَلَمْ يَرْمَلِكْ قَطُّ كَانَ عَجَبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لَأَرْفِعَهُمْ وَأَوْضِعَهُمْ: كَانَ

(١) رَوَى ابْنُ ظَفَرٍ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَالَّتِي قَبْلُهَا بَطْوِيلٌ كَبِيرٌ وَتَفْصِيلٌ كَثِيرٌ. (أَنْظَرِ "سُلُوكَ الْمَطَاعِ فِي عُدْوَانِ الْإِتْبَاعِ" الْمَطْبُوعَ عَلَى الْخَرَجِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٠٨ هـ مِنْ صَفْحَةِ ١٠٠ إِلَى صَفْحَةِ ١٠٤؛ وَأَنْظَرِ تَرْجُمَتَهُ إِلَى الْإِنْكِلِيزِيَّةِ لِلْعَلَامَةِ مِيشَلْ أَمَارِي الطَّلِيَانِي Michel Amari طُبِعَ لَوْنْدَرِه سَنَةِ ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) ص: وَدَقِيق.

(٣) ص: مَعْرِفَةٌ فِيهِ.

عندك في هذه الليلة كَيْتَ وَكَيْتَ ^(١)، ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه ملك من السماء فيُخبره ^(٢)، وما كان ذلك
 إلا لتيقظه وكثرة تعهده لأُمور رعيته ^(٣).

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .
 فيقال إن الأُمم كلها، أولها وآخرها، وقديمها وحديثها، لم تخف أحدا من ملوكها
 خوفا أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعمر بن الخطاب من
 خلفاء الإسلام ^(٤).

فإن عمر كان عليه يمين نأى عنه من عماله ورعيته كعالمه يمين بات معه في مهاد
 واحد، وعلى وساد واحد . فلم يكن له في قطير من الأقطار ولا ناحية من النواحي
 عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجدته . فكانت ألفاظ من بالشرق
 والمغرب عنده في كل مسمى ومُصْبِح . وأنت ترى ذلك في كُتبه إلى عماله وعمّالهم

(١) بفتح التاء، وبكسرهما أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التفصيل الذي أورده الأبشهي في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلعا
 في خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحضا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثب العيون على
 الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . فيعلم المفسد فيقاله
 بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعرف ذلك، فليس له من الملك إلا
 اسمه وسقطت من القلوب هيته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٣

حتى كان العامل منهم لِيَتَّهِمُ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَأَخْصَهُمْ بِهِ . فساس الرعية سياسة
(١) (٢)

أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة .
(٣) (٢) ثم أَقْتَنَى مُعَاوِيَةَ فِعْلَهُ وَطَلَبَ أَثَرَهُ ، فَانْتَظَمَ لَهُ أَمْرُهُ وَطَالَتْ لَهُ مَدَّتُهُ .

وكذا كان زيادُ ابن أبيه يَحْتَذِي فِعْلَ مُعَاوِيَةَ كَاَحْتِذَاءَ مُعَاوِيَةَ فِعْلَ عُمَرَ . وفيما يُحْكِي
عنه أن رجلاً كلمه في حاجة له ، فتعزف إليه - وهو يظن أنه لا يعرفه - فقال : أصالح
الله الأمير ! أنا فلانُ بن فلانٍ . فتبسّم زيادٌ وقال : لتعزف إلى ، وأنا أعرف بك منك
بأبيك ؟ والله إني لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك ، وأعرف هذا البرد
الذي عليك ، وهو لفلان بن فلانٍ . فبهت الرجل وأرعِبَ حتى أُرْعِدَ (٤) وكاد يُغشي عليه (٢) .
(٥) (٢) وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف .

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحدٌ في مثل هذه السياسة حتى مَلَكَ المنصور . فكان أَكْثَرُ
الأُمُور عنده معرفة أحوال الناس ، حتى عَرَفَ الْوَلِيَّ مِنَ الْعَدُوِّ وَالْمُدَابِحِي مِنَ الْمُسَالِمِ .
(٦) (٧) فساس الرعية وليسها ، وهو من معرفتها على مثل وَصَحَ النَّهَارِ .
(٨)

- (١) وأنظر ما وقع له مع النفر الذين كانوا يشربون المزرخفية ومع المرأة التي جاءها الخاض ،
(في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ١١٤ و ١١٥)
- (٢) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .
- (٣) أنظر ما جاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)
- (٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ وج ١ ص ١٠٨)
- (٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)
- (٦) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .
- (٧) لبسها أى تملأ بها دهرها طويلاً .
- (٨) أنظر التفصيل الذي أورده في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)

ثم دَرَسَتْ هذه السيامسة حتى ملكَ الرَّشيدُ. فكان أشدَّ الملوك بحثًا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عنايةً وأخزمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمون أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام^(١)، خبر فيها عن عيب واحد^(٢)، وعن حالته وأموره التي خفيت - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما علمتُ أنَّ أحدًا من كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أشدَّ على الأسرار بحثًا وأكثر لها خصصًا حتى بلغ من هذا الجنس أقصى حدّه وأحرَ نهايته وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أكثر شغله في ليله ونهاره، إلَّا إسحاق بن إبراهيم. فحدثني موسى بن صالح بن شيخ^(٣)، قال: كلمته في امرأة من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

(١) ص: حصر.

(٢) كان للمأمون ألف عجوز وسبعمائة، يتفقّد بين أحوال الناس من الأشقياء ومن يُحبّه ويُبغضه ومن يُفسد حُرُم المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها. وكان يدور ليلا ونهارا مستترا. (محاضرات الأوائل)

(٣) ص: عليها. [وأهل هذه الكلمة في "الحاسن والمساوي" واستعمل صيغة مطلقه فقال: ولم يكن أحد

من كان إلخ. ولكنه نسي ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهى من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات.]
(٤) هو المصممي أمير بغداد.

(٥) روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالثين المعجمة والياء المثناة التحتية وأنحاء المعجمة) ابن عميرة الاسدي. كان من نداء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصممي أمير بغداد.

٢٠ وأظنر أيضا القصة التي رواها صاحب "الأغانى" في ح ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا القديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتد على الله، وقد نيّف على التسعين. وقُبِصَ أبه بعد أن عمّر ٩٩ سنة. ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

فقال: يا أبا محمد! من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن فعلها. قال: فوالله! لم يزل يصفها ويصف أحوالها حتى بهت^(١).

[وحدث أبو البرق الشاعر قال: كان يُجرى على أرزاقا فدخلت عليه، فقال بعد أن أنشدته: "كم عيالك؟" تحتاج في كل شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا. " فأخبرني بشيء من أمر منزلي مما جهلت بعرضه وعلمه كله.]^(٢)

وحدثني بعض من كان في ناحيته، قال: رفعت إليه رُقعةً أسأله فيها إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فزدت في العدد. فقال: كذبت! فبهت وقلت في نفسي: يا نفس من أين علم أني كذبت! فأقمت سنة لا أجترئ على كلامه. ثم رفعت إليه رُقعةً أخرى في إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فقلت: أربعة. فقال: صدقت. فوقع في حاشية رقعتي: يُجرى على عياله كذا وكذا.

والولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره، الحكيما عنه أخباراً كثيرة. وهي من هذا الجنس، وفيما ذكرناه كفاية.

فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم، حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقيله وما أحدث فيهما، ففعل.

(١) يعني: من قصتها كبت وكبت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب.

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سم: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الألبشهي هذه القصة

ونسبها للأمن. (المستطرف ج ١ ص ١٠٨)] روى ذلك في "الحجاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "الحجاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٤) رجع صاحب "الحجاسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان الخ. وذكر

القصة بتمامها وبحروفها. (ص ١٥٥)

فإن الرعية لا تسكن قلوبها جلاله ملكها - ولو عبدته الجن والإنس ودانت له
ملوك الأمم كلها - حتى يكون أشد إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرائرها، من أم الفريد
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كتب الأوائل في مواعظ الملوك وآدابها:

«إن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال:

إحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يجعل وليَّ عهده من ترضاه وتختاره رعاياه لا من تهواه نفسه؛

والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فخص المُرُضِع عن منام رضيعها.»

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به. وذلك أنا لم نرمدة طالت لملكٍ عربيٍّ
ولا عجميٍّ قط إلا لمن فُحص عن الأسرار، وبحث عن خفي الأخبار، حتى يكون
في أمر رعيته على مثل وضح النهار.

(١) في سمر: إشراف.

(٢) في سمر: «سرائرها في الفريد». ولعلها يمكن للجملة معنى أَرْضِيهِ فقد صحَّحها على ما هو في المتن ليكون
المعنى «أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بحركة ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه». وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. [يؤيد هذا التخرُّج قول الجاحظ بعد ذلك بستة أسطر:
«والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المُرُضِع عن منام رضيعها.»]

(٣) في سمر: الكتب.



ومن أخلاق الملك، إذا دهمه أمرٌ جليلٌ من فتىٍ تغرَّ أو قتلٍ صاحبِ جيشٍ أو ظهورِ عُنُوٍّ يدعو إلى خلافِ المِلَّةِ أو قوَّةِ مناوئٍ، أن يترك الساعات التي فيها لهوُه ويجعلها وسائر الساعات في تدبيرِ مكايدةِ عدوِّه وتجهيزِ جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شُغْلَه وفِكْرَه وفراغَه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتفتيِّ وحُسن الظنِّ بالأيام نصيباً.

فإن هذا عَجَزٌ من الملكِ ووَهْنٌ يدخل على الملكِ.

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حَرَبَها مثلُ هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرفعَ وظائفُها، واقتصرَتْ على مائدةٍ لطيفةٍ تُقَرَّبُ من الملكِ ويحضرها ثلاثةٌ: أحدهم مُوبَّدان مُوبَّدٌ والديربُذ ورأسُ الأساورة. فلا يُوضع عليها إلا الخبزُ والمِلْحُ والخلُّ والبَقْلُ. فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه. ثم يأتيه الخبَّازُ بالزماورد في طبق. فيأكلُ

(١) في سب: والد موبذ. وفي ص: الربر. | وأنظر الحاشية ٢ صفحة ٧٧ وصفحة ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) الخبَّاز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسفرهجي.

(٣) قال عاصم أفندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية مامعناه "زماورد هو طعام يسمى لقمة القاضي، وتغذالنس، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقلَّى بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً زماورد بالراء المهملة". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" مانصه: "زماورد، والعامة تقول زماورد. كلمة فارسية آستعملها العرب للرقاق الملقوف باللحم. كذا في حواشي الكشف. وفي القاموس: الزماورد بالضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة. ويسمى =

منه لُقمة^(١)، ثم يرفع المائدة ويتشأغل بتدبير حربيه وتجهيز عساكره. ولا تزال هذه حاله حتى يأتيه عن ذلك الفتى ما يرتقه، وعن ذلك العدو ما يجب. فإذا أتاه، أمر أن يُتخذ له طعامٌ مثل طعامه الأول، وأمر الخاصة والعامة بالحضور، وقامت الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام المؤبد فتكلم، ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء. ثم مد الناس أيديهم إلى الأطعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بسط للعامة في ظهر الإيوان، وللخاصة في صحنه بحضرة الملك. وقعد صاحب الشرطة للعامة، كفعود الملك للخاصة. ثم دعا بالمغنين وأصحاب الملاهي.

وكانوا يقولون: إن حق شكر النعمة أن يرى أثرها.

= بحراسان نواله؛ ويسمى زجس المائدة وميسرومها. والذى في شرح القاموس في مادة (ورد) بماثل هذا الكلام، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزماورد دواء معروف، ووعد بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل. ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بية الكلمة كما يشهد به صاحب "برهان قاطع" وكما يدل عليه استعمال الجاحظ. وربما رأى العرب التخفيف فحذفوا الباء من أول الكلمة. ولكن ذلك لا يجوز معه القول بأن بزماورد من كلام العامة. ويكون هذا الطعام عبارة عما نسميه الآن (الكفتة). وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتخذ من الدقيق معجوناً بالسمن والسكر ثم يُقلد ذلك المخلوط على أقراص مستديرة لها صومعة رُبما تكون فوقها قطعة من العشدة. ورأيت في "كتاب مبادئ اللغة" لأبن الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٢١٤ هـ ما نصه: "الرباورد هو المهنا والميسر. وقال بعض المتأخرين:

أكل الميسر من رأسن، يأسكني، لا يستطاع ولا سيفان في عهد.

وقد ذكر صاحب "الأغاني" هذا الطعام. (ج ٤ ص ١٥٤)

(١) في س: لُقماً.

(٢) روى ذلك صاحب "مخاسن الملوك" باختصار ووقف عند هذا المكان، ثم زاد أن ملوك الفرس

كانوا يقولون: "أسعد الملوك من غلب عدوه بالحيلة." (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمرء إذا دهمهم أمر - فزَعُوا إلى المنابر وخرَضُوا الناس على الطاعة ولزوم الجماعة.] ^(١)

وفيما يُذكر عن معاوية أنه قال: ما ذُقتُ أيامَ صِفِّينَ لحمًا ولا شحمًا ولا حُلْوًا ولا حامضًا، ما كان إلا الخُبْزُ والجُبْنُ وخِشْنُ الملح [إلى أن تم لي ما أردته]. ^(٢)

ويُحكى عن عبد الملك بن مروان أنَّ صاحب إفريقيا أهدى إليه جاريةً تامَّةَ المحاسن، شَمِيَّةَ الْمُتَمَلِّيلِ. قال: فلما أن دخلت عليَّ عبد الملك بن مروان، نظر إليها وفي يده قضيبُ خيزران. فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رُدِّيهِ عليَّ، فَوَلَّتْ. فنظر إليها مُقْبِلَةً ومُدِيرَةً. فقال: أنتِ والله أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي. قالت: فما يَمْنَعُكَ يا أمير المؤمنين، إذ كانت هذه صِفَّتِي عندك؟ قال: بَيَّتُ قاله الأَخْطَلُ: قومٌ إذا حاربوا، شَدُّوا ما زَرَهُمْ * دون النساء، ولو باتت بأطهار. ^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصان وتُخدم. فلما فُتِحَ عليه، كانت أولَ جاريةٍ دَعَا بِهَا. ^(٣)

ويُحكى عن مروان بن محمد الجَعْدِيُّ أنه أقام ثلاثين شهرًا لم يطأ جاريةً إلى أن قُتِلَ. وكان إذا استهدف إلى الجارية قال: إِلَيْكَ عَنِّي! فوالله لا دنوتُ من أنثى ^(٤)

(١) هذه الزيادة عن "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زدناها في المتن. (ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦.

(٤) آخر خلفاء بني أمية | وأنظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب |.

وَلَا حَلَّتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوَى، وَخُرَاسَانُ تَرْجُفُ بَنَصْرٍ، وَأَبُو مَجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ! (٤)

(١) ترجف بنصر أى تضطرب به . وهو نصر بن سيار الذى ولّاه هشام بن عبد الملك إقليم خراسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلمهم الخليفة على يد صاحب الدعوة أبى مسلم الخراساني . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستجده بالآيات المشهورة ، وهى :

أرى خَلَسَ الرَّمَادُ وَمِیْضَ نَارٍ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ .
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذْكَى * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا الْكَلَامُ .
فَإِنْ لَمْ تَطْفُؤْهَا ، تَحْرِبُ حَرْبًا * مَشْمَرَةً يَشِيبُ لَهَا الْفَسَادُ .
أقول من التعجب : لَيْتَ شِعْرِي ! * أأَبْقَاظُ أُمَيَّةَ أَمْ نِيَامُ ؟
فَإِنْ يَكْ قَوْمُنَا أَصْحَوْنَا نِيَامًا ، * نَقُلْ : قَوْمُوا ، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ !
فَقَرَى عَنْ رَحَاكَ ثُمَّ قَوْلِي : * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ !

وأخبره معروفة ، تراها فى "مرج الذهب" و"معارف" ابن قتيبة و"وفيات الأعيان" و"تنويع البلدان" وأبى الفداء و"الأفاني" وابن خلدون و"معجم البلدان" .

(٣) فى سمه : "أبو مجرم" . وهو تحريف من الناح . والإشارة هنا إلى أبى مسلم الخراساني الذى كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور فى الحاشية السابقة . وقد لقبه مروان بأبى مجرم بدلا من أبى مسلم بمعنى أبى الذنب والإجرام . وقد بقى له هذا التبرز فى الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله بقوله :

زَعَمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى ؟ * فَاسْتَوَيْ بِالْكَيْلِ ، أَمَا تُجْجِرِمُ !
أَشْرَيْتَ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا ، * أَمَرَ فِى الْحَلْقِ مِنَ الْعَلَقَمِ !
وَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : مَا غَيْرَ اللَّهِ نِعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغْيَرَهَا الْعَبْدُ !
أَفِى دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ حَاوَلْتَ غَدْرَةً ؟ * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ آثَاؤُكَ الْكَرْدُ !
أَبَا مُسْلِمَ خَوْفَنِي الْقَتْلَ فَأَنْجِنِي * عَلَيْكَ بِمَا خَوْفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ !

وأنظر ابن خلكان فى ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) | وأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب . | وأنظر "البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥٥" .

(٤) لخص ذلك صاحب "معجم الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسعودى هذه الحكاية ، فقال : "وأقام مروان أكثر أيامه لا يلدنو من النساء إلى أن قتل . وتراءت له جارية من جواريه ، فقال لها : والله لا أدنو منك ، ولا حلت لك عقدة ، وخراسان ترجف بنصر بن سيار ، وأبو مجرم قد أخذ منه بالمختق" . ("مرج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا : ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



ومن أخلاق المملوك المكيادة في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغى للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كلِّ شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمودٌ عاقبةً ، فذلك بسعادة الملك ، إذ ربحَ ماله وحقنَ دماءَ جيوشه . وإن آمنت الحيل والمكائد ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعد المملوك من غلبَ عبوه بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يحقق هذا ويؤكد به قوله : ”الحرب خدعة“ .

وليس لأحد من الخدع ما للملوك الأعاجم . والأخبار في ذلك عنهم كثيرة . ولكننا نقتصر من ذلك على حديث أو حديثين .

فمن ذلك ما يُذكر عن بهرام جور أنه لما ملك بعد أبيه يزدجرد ، بلغه أن ناحية خد من نواحي أطرافه قد أخذت ، وغلب عليها العدو . فاستخف بها وأظهر الاستهانة به حتى قوى أمر ذلك العدو واشتدت شوكته . فكان إذا أُخبر بحاله ، استخف بأمره وصغر من شأنه . حتى قيل إنه قد زحف إليك ووجه جيوشه إلى قرار دارك . فقال : دعوه فليس أمره بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاونه وتراخيه عن أمره ودعاه واستهانت به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تراخى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملكة ، وقد قرب هذا العدو من قرار دار الملك ، وأمره كل يوم في علو . فقال بهرام : دعوه ، فإنا أعلمُ بضعفه وصغر شأنه منكم . وأقبل على اللهو واللعب ، وترك

(١) ما يوجب عليه من الصمد لعدوه والقصد له . فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف
الوزراء ورؤساء أهل المملكة اجتياحه ، اجتمعوا فتأمروا ببيتهم على توبيخ الملك وتعنيفه
وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والهلكة . وبلغه الخبر . فأمر مائتي جارية من
جواريه ، فلبسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل
الريحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فلبس من ثيابهن المصبوغة ، وركب
قصبته . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما راهم ، صاح بالجواري . ثمرن يخطرن ،
وبهراهم خلفهن يغني ، وهن يغنين معه ، ويصحن ويعبن . فلما رأى ذلك وزراؤه
يأسوا منه واجتمعوا على خلعه . وبلغه الخبر . فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال :
لك الويل إن علم أحد من أهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تخلق رأسه ،
تخلقه . ودعا بمدرعة صوف فتدرعها ، وخرج في جوف الليل ومعه قوسه ونسابة .
وتقدم إلى الجارية أن تخفي أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده
حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكمن في مغار على ظهر الطريق . فجعل لا يمر به طائر
في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل
ما صاد من ذلك ، بجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : ثم ربه صاحب
طليعة العدو ، فنظر إلى أمر بهت له . فأخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
أنت ؟ قال : إن أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ،
وإن مولاي غضب على - وكان لي محسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وحاتق رأسي
وألبسني هذه المدرعة وأجاعني . وإنني طلبت غفلة ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما مره المؤلف بعده بوار العطف .

(٢) في نسخة "وحاشي" وقد أتممت رواه ص .

فأكله . فلما أعجبنى كثرة ما صَدْتُ، أردتُ أن أرمي بكل ما معي من هذه السهام، ثم أنصرفت .

فأخذته حمله إلى الملك فأخبره بقصته . فقال له الملك : ارم بين يدي ! فرمى بين يديه . فكان لا يضع سهمه في طائر ولا غيره إلا أصابه حيث أراد . فهبت الملك ، وطال تعجبه . فقال : ويلك ! في هذه الملكة من يرمى رمياتك ؟ فضحك بهرام ، وقال : أيها الملك ! أنا أخسهم رميةً وأحقهم قدرًا . وعندى جنس آخر من الثقافة . قال : وما هو ؟ قال : أدع لي بباير . فدعا له بها . فأخذ إبرة فرمى بها على عشرة أذرع ، ثم أتبعها بأخرى فشكها ، ثم أتبعها بأخرى فشكها كذلك ، حتى جعلها سلسلة قد تعلق بعضها ببعض .

فهبت الملك وملى قلبه رعبًا . فقال له : ويلك ! ملككم هذا جاهل ! أما يعلم أنى قد قربت من قرار داره ؟ فضحك بهرام ، وقال : إن أعطانى الملك الأمان ، نصحتنه . قال : قد أعطيتك الأمان . قال : إن ملكا إنما ترك استهانةً بأمرك ، وتصغيراً لشأنك ، وعلمًا بأنك لا تخرج من قبضته . وذلك أنى أخس من فى دار مملكته وأنهم ذكرا . فإذا كنت - وأنا بهذه الحال - أقتل بألف سهم ألف رجل ، فما ظنك بالملك ، وله مائة ألف عبد فى قرار داره ، أصغرهم شأنًا أكبر منى ؟ فقال له الملك : صدقتنى فيما قلت ! ولقد خُبرت عن بهرام من تصغيره لشأنى واستخفافه بأمرى ما طبق خبرك . وما تركنى أبلغ هذا الموضع من ملكه إلا لما ذكرت .

فأمر عظيم جيشه أن يرتحل من ساعته . ونادى فى الناس بالرحيل . ثم خرج لا يلبس على شيء ، وأطلق بهرام . فأنصرف بعد ثلاثة حتى دخل داره ليلاً . فلما أصبح ،

قَعَدَ للناس ودخل عليه الوزراء والعظماء فقال: ما عندكم من خَبَرِ عدونا هذا؟ فأخبروه بانصرافه عنهم. فقال: قد كنتُ أقول لكم إنه صغيرُ الشأن، ضعيفُ المنة^(١). ولم يعلم أحدٌ منهم ما كانت العلةُ في أنصرافه^(٢).

وكان كسرى أبرويز، بعد بهرام جور، صاحب مكاييد وخدج في الحروب ونكاية في العدو^(٣).

وكان قد وجهَ شَهْرَ بَرَّازَ لمحاربة ملك الروم، وكان مقدما عنده في الرأي والنجدة^(٤).

(١) أى القوّة .

(٢) نقل هذه الحكاية بالحرف صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٣٤ - ٣٨)، وخلصا صاحب "محاسن الملوك" (ص ١٠٧) .

(٣) الحكاية الآتية نقلها أيضا صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكاييد" المنسوب للماحظ، وفيها تحريف كثير وسقط متواتر واضطراب في التعبير (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فى سمة : شهر يازاد . وهو تصنيف من التاج ، وفى صه : شهر ياروقد صحف ناسخو آبن الأئيب هذا الأسم بفعلوه شهر يراز وشهر يزار ، كما صحفوه فى نسخ "مروج الذهب" بفعلوه مثل صه شهر يار (وقد صححه العلامة باربيه دومينار فى ترجمته بفعله شهر يار ليكون مطابقا للأسم الوارد فى تواريخ الروم) وأما الصحيح فهو الذى أعتمدناه . (أنظر جميع المؤرخين وخصوصا الثعالبي فى "غرر أخبار ملوك الفرس" (ص ٧٠١ حيث أورد هذه القصة) . وأنظر آبن الأثير . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وقد أورد قصة أخرى فى سبب انتقاله من شهر برازوفى الخديعة التى استعملها أبرويز لصد ملك الروم عنه . (وأنظر "التنبيه والإشراف" ص ١٥٦ و ١٥٧) .

وقد أورد هذه القصة برواية أخرى فى "المحاسن والمساوى" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وسمر القائد "شهر براز" على الوجه الصحيح الذى أعتمدناه فى المتن .

(٥) فى سمة : مكاييد .

والبسالة ويمن النقيبة. فكان شهر براز قد ضيق على ملك [الروم] آقارار داره ^(١) وأخذ بمخيقه حتى هم بمهادنته ومثل محاربتة وطلب الكف عنه. فأبى ذلك عليه شهر براز. وأستعد له ملك الروم بأفضل عدة وأتم آلة وأخذ شوكة، وتأهب للقائه في البحر. فجاءه في جمع لا تحصى عدته. قد أعد في البحر كل ما يحتاج إليه من مال وسلاح وكراع وآلة وطعام وغير ذلك، والسفن مشحونة موقرة. فبينما هو كذلك إذ عصفت ريح في تلك الليالي فقلعت أوتاد تلك السفن كلها وحماتها إلى جانب شهر براز، فصارت في ملكه. وأصبح ملك الروم، قد ذهب أكثر ما كان يملك من الأموال والخزائن والعدد والسلاح. فوجه شهر براز بتلك الخزائن والأموال إلى أبرويز. فلما رأى أبرويز ما وجه به شهر براز، كبر في عينه وعظم في قلبه. وقال: ما نفس أحق يطيب الشاء ورفيع الدعاء والشكر على الفعل الظاهر من شهر براز! جاد لنا بما لا تسخو به النفوس ولا تطيب به القلوب! فجمع وزراء وأمر بتلك الأموال والخزائن فوضعت نصب عينيه، ثم قال لوزرائه: هل تعلمون أحدا أعظم خطراً وأمانة، وأحرى بالشكر من شهر براز؟ فقامت الوزراء فتكلم كل واحد منهم، بعد أن حمد الله وشكره وبجده، وأثنى على الملك وهناه، ثم ذكر ما خص الله به الملك من يمن نقيبة شهر براز وعفاهه وطهارته ونبله وعظيم عنايته. حتى إذا فرغوا، أمر بإحصاء تلك الأموال والخزائن. ثم قام أبرويز فدخل إلى نسائه. وكان لللك غلام يقال له رسته، وكان سيء الرأي في شهر براز. فقال: أيها الملك! قد ملأ قلبك قليل من كثير، وصغير من كبير، وتأفه من عظيم، خانك فيه شهر براز وآثر به نفسه. ولئن كان الملك، مع رأيه الناقب وحزمه الكامل، يظن أن شهر براز أدى الأمانة، لقد بعد ظنه من الحق وخس

(١) نصيبه . فوقع [في] نفس أبرويز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أَظُنُّكَ إِلَّا صَادِقًا . فـ
الرأي عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقدوم وتُوهِمُهُ أَنَّ بك حاجةٌ إلى مناظرته ومشاورته
في أمرٍ لم تُجْزِ الكتابة به . فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفَ ما يملك وراءه ، إذ كان لا يدرى
أيرجع إلى ما هناك أم لا . فيكون كل ما يقدِّم به نُصِبَ عينيك .

٥ فكتب أبرويز إلى شهر برز يا أمره بالقدوم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يدقُّ
عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أُرْدِفَه برسولٍ آخر . وكتب إليه : ” إني قد كنتُ كتبتُ إليك
أمرُك بالقدوم لأناظرك في مُهمٍّ من أمري . ثم علمتُ أَنَّ مقامك هناك أقْدَحُ في
عدوك وأنتَ له وأصلحُ للـك وأوفرُ على المملكة . فأقيم وكُنْ من عدوك على حَذَرٍ ،
ومن غزته على تيقُّظٍ . فإنه من ذهب ماله ، حَمَلَ نفسه على التلف أو القلج .
والسلام ! ”

وقال للرسول الثاني : إن قَدِمْتَ فرأيتَه قد تاهَّبَ للخروج إلى وظهر ذلك
في عسكره ، فادْفَعْ إليه هذا الكتاب . وكتب : ” أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وقد
استبطلتُ جواب قدومك وحركتك . وعلمتُ أَنَّ ذلك لأمرٍ يُصلِّحه من أمر نفسك
أو مكيدة عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا فخلِّفْ أخاك على عَمَلِك وأَعِدْ السيرولا تُعْرَج
١٥ على مُهمٍّ ولا غيره . إن شاء الله ! ” . وإن لم تره أَسْتَعِدْ للخروج ولا تاهَّب له ، فادْفَعْ
إليه الكتاب الأول .

(١) في سـه : ” نفسه ” . ولعل الصواب : ” نصيبه ” . قال في القاموس : ” خَسَّ نصيبه جعله خسيسا
دنيئا حقيرا . ” . ولم ترد هذه الكلمة ولا الآن قبلها في صـه

(٢) في سـه : الفتح ، وفي صـه : الحذف . وقد صححتُ بما في المتن ليكون المعنى أن الذي يذهب ماله
يركبُ الخشن المراكب إما أن يتلف وإما أن يظفر وينجح . لأنه لا يكون في حالة يأْسُ تجعله على الخطارة بنفسه أو يفوز .

فقدّم الرسول الثاني، وليس لشهر براز في الخروج عزم ولا خاطراً، ولا هم به. فدفع إليه الكتاب الأول. فقال شهر براز: أول كل قتلة حيلة. وكان خليفة شهر براز بباب الملك قد كتب إليه ما كان من قول رُسْتة للملك وما كان من جواب الملك له. ثم نازعت أبرويز نفسه ودعاه شرهه إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالقدوم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليوم باطناً، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أن نية شهر براز قد فسدت وأنه لا يقدم عليه، كتب إلى أخى شهر براز: "إني قد وليتُك أمر ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم. فإن سَلِمَ لك شهر براز ما وليتُك، وإلا فخار به!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بمحاربته إن أبى أن يُسَلِّمَ إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حيل ومكايد، وقد فسدت نيته لي ولك. فإن قتلتني اليوم، قتلك غداً، وإن قتلتك اليوم، كان على قتلي غداً أقوى^(١).

ثم إن شهر براز صالح ملك الروم، لما خاف أبرويز. وتوثق كل واحد منهما من صاحبه. واجتمعا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتولى محاربته، فإني

(١) هذه رواية صه. وأما سه فروايتها: يقدر

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأمن. ومحصلها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرات، أمر الملك بعزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيتي. ثم أحضر درجا وأخرج ثلاثة كتب من كسرى يأمره فيها بقتله، وأطلعه عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فاعتذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتفقاً على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٤٨٨)

أَبْصُرُ بِمَكَائِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : بَلْ أَقِمْ فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا مُحَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَزُ : أَمَّا إِذَا أَيْتَ عَلَيَّ فَإِنِّي مَصُورٌ لَكَ صُورَةً ، فَأَعْمَلُ بِهَا فِيهَا وَأَمْتِلُهَا .

ثم صور له كل منزل ينزله بينه وبين أبرويز في طريقه كله ، وأى المنازل ينبغي له أن يقيم فيه ، وأين يجعلها طريقاً وسيراً ماضياً حتى إذا أقامه من طريقه كله على مثل وصحّ النهار ، قال له : فإذا صرت بالنهر وآن ، فأقيم دونه ولا تقطعه إليه ، وأجعل منزلك وجهاً جيوشك وعساكرك إليه .

فمضى ملك الروم نحوه . وبلغ أبرويز الخبر فضاف به ذرعه ، وأرَّجَّح عليه أمره . فكان أكثر جنوده قد تفرَّقوا لطلب المعاش ، لقطعهم عنهم ما كان يجب لهم من إقطاعاتهم وأرزاقهم . فبقي في جند كلميت أكثرهم هزلاً أضراً ^(٢) .

وكان ملك الروم يعمل على ما صوره له شهربراز في طريقه كله ، حتى إذا أشرف على النهر وآن ، عسكر هناك وأستعد للقاء أبرويز . وقد بلغه قلة جموعه وتفرق جنوده وسوء حال من بقي معه . وكان في أربعمائة ألف ، قد ضاقت بهم المسالك . فطمع في قتل أبرويز ولم يشك في الظفر به .

فدعا أبرويز رجلاً من النصاري ، كان جده قد أنعم على جد النصاري وأستنقذه من القتل أيام قتل ماني ، وكان من أصحابه الذين استجابوا له . فقال له أبرويز : قد علمت ما تقدم من أيادينا عندكم ، أهل البيت قديماً وحديثاً . قال : أجل أيها الملك ! وإني لشاكر ذلك لك ولا بآئك . قال : نخذ هذه العصا وأمض بها إلى شهربراز ، فأنته في قرار

(١) صه : وعدراته .

(٢) أى أصطرب .

(٣) أى مهولون مرضى . | والذى فى سمه : هزلاً وصراً | .

ملك الروم، فأدفعها إليه من يده إلى يده. وعمد إلى عصا مثقوبة، فأدخل فيها كتاباً صغيراً منه إلى شهر براز؛ "أما بعد فإني كتبت إليك كتابي هذا وأستودعته العصا. فإذا جاءك، فحرق دار مملكة الروم، وأقتل المقاتلة، وأسب الذرية، وأتهب الأموال، ولا تترك عينا تطرف ولا أذنا تسمع ولا قلباً يعي، إلا كان لك فيه حكم. وأعلم أني وأشب بملك الروم يوم كذا وكذا. فليكن هذا وقتك الذي تعمل فيه ما أمرتك." ٥

قال: وأمر للنصراني بمال وجهه، وقال: لا تعرجن على شيء ولا تقيم يوماً واحداً. وإياك ثم إياك أن تدفع العصا إلا إلى شهر براز، من يده إلى يده!

ثم ودعه ومضى النصراني. فلما عبر النهر، أنفق أن كان عبوره مع وقت ضرب النواقيس. فسمع قرع عشرة آلاف ناقوس أو أكثر. فأنهملت عيناه وقال: ١
يئس الرجل أنا، إن أعنت على دين النصرانية وأطعت أمر هذا الجبار الظالم!

فأتى باب ملك الروم، فاستأذن عليه، فأذن له. فأخبره بقصة أبريز حرفاً. ثم دفع إليه العصا، فأخذها ونظر فيها. ثم استخرج الكتاب منها فقرأ عليه. فتخبر، وقال: خدعتني شهر براز! ولئن وقعت عيني عليه، لأقتلته!

وأمر فقوضت أنبيته من ساعته، ونادى في الناس بالرحيل. وخرج ما يلوي على أحد. ١

ووجه أبريز عيناً له يحييه بخبره. فأنصرف إليه فأخبره أن الملك قد مضى ما يلتفت لفتته. فضحك أبريز، وقال: إن كلمة واحدة هزمت أربعمائة ألف جليل قدرها ورفع ذكرها! ١١

اب واذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنختم كتابنا هذا بذكر من بعثنا على نظمه، وكان مفتاحا لتأليفه وجمعه.

ولنقل إننا لم نرفي صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية فتي اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، فإز الولاية من هاشم والحصي^(١) من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الامير الفتح بن خاقان مؤلى أمير المؤمنين.

فلتمنشه هذه النعمة المهداة! وبارك له واهبها، وزاده إليها الدأب عليها حتى يبلغ به أرفع يقاعها وأسنى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره ونكباته وعثراته! فإنه رحيم كريم!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

100

100

100

تكميل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعتها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم الجاحظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد أسم "ميسرة" في كتاب "الحبوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن الجاحظ نعت فيه بلقب
"التياس" ووصف مقدار أكله ، وما ذا كان يصنع إذا أجهده الكفلة . كذلك ابن أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأثول وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلا من
"التراس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محرقة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابتها نجدناها كلها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التحريفات مصدرها إهمال النساخين المساكين .

٢ - أولع الجاحظ بذكر "قاسم التمار" وبمداعبته والعبث به في كتبه . وقد وصفه بطول العنق ،
وأشار إلى بعض نواتره وأحواله ، هو وأبنه ، الذي كان شرشبه بأبيه .

ويستفاد من كلام الجاحظ أنه كان معاصرا له .

أنظر كتاب "الترجيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٣ ص ٣
وخصوصا ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحبوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البخلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦)
بأكلمهما ؛ و "المحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم التار) .

٣ - ذكر الجاحظ "أبا همام السنوط" في كتاب "البخلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السنوط ،
ووصفه بالأكأل . وقد ذكره أيضا في كتاب "الحبوان" (ج ١ ص ٥٥) .

٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف"، أي ابن الشاعر الشهير بابن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عَرَضًا في "وفيات الأعيان" لابن حليكان فقال عنه : "وهو الأكل المَقْدَم في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٥٣١ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن الفرات) .

٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضا "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميناه "هلال بن الأسعر" . لأن صحة اسمه بالسین المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - ر زم - وأنظر ترجمته في "الوفاء بالوفيات") . وهو هو الذي سميناه في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسعر" والفلط عن الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .

٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسما جديدا يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" ، إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلا واحدا . فإن تحريف "عبيد" إلى "عنبسة" ليس بعيدا .

٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسما جديدا آخر ، وهو "أبو خارجة" الذي روى لنا الجاحظ أخباره وقال عنه إنه يصرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .

٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزودا" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مَزَرْد" وهو لقب ضرار بن النخاخ . والتعريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم نخبرنا بأنه من الأكلة .

٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأكلة" لبدائي - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالا وأخبارا تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية - ١)

عرفنا الجاحظ بإبراهيم بن السدي بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وعامة جند الخلافة" إنه "كان عالماً بالدولة شديداً للحب لأبناء الدعوة ... وكان نغم المعاني ، نغم الألفاظ . لو قلت : لسانه كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسمان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .

وعرف به الجاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لانظيره ، وكان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان عروضياً وحافظاً للحديث ، راوية للشعر ، شاعراً . وكان نغم الألفاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأعور . وكان منجهاً ، طيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيها عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول الجاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه على خراسان : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً . فلا تكن على عذر مني لك ، فقد أتكت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك . فإن الظن إذا أخاف منك ، أخلف مني فيك . وأنت في أدنى حظك ، فأطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك ، فلا تريحن نفسك . وكن لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غذك ، تسعد . إن شاء الله !

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد روى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) قصة الرجل الذي أراد سابورا أن يمنحه قبل أن يوليّه قضاء القضاة .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أوردته من البيانات بخصوص الآتين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات في كتاب "البخلاء" طبع ليدن فقال :

١ - الآتين فيأخون فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المار أن تبدأ أنت فتسلم فأقول أنا حينئذ يجيبا لك : وعليكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت آكل ، فهاتنا آتين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فتقول : هنيئا ! فيكون كلام بكلام . فأما كلام بفعال ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحصاء الجدي إنما هو شيء من آتين الموائد الرفيعة . وإنما حمل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة للبسر والفراخ ، وإنه لم يحضر للتمزيق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدياء (ص ٥٩) نقلا عن المهرست أن أحمد بن محمد ابن نصر الجيهاني ألف "كتاب آتين" و"كتاب الزيادات في كتاب آتين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردتها الجاحظ بنصها وفصحا مع زيادة كلمتين فقط (في "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٣٢) . ثم أوردتها أيضا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) .

وعنه نقلها ابن عبد ربه في "العقد الفريد" . بدليل نقله أيضا للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع آخر من باب الأسطراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضفت إلى ما كتبت عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الجاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً، ف رأى الناس قد استحسنوا كلامه، فقال لهم: "لا يمتنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا".

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب "البخلاء" (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩)

حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم، وتفضيل الكرم.

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أئمة الناس وأحسنهم حديثاً. وكان راوية علامة، شاعراً مفلحاً. وكان من رجال الشيعة. ولما استنطقه الحجاج قال: ما ظننت أن بالعراق مثل هذا. وكان يقول: ما أمكنني وال من أذنه إلا غلبت عليه، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة). وكان عليه متحاملاً. فلما بلغه أنه (أي الحجاج) وهقه (أي بلالاً) حتى رقت ساقه وجعل الوتر في خصيه أنشأ يقول:

لقد قرعني أن ساقه رقت * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى

بخلت وراجعت الخيانة والخنأ * فيسرك الله المقدس للعسرى

فاجذع سوء ترَّب الدوس جوفه * بما لحه التجار يبري كما تبرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون.

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال "بصرت بفهد على قاب غلوة ؛ فسعيتُ إليه ، وأنا أسواركا تملبون . فوالله ! ما أخطأتُ حاقَ لهزمه حتى رزق الله عليه الظفر" .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

ما يجب تعليقه على ما رواه الجاحظ بخصوص تهاون الأمين بإبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البدائنه" روى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوثر ، خادم الأمين ، ليعتذر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم غرّب ، فخرجه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يمالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجلى ضربوه !

أخذ الله قلبي * من أناس أو جعوه ...

ثم أخرج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجَيِّد البيتين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال :

ما لين أهوى شبيه ، * فيه الدنيا تيه !

وصله خلو ، ولكن * هجره مرّ كره !

من رأى الناس له الفضل عليهم ، حدود !

مثل ما قد حسد الفنا * ثم بالملك أخوه .

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظـة "بَار" ما أوردـه الجاحظ في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٣٧) وهو :

قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أمي، لخـير قبيل !
فـن ذا الذي "يَبَى" على بخاله، * وخالـي على، ذو الندى، وعقيل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب بأسم "السرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فورسكال"
قديمياً، والأستاذ "شوينفرت" الموجود الآن .

فقال الأول :
CADABA farinosa : foliis ovatis, oblongis, farinosis.
Deser. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra, obtusa, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fra medium.

Arab. Asal. alîs Korrah vel Serah سرح Usus antitoxicus : dum rami recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, *Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabicae* : pp. 68)

Sserahh. Saerah سرح 140 Cadaba (c) farinosa Forsk. : وقال الشافعي ما نصه :

(Schweinfürth G., *Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien und Jemen* : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نعيم أي شجيرة ، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الجاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعمامته (في "البيان والبيان" ج ٢ ص ٧٧) فقال مانصبه : "وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أعم بمكة لم يعم معه أحد. هكذا في الشعر. ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس. وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علم ، * بمكة غير مهتم ذم .

إذا شدد العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والخصوم ،

فقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم .

وكان البختري غداة جمع * يدافعهم ليقان الحكيم .^(١)

هو البيت الذي بُنيت عليه * قریش السرى في الزمن القديم .

وسطت ذوائب الفرعين منهم ، * فانت لباب سرهم الصميم !^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان الزياتي أنه . كان "قاضيا فاضلا ، أدبيا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب وتُعمل له ، وكانت له خزنة حسنة كبيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع وثمانون سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازي عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأمهات . " (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠) .

(*) يغلط كثير من ناخبي الكتب ومطابعها فيقولون "العاصي" في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من "العوص" لا من "العصيان" . ولذلك يقال لهم "الأعياص" (راجع "الاشتقاق" لأبن دريد . و "لسان العرب" وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب) .

(١) البختري الحسن المشي والجسم . (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب خ ت ر -) .

(٢) أي توسطت فكنت أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أوهمتني عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثمانية من ولاية غنبدة بن إسحاق على مصر
أن المتوكل تولى أبا حسان الزيادي هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بديار مصر . ذلك خاطر
سبق إلى وهمي ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التي تولى قضاءها أبو حسان الزيادي هي أحد شرقي
بغداد . وقد وصفها اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : ” وإسمها سُميت الشرقية
لأنها قدّرت مدينة للهدى قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي
من دجلة . فسميت الشرقية ، وبها المسجد الكبير ، وكان يُجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد
الذي يجلس فيه قاضي الشرقية “ . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبي طبع ليدن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا ” التنايع “ بقوله : فالتنايع ، لا يثنيه زجن وليست له غاية
دون التالف . (كتاب ” البخل “ ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الجاحظ ” في البيان والتبيين “ أيضا (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبي في ” البيان والتبيين “ (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد ” تنايذا “
بدلا من ” تناقدا “ التي في طبعتنا تقلاعن ص . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتن)

روى الجاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المأمون وبين سعيد بن سلم بشأن استحسان الخليفة له فيما يديده من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا عبرة به).

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضاً في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية. (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦).

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المختص" لأبي سيدة شرح "السهم العائر، والسهم الغريب" (ج ٦ ص ٧٦). [وأنظر عن "السهم الغريب" ما أورده في صفحة ١٩٤ من تكميل صفحة ٤٣ ص ١٠].

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر الهذلي ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصاً وعالمًا بينًا وعالمًا بالأخبار والآثار. وقد سباه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلي" ونقل عنه هذه الكلمة: "إذا جمع الطعام أربعة، فقد كل: إذا كان حلالاً، وكثرت عليه الأيدي، وسمى الله على أوله". ووجد على آخره. - وأضف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضاً (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيباً قاصاً وعالمًا بالأخبار والآثار، وأنه لما ناظر أهل الكوفة قال: "لنا الساج والعاج

والديباج والخراج والنهر العجاج". وقد روى الجاحظ هذه الكلمة في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : "نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا". ونسبها للأحنف بن قيس فيما نخر به على أهل الكوفة ، ثم قال الجاحظ : ويقال إنها من كلام خالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الجاحظ هذه الكلمة في كتاب "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه اقتصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها عن رَوْحِ بْنِ زَيْبَاعٍ ما رواه الجاحظ من أن معاوية هم به فقال له رَوْحُ : "لَأُشْسِمَنَّ بِى عَدُوًّا أَنْتَ وَقَمْتُهُ^(*) ، وَلَا تُسَوِّأَنَّ بى صَدِيقًا أَنْتَ سَرَرْتَهُ ، وَلَا تُهْلِمَنَّ مَنَّى رَحْمًا أَنْتَ بَنَيْتَهُ ! هَلَّا أَتَى حَلَبَكَ عَلَى جَهْلَى وَإِسَاءَتِي ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧) . وأنظر خطبته التي أستمع لها الناس لمباينة مروان بن الحكم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) . وأنظر في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي نقلناها عن "العقد الفريد" في تلك الحاشية . فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد أخذها عن الجاحظ .

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته عن أسماء بن خارجة الفزارى أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما باله موته ، قال : "هل سمعتم بالذي نأش ماشاء ثم مات حين شاء ؟" (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ و ١٧٧) .

(*) وَقَمْتُهُ أى قهرته وأذَلَّته . حاشية عن طابع "البيان والتبيين" .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

- ١ - العقرب تقع في يد السور، فيلعب بها ساعة من الليل، وهي في ذلك مسترخية "مستخدية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .
- ٢ - ولولا أن الأبنث [هو هو البناث] على حال يعلم أن الصقر... قد أعطى في سلاحه ركنه فضل قوة، لما "أستخذى" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .
- ٣ - ولولا أن الهرميين في الحرب غاية الإمعان ثم لحقته [الهره]، لتقطعه وهو "مستخذ" (ج ٧ ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أنوشروان لمن خانه في حريمه . والعبارتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النص الوارد في روايتنا قد أستوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة دافلوت ص ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٣)

أولاً - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روي لنا عنه صاحب "كتاب المهرست" بعض الشيء ووصفه بأنه "حكيم بن أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدل على أنه كان مقتطعا إلى الكيمياء . أما الجاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، وفصيحا جامعا ، جيد الرأي كذير الأدب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . " (البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزيد على ذلك أن هذا الأمير كان مرشحاً للخلافة ، فلما حُرِّمَها آتاهُ خلعُ الخدمة العلم والأدب ، فأبقى لنفسه
نغراً باقياً على مدى الأبد .

وليت اصراء الشرق في هذا العصر يقتدون به ، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم !!!

ثانياً - أنظر أيضاً مكاتبات عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق (في "البيان والتبيين"
ج ٢ ص ١٨٥) ، وتلقيب سعيد بطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤) ، وأسباباً لطيفة في تسميته
بالأشدق (ج ١ ص ١٩١) .

ثالثاً - ذكرتُ في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذئبان قتل طيم الشيطان" . وأعلم أن
"أبا ذئبان" هو كما في "لسان العرب" (لقبُ غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، لفساد
كان في فمه . والعرب تكني الأبخج "أبا ذئباب" وبعضهم يكتبه "أبا ذئبان" . قال الشاعر مشيراً إلى هشام
ابن عبد الملك بن مروان :

لَعَلَّ إِنْسَانٌ مَالَتْ فِي الرَّيْحِ مِيلَةً * عَلَى ابْنِ أَبِي الذَّبَّانِ ، أَنْ يَنْتَدِمَا .

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبخج : أبو ذئبان . وكانت -
فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنشد قول ابن خرابة ^(١) :

أَمْسَى أَبُو ذَبَّانَ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَارِحٍ مِنَ الرَّسَنِ ،

وقد صفت بيعتنا لابن الحسن" .

هذا ، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "طيم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥) ، كما أن ياقوت
ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن مخنف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق
وبطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتعريف فيها كثير . وصححة أسم هذا الشاعر هو "أبو خرابة"
(بالحاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين خرجوا مع ابن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان
(أنظر "الأغاني" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المستب" للذهبي طبع ليدن ، ص ١٦٠) .

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد :

كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ إِذَا يَقْتُلُونَهُ * بَغَاثَ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى صَقْرٍ !
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته وشكله ، فقال :

لله بستانٌ حَلَّلْنَا دَوَّحَهُ * فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا !
والبانُ تحسبه سنانيراً رَأَتْ * قَاضِيَ الْقَضَاءِ ، فَفَتَشَتْ أَذْنَابَهَا !
(بدائع الزهور لأبن إلياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :

الرَّهْنَةُ الرَّهْنُ ، وَالْهَاءُ لِلْبَالِغَةِ ، كَالثَّانِيَةِ وَالشَّمُّ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَا بِمَعْنَى الْمَرْهُونِ .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تَحْمَنُ الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠) مانصه : "فما تقول في فرس تَحْمَنُ تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبارُ الموكب قد حال بين استبانة بعضهم لبعض ، وليس في الموكب يَجْرُ ولا رَمَكَة ، فياتفت صاحب الحصان فيرى يَجْرُ أَوْ رَمَكَة على قَابِ عَرَضٍ أَوْ عَرَضِينَ أَوْ غُلُوَةً أَوْ غُلُوَتَيْنِ ؟ حَدَّثَنِي : كَيْفَ شَمَّ هَذَا الْفَرَسُ تِلْكَ الْفَرَسَ الْأُخْرَى ؟" .

ففى ذلك تأييد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحى كلمته هناك . وكأننى كنت أنظر بنور الله إلى هذا الشرح حينما أوردتُ حكاية قايىباى ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسaire سعيد بن سلم للخليفة الهادي بنفس ألفاظها التي أوردتها في "التاج" وقال : إن
الخليفة نعتُه بـ "الخائن" (اليان واليتبين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا النعت ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طوَيْسُ المننَّى لبعض ولد عثمان بن عفَّان (أعنى هو سعيد
أبن عثمان بن عفَّان) ثم عَقَّبَ عليه بقوله : ولو قال شهدتُ زفافَ أمِّك الطَّيِّبَةِ إلى أبيك المبارك ، لم يحسُنْ
ذلك . [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أبرويز لرجاله
في حفظ الحرم . والعبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عندنا قد أخذت حفظها من العناية
في التصحيح .
(أنظر "المحاسن والأضداد" طبع الملامه فان فلوتز بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أَحَلَّتُ القارئَ على بعض المواطن التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف باسم "النوبهار" .
وأزيد على ذلك أن أبن فضل الله العمري تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ج ١
ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلتها بالفتوغرافية عن نسخة
السلطان المؤيد شيخ ، الموجودة الآن بخزانة طوب قيو بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) و صفحة ١٠٣ (سطر ٦)

للمحافظ شرح لطيف على قولهم : " المنبون لا محمود ولا مأجور " . (أنظره في كتاب " البخلاء " ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجعد بن درهم بحسب ما وصل إليه أجتهدى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرت فيها على شيء من هذا القبيل . ثم رأيت ترجمته في " شرح العيون " لأبن نباته (ص ١٥٩) . فأحييت لفت النظر إلى ذلك . وإن كان في الحقيقة لا يحتوي على شيء يذكر أكثر مما أتيت عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن اسم " سليم بن مجالد " اعتماداً على رواية مصر ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب " المحاسن والمساوي " قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجالد " . وأنا أضيف الآن أن ابن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن والمساوي " أي " سليمان " وقال إنه " مولى بنى زهرة وكانت له من السقاح منزلة عظيمة " (وأورد تفصيلات أخرى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجالد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن المحافظ نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معاوية وبين قيس ابن سعد بن عباد أمير مصر من قبل علي بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، ففرقة ضلالة، وبطشهم بطش جبرية. يأخذون بالطَّه، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها." (عن "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥).
وقال أيضا: آثار الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع سخاء، وأحتمل وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام بحق الجار." ("البيان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "آب دأب" ما رواه الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبها عن علامات الانصراف ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أضف إلى شرحي لكلمة "مخصرة" قول ابن سيده: "المخصرة ما يشير به الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد وفي هذا الموضوع حقه في "كتاب العصا" الذي أدمجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانصه : "كانت المخاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ، ولذلك قال الشاعر :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهَا عَرِيْقٌ * يَكْفُّ أَرْوَغَ فِي عَرْنَيْنِهِ شَتْمٌ^(١)

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله : لأن الملك لا يختصر إلا بعود لذن ناعيم .

وأنظر أيضا كتاب "العصا" لأسامة بن منقذ ، وقد طبعه العلامة هرتوفينغ در بريغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousama Ibn Mounkidh, un émir syrien aux premiers siècles des croisades.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قريش "عروة بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عروة بن أذينة" . وقد غلط صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في التخليط مع أن شيخه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقى أن "عروة بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبريد طبعة ليبسك ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣) .

أما "عروة بن أذينة الشاعر" ، شاعر قريش ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغاني" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأَرَوْع : الذي يروك ويحبك لحسنه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السَّكِيَّة" أن صاحب بدائع البدائه (ص ٢٢٧) قد أنشد لابن قلاؤس الإسكندريّ مرتجلاً :

أنا الفقيه — بَطِيخِيَّة * وَسَكِيَّة قد أُجِدْتُ صَقَالاً ،
فقطَّعَ بالبرق بدرَ الدُّجَى * وناولَ كلَّ هلالٍ هلالاً .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن ، ثم ح ١)

إتفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذي قد ينام فيه الملك . وكنتُ آثرتُ استعمال "الحاوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأوّل أفضل . لانه وارد في جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللغة لا تمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملal وشهوة الاستبدال في كتاب "اليان والتبين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفا لطيفاً عن ابن أبي عتيق في الجزء الثاني من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قارن ما كتبه الجاحظ في "التاج" عن رأى الناس في المشهور المتداول بما أورد في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابة ويندمج في ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ٢٠١)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس غلفاء بن الحارث "كان يتغلف" ويتغلف أصحابه الغالية، تُسمى "غلفاء"، بذلك "البيان والبيان" (ج ٢ ص ١٦١).
 قال في الصحاح "وتغلف الرجل بالغالية وتغلف بها لحية غلفاً، ومعد يكرب بن الحارث بن عمرو نحو شرجيل بن الحارث يُلقَّب بالغلفاء لأنه أول من غلف بالمشك، زعموا". ونحوه في "اللسان".
 ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١)

يضاف على السطر الثالث منها أن ابن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).
 هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم الخلفاء إلى القضاة". [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من "معجم الأدباء".]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القبيل بالأندلس، مع علم الخاص والعالم بغرامى بهذا القطر وبين نوا فيه. فرأيت أن أتلأ في الآن ذلك الإحمال بالإحالة على ما حصل من قاضى قضاة قرطبة محمد بن بشير لصري الأصل مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفصيل الوافى فتح الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة ليدن؛ وفي كتاب بنية الملتبس بن طبع مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب النكلة لكتاب الصلة لابن الأبار، طبع مدريد، ص ٩٠؛ كتاب المدارك للقاضى عياض، الذى أشار إليه صاحب فتح الطيب). ومثل ذلك ما وقع أيضاً للمذنبين بد البلوطى مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبر هذا القاضى مشهورة تجد المعجب والمطرب منها الكتب المذكورة - بمراجعة فهارسها) وأنظر على الخصوص فتح الطيب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠) يليها.

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أنظر ما رواه الجاحظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة بهرام وفروسيته في صيد الحمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "الطبر" و"الطبرزين" :

١ - أن ابن جرير الطبري الشهير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأفاده أبو حاتم ، ثم سأله عن بلده ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة ، "وكانت أرضاً ذات شجر ، فاتمسوا ما يقطعون به الشجر . فجاؤهم بهذا الطبر الذي يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به" . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٤٢٨) . وقد ذكر الجاحظ "الطبرزين" و"الطبرينات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرن الثامن للهجرة فأطلقوا لفظة "طبر" على السلاح جملة . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد النعم ومبيد النقم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطبردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام الجاحظ نفسه أن الخباز عندهم كان هو الطاهي والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام لخدمته .

قارن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ ، واعتبر كلامه في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب تقول للرجل الصانع ... تجبازاً ، إذا كان يطبخ ويعجن" . وقد قال في الجزء الخامس منه (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الخبازون الخباز قد تركوا

الضأن، لأن المزيقي شحمه ولحمه فيصلح أن يسمن مرات، فيكون أرشح لأصحاب العرس". وآنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السندی الذي اشتراه ثمانية [بن أشرس] ثم قال عنه للمحافظ: "إنه أحسن الناس خبزا وأطبخهم قدرا".

وورد في كتاب "البخلاء" للمحافظ:

١ - إنك لتغالي بالخباز والطباخ والشواء والخباص [أى الذى يصنع الخبيصة] (ص ٧٠).

٢ - قَرَّبَ خبازُ أسد بن عبد الله - وهو على خراسان - شواء قد فضجه نضجا، وكان يعجبه ما رطب من الشواء، فقال لخبازه: أظن أن صنيعك يخفى على؟ (ص ١٦٠).

٣ - جاء الخبازون فرفعوا الطعام (ص ١٦٤).

فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين، وأنه كان فوق ذلك نذ يصنع بعض ألوان الطعام.

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر المحافظ البزماورد في كتاب "الحيوان" فقال: والدجاج أكثر اللوم تصرفا، لأنها تطيب شواء، حاراً وبارداً، ثم تطيب في البزماورد (ج ١ ص ٩١). ثم قال في موضع آخر: إن "أهل خراسان يحبون تحاذ البزماورد من فراخ الزناير، ويعافون أذنان الجراد الأعرابي السمين". (ج ٤ ص ١٥).
أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف بزماورد الزناير حينما كان واليا لخراسان. فلما عاد إلى بغداد كان يشتهيها، فطلب له من كل مكان. وحكى حكاية رجل بدوى تناول طعام على مائدة الأمير، وقد عيره الندماء بكل الجراد الاعرابي. ثم مالبت الرجل أن رأى القوم أحضروا المائدة صحفة ملانة من فراخ الزناير ليتخذوا منها بزماوردا للامير. ففرج البدوى وهجاهم بأبيات،
ها هناك.

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضا التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسلم الخراساني في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

ماني الثنوي هو القاتل بالنور والظلام . والطالب يرى ترجمته في "مرج العيون" (ص ١٥٥) .
والقاتلون بمذهبه يسمون "مانية" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطبعية طفيفة وردت في المتن وبعض الحواشي، رأيت وجوب أستدراكها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢	٨	ويُتَّسَع ، ويُقَصَّر ويختد	ويُتَّسَع ، ويُقَصَّر ويُختد
٢	١٠	مخاطبة ...	مخاطبة على مخاطبة
٣١	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤	١١	وجاؤا ...	وجاؤوا
٤١	٨	حتى ...	حين
٤	١٩	ص ٢٠ من طبعنا	ص ٢٥ من طبعنا
٤	٢١	قصاء مديرية الشرقية بمصر	قصاء الشرقية ببغداد
٧	١٤	حالات ...	حالات
٧	١٤	تثب ... تكون	يثب ... يكون
٧	١٥	قدَّامها ...	قدَّامه
٩	١١	حلَّوا ، تداكروا	حلَّوا ، تداكروا
٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠	٩	للسفلة ...	للسفلة
١١	١	الرويدية	الرويدية (١)
١١	١٢	يقرؤون ...	يقرؤون
١٢	٩	بمحارج ...	بمحارج
١٢	١٢	أراد مرد	أراد مرد (٢)
١٢	٣٤١	عزل ...	هزل (٣)

- (١) هذا التصحيح عن السسحة الخلية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية
 به ، ص بمقتضاه ، أى يجعل بدل " الرويدية " لفظة " الرويدية " بطريق التصغير والتحقيق لكلمة
 الزيدية " (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .
- (٢) هذا التصحيح عن الخلية أيضا . والفُرس يسمون هذا الاسم ، ومعناه " الرجل الحر " .
- (٣) هذا التصحيح عن الخلية أيضا . وهو وحيد حدًا ومتنم يقص به السياق .

استذراك (١)

للمهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات التي أنفردت بها دون نسختي س ، ص .

(الكلمات الزائدة في الحلبية أدمجناها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتبنيها على موقعها)

- ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية التي في آخر سورة "الأنعام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف المحافظ عثمان) ليس فيها لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلبية قوله تعالى في سورة "فاطر" : "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٣٥) وهي غير الآية التي يريدنا المحافظ ، وليس فيها محل الشاهد الذي توخاه] .
- ٤ س ٤ "أى لينا" بدلا من "قال كتيابه" . [وما أعتمدناه هو الصواب كما تراه في تفسير الرازى وغيره] .
- ٥ س ٤ جميع الرارد في هذه الصفحة ناقص في س وهو موجود في الحلبية مثل ما هو في ص ، مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلبى .
- ٧ س ١ إقتصصر صاحب الحلبية على ترجمة الباب بقوله "في الدخول على الملوك" ثم ابتدأ الكلام بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب للملك إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن يقف" . [وعندى أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا ولذلك أعتمدته في فذلكه المضامين] .
- ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل س] بدلا من "عبد الرحمن" [الذى أعتمدناه عن ص] .
- ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسحاق" . [فكان ناسخ الحلبية آتفق مع ناسخ س إلا في وضعه لفظة "الملك" في موضع اليأض الذى تركه صاحب س ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

- ۳۵ س ۹ "لا تعطي" بدلًا من "لا يعطيني". | وسدي أن روايتنا أفصل |.

- ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سيماء" فقد توافقنا مع الحلبة في إضافة أداة النفي. ولكن الحلبة عادت فأهملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيماء" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آتفتت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية ١ ثم س ٤ ص ١٥٧].
- ص ٤٦ س ٨ لا يسوا طيبا يتطبيب به الملك دونهم [وهذه الزيادة في الحلبة جملة لتخصيصها نوع الطبيب الذي يستعمله الملك].
- ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين الملوك والسوقة فرق".
- ص ٤٨ س ٣١ و"إبراهيم بن المهدي" وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد "بدلا من" وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس دخل على ابن أبي دؤاد. [فاتفق سه و سه على أن الداخل هو إبراهيم ابن المهدي بخلاف ما جاء في الحلبة. وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها. ولا شك أنه تحوز دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما آتتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة].
- ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وان"
- ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حدّ العدل على الخاصة" بدلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة" [ورواية الحلبة أحسن وأمتن].
- ص ٥٠ س ١٠ "هذه الخصال منه" بدلا من "هاتان منه" [وعندى أن رواية الحلبة أكثر حسنا وأتم بيانا].
- ص ٥٠ س ١٣ "ولا يته اللهم إلا أن" [وعندى أن هذه الزيادة في الحلبة في غاية الجمال].
- ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب"
- ص ٥١ س ١١ "الأمة" بدلا من "الملّة". [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأمّة" الواردة في سه. وقد استحسنّت "الملّة" الواردة في سه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ].

٥٢٠ س ١ "غيره" بدلا من "السوقة" "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهاتان الروايتان

أحسن مما أعتمدناه عن سـه وصـه].

٥٣٠ س ١٢ و ١٣ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقوم وأشهى منها إلى

فوائد". [ولا شك أن رواية الحلبة محرقة وصوابها "أقوم وأنهم إلى فوائد".

وأنظر الحاشية رقم ٢].

٥٨٠ س ٣ "فارتاع من حضر" بدلا من "فارتاع ومن حضره".

٦١٠ س ٩ "يتق" بدلا من "يتق".

٦٤٠ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السفغات كثير في الحلبة].

٧٢ س ١٠ "(باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب

الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك وبطانته". [وهو تقسيم

وجيه لطيف ، ويجب أعتماده في طبعتنا].

٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".

٨٧ س ٢ "باسم غير اسمه أو أسم أبيه" بدلا من "باسم أبيه". [ورواية الحلبة أكل].

٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن لا". [فكانت زيادتنا لحرف النى موافقة لما في الحلبة].

٩٥ س ١٥ "النبالة" بدلا من "النالة". [وهذا التصحيف فيه تبا له من النسخ].

٩٦ س ٣ "فأمتحن بعض الملوك" ... [وهذه الزيادة سخرقة ، وهى توجد فى سـه أيضا .

والرواية المتعينة هى الواردة فى صـه ، وهى التى أعتمدناها فى الطبع].

٩٦ س ١٧ "إلى نسائه اللواتى" بدلا من "إلى بستانه الذى".

٩٨ س ٢ "النبالة" بدلا من "النالة" ... [وهو تبا له ثان من نسخ الحلبة].

٩٤ س ٩ "نيتة لعلة صلح بخلافها ومن فسدت نيتة لغير لعة" ... [ورواية الحلبة

وجيهة جدًا وواجبة . فينبغى أعتمادها فى طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا التناؤل" بدلا من "السرو التناؤل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا
- ص ١٠٦ س ٥ "وجاؤوا بالرأس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ فقام" [وهذه الزيادة يقتضيها السياق . فلتتمد في طبعنا].
- ص ١٠٧ س ١ . رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقعده فوثب [» » » »] .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله"
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخطوة والسلطان" بدلا من "والخطوة عند السلطان". [ولعل رواية الخليفة أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى الساطة ، وأما في رواية سره ، صرعه فعناه الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فتواطآن على كذب" بدلا من "فتواطآن".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن ورائه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه"
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى". [ورواية الخليفة حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "هالال الحمداني" بدلا من "مهالال الحمداني". [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "وقد". [فتصححنا جاء موافقا لما في الخليفة].
- ص ١٣٥ س ٣ "كردي" بدلا من "كرجي". [ورواية الخليفة أقرب للصواب وإنما ينقصا التصغير للتحقير].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولعله لا يجحد" [وزيادة أداة النفي هنا وجية ومتحتمة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أنفكس الملك". [ورواية الخليفة جيدة والاصح اعتمادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك نفيسا عنده].

- س ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نهيك". [ورواية الحلبي مغلطة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها عادت فسمته عيسى بن نهيك].
- س ١٤٣ س ٩ "لثى هوفيه لم ندر" بدلا من "لثى آخرلا ندرى" ...
- س ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "مشاهدة أو مساناة". [وسنخافة الحلبي ظاهرة].
- س ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المون".
- س ١٤٧ س ٤ "موانيد" بدلا من "مواييد".
- س ١٤٨ س ١٥ "يُجَدِّده ... يجَدِّدها" بدلا من "يُنْخِذه ... يأدبها".
- س ١٥٠ س ١٤ "وجود أنهم المشاق" بدلا من "وجود القرم النهم المشتاق".
- س ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيبته" بدلا من "لذة الطعام وأطيبه". [ورواية الحلبي أطيب].
- س ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الحلبي أحسن].
- س ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة . فأما هذان اليومان فلم يكن ليشرب فيهما برة" ... [ورواية الحلبي أجود وأكل].
- س ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب رونقه وبعض ما به رمى" ... | ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص . والماء هنا بمعنى الرقيق والهباء كما يقال في الجواهر الكريمة والأجوار الميسة . وحينئذ فلا يكون هناك وحه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الظن بأحتمال أن "مائه" محرفة عن "بهائه".
- س ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا ... | ولا معنى لوضع "معجزا" في هذا المقام بل هي زيادة من الناسخ تدل على عجزه |.
- س ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أحلاق الملوك".
- س ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... | وزياده "كان" واجبة |.
- س ١٥٩ س ٤ "من أباء الملوك وأهل الشرف" ...

- ص ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده"
- ص ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل
- ص ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس الباركر". [ورواية الحلبية ربما لاترسل الإبهام].
- ص ١٦٥ س ٣ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيتك".
- ص ١٦٦ س ٣ "فأخذ التاج" بدلا من "فأخذوا التاج".
- ص ١٧١ س ٢ "وحدثني أبو الترب الشاعر : كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه"
- "يوما . فقال ، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي : تحتاج عيالك في كل"
- "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
- "فأخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبعي نقلا عن "الحاسن والمساوي" للبيهق . وإيس
- بين رواية الحلبية وبين رواية البيهق خلاف كبير إلا في آسم الشاعر ولست أدري صحته
- أهو أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعي فهي أصح وأوجه .
- ص ١٧١ س ١٢ "وفيا ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب" . [وهنا وقفت الحلبية مبتورة] .

التعريف بكتاب

”تنبيه الملوك والمكايد“

المنسوب للجاحظ



ذكرتُ هذا الكتاب في ”التصدير“ وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي حليتُ بها ”التاج“ .

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوف إلى الإمام بشيء عنه . فلذلك رأيت أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيما أعلم - بخزانة الكوبرلي بالقسطنطينية تحت رقم ^(١) ١٠١٥ .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة ”كتاب“ عبارة بخط حادث هذا نصّها . ”تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ“ . ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغير خط النسخة من أولها إلى آخرها ، وهي ”للجاحظ رحمة الله عليه“ .

ظننتُ أنني ظفرتُ بذرة يتيمة من تلك الدرر التي تفرّد بها الجاحظ . فأنشأتُ أتصفّح الكتاب ، ولكنني ما قرأتُ منه سطرين حتّى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) نقلت بالنصوير الشمسي نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وقصها :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أفتح بالحمد كتابا ، وفتح للعبد إذا راقى إليه بابا ، قسم بين خليقته فطورا أطوارا وتحزبوا أحزابا . أنفذ فيهم سبمه ، وأمضى فيهم حكمه ، وجعل لكل شئ أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيتة وإرادته ، يُعزَمَنُ يشاء ، ويُذَلَّ من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كرما وهابا . نحمد على ما أولى وأنعم ، ونصل على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم ! (أما بعد) فهذا كتاب يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الاحتراس من كل صديق ورفيق وما تحت ثيابه من البُغْضِ والتحاسُد . فعمود بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونسوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شئ قدرا“ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو على كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لأفتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويا بعد ما بين آبن طولون وكافور الأخشيدي والمتنبي وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب لمعاً من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حينئذ لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،
شرحاً يدل على أن المؤلف كان محيطاً بأحوال عصره ، واقفاً على ما جرىات دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"
فأوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولاً للسراقات ^(١) تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبرراً للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساعداً في نسبة الكتاب برمته إلى الجاحظ ؟ كلا لعمرى !

هذا . والكتاب في حدّ نفسه وفي بابهِ مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطراً . ولكنه يحتاج لعناية في التصحيح والتهذيب .
أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

- (١) مكاييد الفُرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .
- (٢) » الهند (» ٤٩ - ٥٤)
- (٣) » الروم (» ٥٥ - ٦٣)

وما بقي من الكتاب ، قَصَرَهُ على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . وأسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السراقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبنى أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدي . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

”فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! وليعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسن عقلاً وشرعاً : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهيج ، ولهذا صار أهني الفتح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما غلبت على أهل مكة حيث آتزعها بالمكيدة التي استعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آيين ساسان المرتجع له من أيدي الذين آقتسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ” الحرب خدعة “ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من النورية عن مقصده عند سيره في غزواته ، وخصوصاً ما استعمله في فتح مكة “ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يحدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يعز به الدين وينفع به المساكين . وأرتفع بهذا وجه اللوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .
نجز الكتاب ” تنبيه الملوك “ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ” سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة “ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إناعام النظر في كتابه . وغاية ما توفقتنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ” جامع الأخبار “ .

روى ” جامع الأخبار “^(١) أنه سهر ليلته عاشوراء بخندق الموالي القصرية وأطال التفكير فيما عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من آستيلاء أعدائهم عليهم

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام علياً في صفة الساخط عليه لأعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حطى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضى "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب نزاعه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضى يده ، لأنها لمست يد الإمام على . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجوداً بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الكتاب بين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى يزه بأن يخدع بمثل هذه المحاولات ولهذا يقول في بعض قصائده .

ولا خدعتنا منه قط ملاحم * تسدى بأصناف المحال وتأمم .

فأضعفها ما كان فيه رواية * وأسمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى " المجلس العالى السيدى " لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقرّر فى ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى في أيام المماليك أو الأيوبيين أو القواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله في " التعريف بالمصطلح الشريف " والقلقشندى في " صبح الأعشى " .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها في سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط في سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاءً مبرماً على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين في أيامهم شيئاً مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالحى" وأنشد له شعرا . فهذا النعت
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزّيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه
من كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفائز الفاطمى ، وأستقل بالأمور وتدير
أحوال الدولة ، وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفائز ،
استمر الصالح على وزارته وزادت حُرْمَتُهُ وتزوج العاضد الفاطمى ابنته . ثم دس
العارض عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" قد أخرج
كتابه للناس في أنحرىات الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف
الثانى من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان . في حرف الطاء .

التعريف بكتاب ”محاسن الملوك“ لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في ”التصدير“ وفي الحواشي . كتبته ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة بكتاب ”التاج“ .

عُثِرَ على النسخة الأصلية لكتاب ”محاسن الملوك“ في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر يتعلق برسل الملوك وسفرائهم^(١) .

فأما ”محاسن الملوك“ فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً . وعلى طرته أنه ”جمعه بعض الفضلاء“ . وقد ابتدأه مؤلفه بعد البسملة بقوله :
”الحمد لله المتطول بالعارف ، المميز بالمعارف ، وجاعل الملوك قائمين في الأرض بالوظائف التي على الخلائف ؛ الأمر بإعظام السلطان لقيامه بأعباء الإيالة ، وأنضائه للخلق بالكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم في المعاش الذي هو وسيلة معادهم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وأزدياده . أحمده على نعمه“

ثم نوه بالملك الذي ألف له هذا الكتاب وسماه ”مولانا السلطان الملك العزيز“ . وقد نعت المؤلف نفسه ”بالمملوك“ . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ، وكرر في غضونهما التنويه به إذ قال : ”ولا زال مولانا العزيز“ .

(١) وقد نقلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسي وأحضرتها إلى دار الكتب الخديوية بالقاهرة .

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آخر يدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا عمن هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

ف رأينا أن هذا الأسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بني أيوب ، والثالث من سلاطين المماليك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية ، ولكنه لم يجلس على سريها سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتعظيم والتعظيم الذي أورده المؤلف ، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية ، أى قبل أن يأتى هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثانى المسمى "بالمملك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين غازى الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صغيرا فانتزع عمه الأفضل المملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت حلب لعمه العادل . وتوفى الملك العزيز هذا في سنة خلعه ، أى ٦٣٤ . فتكون مدة حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجبها وصحيحا ، لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطفولة مما جعل عمه ينتزع العرش منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف الملوكانية والنعوت السلطانية الواردة في أول الكتاب وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب ، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر ، فإنه هو الذى كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "المملك فلان" أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير ، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصرحة وبالبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في ” التعريف بالمصطلح الشريف ” لأبن فضل الله العمري ، وفي ” صبح الأعشى ” للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف باسم ثالث الملوك المعروفين ” بالملك العزيز ” وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم أستقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أى إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمى الواحد منهم نفسه ” المملوك ” إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المماليك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتمعن لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مَصُوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في ” شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ ” . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يسمى ” بالملك العزيز ” . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة أنتساخ الكتاب ، لاسنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت أنتساخه .

أما الكتاب، فهذه موضوعاته :

- | | |
|--|---|
| <ul style="list-style-type: none"> • الأدب في أستعطاف الملوك . • أدب من أسدى إليه الملك يدا . • أدب من رفع الملك قدره . • الأدب في عازحة الملك . • أدب الصلاة مع السلطان . • الأدب في مسيرة السلطان . • أدب حجاب الملك وحجابه . • الأدب في الرسول . • أدب الملك في منامه . • الأدب في آتخاذ الكاتب . • الأدب في استعمال الملك الأناة وترك العجلة . • سخاء الملوك . • أدب الملوك إذا ذهبهم أمر . | <ul style="list-style-type: none"> • أدب الوقوف على باب السلطان . • أدب الداخل على السلطان . • الأدب في تجزوع السلطان . • الأدب في تعهد السلطان خدّمه . • أدب من يجالس السلطان . • الأدب في الانصراف عن مجلس السلطان . • أدب من يخاطب السلطان . • أدب من سأله السلطان عن اسمه . • أدب مؤاكلة السلطان . • أدب السلطان في إقامة الحدود والتعزير . • الأدب في عزاء الملك . • أدب التعزية بالملوك . • الأدب في مسامرة الملوك . • أدب مناصحة السلطان . |
|--|---|

وفى كل هذه الأبواب استطرادات تتعلق بالموضوع، تعلقا قريبا أو بعيدا .

وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات تقريباً^(١) واختصر بعض فصوله اختصاراً كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة سلطان العصريه .

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

الفهرس الأبجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التى استخدمتها المراجعة وتحرير الحواشى



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى

الريحان البيرونى، طبع العلامة سخاو

المستشرق الألمانى بمدينة ليبسيك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للزوينى، طبع

العلامة وستفولد بمدينة جوتينجن سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى

المعروف بالبخارى، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طبقات الأدباء =

معجم الأدباء

أساس البلاغة للزمخشري، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبى الأثير،

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لأبى دريد، طبع العلامة وستفولد

بمدينة جوتينجن سنة ١٨٥٤

الأصنام لأبى الكلبي (نسخة مخطوطة

بخزانة كنى وجار طبعها بتحقيق فى مطبعة

بولاق فى هذا العام)

إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلى،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥.

الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو السابع من المكتبة

الجغرافية العربية]

الحاسن والأضداد للمحافظ طبع العلامة

فان فلوتز بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني، فى ٢٠

جزءاً طبع بولاق سنة ١٢٨٥هـ، والجزء

الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف برونو بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥هـ

فهارس الأغاني للعلامة جويدي وزملائه، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالى (وذيله) لأبى على القسالى، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤هـ

الأنساب للسمعاني، طبع العلامة

مرجوليوت بمدينة لوندن سنة ١٩١٣

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شئ من المسميات الواردة فى التصدير . فتنبه لذلك .

﴿ ب ﴾

كتاب البخلاء للجاحظ طبع العلامة فان فلورن
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠

بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبن
إياس، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ

برهان قاطع (معجم فارسيّ) نقله عاصم
افندى إلى اللغة التركية، وأسمه
تيان نافع في ترجمة برهان قاطع،
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ

مختصر كتاب البلدان للهمداني المعروف بأبن الفقيه،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٢ هـ وسنة ١٨٨٥ م

[وهو الجزء الخامس من المكتبة
الجغرافية العربية]

كتاب البلدان لليعقوبي، طبع العلامة جُونِبُول
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠

البيان والتبيين للجاحظ، طبع القاهرة
سنة ١٣١٣ هـ

﴿ ت ﴾

تاج العروس في شرح القاموس، طبع
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

تاريخ ابن خلدون = كتاب
العبر الخ

تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر
محمد بن جرير الطبري، طبع العلامة
ده جويه وزملائه بمدينة ليدن
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك

تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار
البشر

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مرآة

شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مرآة

تقريب التهذيب للهاظ العسقلاني طبع
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزي، طبع
ليدن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف للسعودي، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٩٣ | وهو
الثامن من المكتبة العربية الجغرافية |

تنبيه الملوك والمكاييد، منسوب للجاحظ.
| ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية.
منقولة بالفتوغرافيا عن مكتبة الكوبرنيل
بالقسطنطينية |

﴿ ح ﴾

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
للسيوطي، طبع حجر بالقاهرة بدون تاريخ
سنة الطبع

الحماسة (شرحها للتبريزي)، طبع العلامة فريتاج
بمدينة بون سنة ١٨٢٨

الحيوان للجاحظ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

سيرة ابن هشام ، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع
العلامة وستفيلد بمدينة جوتنجن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي
الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العسكرى
المعروف بأبي العمد الحنبلى [مخطوط
بدار الكتب الخديوية نمرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للنساجى ، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للقاتشندى (الجزء الأول ، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥)

الصحيح للجوهري ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢

صحيح البخارى ، طبع السلطان عبد الحميد الثانى
بولاق سنة ١٣١١ - ١٣ فى تسعة أجزاء

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية السبكي ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبي سعد ، طبع العلامة
سنيان وزملائه بمدينة لندن من سنة ١٣٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن]

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموني (كتاب فى النحو) طبع
القاهرة ، مرارا

خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطوط للقرزى ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت ، طبع تونس
سنة ١٢٨١ هـ ، وطبع القاهرة سنة ١٣٢١
ديوان الفرزدق ، طبع العلامة بوشير ومعه
ترجمته له إلى اللغة الفرنسية فى باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأملى للقالى = الأملى

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
لخليل بن شاهين الظاهري ، طبع بولس
راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع فى عدوات الأتباع
لأبي ظفر الصقلى طبع المجر فى القاهرة
سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية
بمعرفة العلامة ميشل أمارى الطليانى ، طبع
لوندرة سنة ١٨٥٢]

طراز المجالس للفتاحى، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٤ هـ

﴿ ع ﴾

كتاب العبرودىوان المبتدا والخبر فى أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصره من ذوى
السلطان الأكبر لأبن خلدون، طبع بولاق
سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
للقرئى، طبع العلامة وستفيلد بمدينة
جوتنجن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامه بن منقذ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (فى ضمن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربّه، طبع بولاق
سنة ١٢٩٣

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لأبن
أبى أصيبعة، طبع العلامة أغسطس ملر
فى القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

﴿ غ ﴾

غرر أخبار الفرس وسيرهم للعالجى، طبع
العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية،
بيارس سنة ١٩٠٠

﴿ ف ﴾

فتوح البلدان للبلاذرى، طبع العلامة ده جويه
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبد القاهر البندادى، طبع
القاهرة سنة ١٩١٠

الفصل فى الملل والنحل لأبن حزم الأندلسى
طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن التديم، طبع العلامة فلوجل
بمدينة ليبسيك سنة ١٨٧٠
فوات الوفيات لأبن شاكركاكتي، طبع بولاق
سنة ١٢٨٣ هـ

﴿ ق ﴾

القاموس للفيروزابادى، طبع القاهرة
سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند
العرب

﴿ ك ﴾

الكامل فى الأدب للبدّ، طبع العلامة ريت
المستشرق الإنكليزى بمدينة ليبسيك من
سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل فى التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة
توتنبرج بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١
الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة
العربية للدكتور رينالدى طبع مدينة
ناپولى سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة، طبع العلامة ده سانسى بمدينة
باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة، طبع العلامة الأب لويس
شيخو بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

محاضرة الأوائل وسامرة الأواخر لعل

دده ، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠

المخصص لأبن سيده ، طبع بولاق سنة ١٣١٦

- ١٣٢١

مسالك الممالك لإبراهيم الإصطخري المعروف

بالفارسي ، طبع العلامة ده جويه بمدينة

ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة

الجغرافية العربية]

كتاب المسالك والممالك لأبن حوقل ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدين سنة ١٨٧٣ [وهو

الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن ابن خرداذبه ،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدين

سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو

السادس من المكتبة الجغرافية العربية]

المشتبه في الأسماء للذهبي ، طبع العلامة

ده يونيو بمدينة ليدين سنة ١٨٨١

مطالع الدور في منازل السرور لعلاء الدين

على البهائي الغيزولي ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قتيبة ، طبع العلامة وستفيلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، لعبد

الواحد المراكشي طبع المسألة دوري

بمدينة ليدين سنة ١٨٨١

معجم الأدياء لياقوت الحموي طبع العلامة

مرجوليوت بالقاهرة ، من سنة ١٩٠٧

[ولا يزال العمل جاريا الآن]



لسان العرب لأبن المكرم المعروف أيضا

بأبن منظور ، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -

١٣٠٨ هـ

لف القباط في تصحيح ما تستعمله العامة من

العرب والدخيل والمولد والأغلاط ، للسيد

حسن صدقي خان صاحب مملكة جهوبال

بالهند (عليه هوامش للسيد نور الحسن)

طبع ، حجر بالهند سنة ١٢٩٦



مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع

القاهرة حديثا سنة ١٣٢٥ هـ

الحاسن والأضداد ، المنسوب للمحافظ ،

طبع العلامة فانت فلورن بمدينة ليدين

سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك لبعض الفضلاء [نسخة محفوظة

بدار الكتب الخديوية نقلا بالفتوغرافية

عن الاصل المحفوظ بخزانة طوبقو

بالقسطنطينية]

الحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمد البيهقي ،

طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن

سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدياء للراغب الإصفهاني ، طبع

محمد غارف باشا رئيس جمعية المعارف

بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ



نقائض حرير والفرزدق طبع العلامة بيشن

بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،

لأبى المحاسن تترى بىدى ، طبع العلامة

جُونُولْ بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ -

١٨٦١

النهاية فى غريب الحديث لأبى الأثير ، طبع

القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب فى فنون الأدب للتورى ،

| عن النسخ المنقولة بالمتوغرافيا المخطوطة

بدار الكتب الخديوية |

نهج البلاغة (شرحه لأبى الحديد ، طبع

القاهرة سنة ١٣٢٩)



الوسيط فى تراجم أدياء شفيط للرحوم الشيخ

أحمد الأمين الشستيطى ، طبع القاهرة

سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لاسر خلكان ، طبع بولاق

سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة درزى

طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى

لرشاردسن ، طبع لوندرة سنة ١٨٢٩

المعزب من الكلام الأجمعى للجوالقى طبع

العلامة سخاو بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

معيد النعم ومبيد النقم للسبكى ، طبع لوندرة

مفاتيح العلوم للخوازنى ، طبع العلامة فان

فولتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار | الترجمة الفرنسية

للعلامة لوسيان لوكير | طبع باريس

سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة أبى خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للصبي | نسخة مخطوطة بدار الكتب

الخديوية نقلا بالمتوغرافيا عن الأصل

المحفوظ بجزاة طوب قيو بالقسطنطينية |

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر

الرازى ، طبع حجر بالقاهرة فى ١٧ شوال

سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبجدي الثاني

بأسماء المصنفات المذكورة في متن الكتاب أو في حواشيه وتكميله

كتاب	الآباء والأمهات لأبي حسان الزياتي
كتاب	آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (وأنظر كتاب الزيادات في هذا الفهرس)
	آيين الأكاسرة
	آيين الفرس
	آيين ابن المقفع
كتاب	أخبار الأكلة للدايني
كتاب	أخبار زياد بن أبيه للهم بن عدي
	أخبار زياد بن أبيه للدايني
	أخبار ولد زياد بن أبيه ودعوته للدايني
	أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاحظ]
	الأدب الكبير (لأبن المقفع، طبع)
	الأدب الصغير (أحمد زكي باشا)
	الأغاني (كتاب يشير إليه الجاحظ، هو غير الذي لأبي الفرج الإصهاني)
	الأغاني (كتاب ذكره المسمودي، وهو خلاف الذي لأبي الفرج)
	الأغاني (كتاب إبراهيم بن المهدي)
	الأغاني (كتاب إبراهيم الموصلي وإسماعيل ابن جامع وفتح بن العوراء)
كتاب	الأغاني (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأصله فيما يقال لأبيه وأبن جامع وأبن العوراء، هذبه إسحاق بأمر الخليفة الواثق، وقال أبو الفرج إنه ليس له، بل هو مصطنع عليه، ونسبه المسمودي له)
كتاب	ألقاب الشعراء لأبي حسان الزياتي
	كتاب البخلاء [يشير إليه الجاحظ في صفحة ١٤٠ وهو غير الذي ألفه هو]
	بدائع البدائنه لأبن ظافر
	الجمهرة لأبن دريد
	درة الغواص للحريري، طبع الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ، وطبع ليسيك سنة ١٨٧١ م
كتاب	الزيادات في كتاب آيين في المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (وأنظر كتاب آيين له)
	سرح العيون لأبن نباته طبع بولاق
كتاب	طبقات الشعراء لأبي حسان الزياتي
	الكشاف [وحواشيه] تفسير القرآن الرمنشري، طبع مرارا بالتاهرة
	مسالك الأبصار لأبن فضل الله العمري
	معجم الشعراء للزباني [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]
كتاب	مغازي عروة بن الزبير لأبي حسان الزياتي
كتاب	مقتل عمرو بن سعيد بن الناص
كتاب	من أحكمهم من الخلفاء إلى الفضاة العسكري

الفهرس الأبجدي الثالث

بأسماء الرجال المذكورين في "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن في الفهارس التالية)



كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٠٨٢٠٩٠٩	آدم (أبو البشر) ٣٨
١٠٩٠٩٩٠٩٨٠٩٧٠٩٤٠	آزاد مرد (حاجب زردجرد) ١٢٦٠١٢٥
٠١٢٤٠١١٩٠١١٥٠١١٠	إبراهيم (النبي) ١٠٧٠٩٠٣
١٨١٠١٨٠٠١٥٥٠١٥٣	إبراهيم الحزاني ٣٦٠٣٦
٢٠٣٠١٨٥	إبراهيم بن السندي بن شاهك ١٢٠١٢
أحمد بن أبي خالد الأحول من مشاهير	١٩١٠
الأئمة [١١]	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
أحمد بن أبي دؤاد من مشاهير الأئمة [١١]	علي بن أبي طالب ٨١٠١١٠١١١٠
= ابن أبي دؤاد	إبراهيم بن عثمان بن نهيك ١٤١
أحمد بن الأمين الشنقيطي ٤٤	إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بابن شكلة)
أحمد بن سهل = أبو زيد البلخي	١٦١٠٨٥٠٤٨٠٤٣٠٤٢٠٣١٠٢٣
الأمير أحمد بن سهل ٨٩	إبراهيم الموصلي (الغني) ٣٦٠٣١٠٢٣
أحمد بن عبد الرحمن الحزاني ١٣	٠٤١٠٤٠٠٣٩٠٣٨٠٣٨
أحمد بن محمد بن نصر الجيماني ١٩٢	٤٢

﴿ ب ﴾

بَقِيلَة = ثعلبة بن سنين
 أبو بكر الصَّدِّيق (الخلِيفَة الرَّاشِد) ٨٦
 أبو بكر الهَذَلِّي ٥٨ ١١٤ ١٩٨ ١٩٩
 بلال بن أبي بُرْدَة [من مشاهير الأَكَّة ١١]
 ثم ٢٠ ٢٠٦ ١٩٣
 بَنَدَار بن خورشيد ٥٥
 بهرام جُور بن يزْدَجُرد (ملك الفرس) ٢٨
 ٣٠ ٣٣ ١٠٠ ١١٨ ١١٩
 ١٢٠ ١٢٤ ١٣٥ ١٤٩
 ١٥١ ١٥٣ ١٥٩ ١٦٤
 ١٦٥ ١٦٦ ١٧٧ ١٧٨
 ١٧٩ ١٨٠ ٢٠٩

بَابَك الْخَزْمِي ١٢٧
 بَابِل بن قيس الجُدَامِي ٦٠
 أبو بحر الضَّحَّاك = الْأَحْنَف
 ابن بَجَّيْشُوع (هو جبريل الطيب) ٣٧ ١٦١
 برصوما الزامري (واسمه إسحاق) ٣٨ ٣٩٦
 ٣٩ ٤١٦
 البرق الشاعر ١٧١
 بسرة الأحول [من مشاهير الأَكَّة ١١]
 بَشَّار بن بُرْدِ الْأَعْمَى (الشاعر) ٨٦
 بشر بن عبد الملك بن مَرْوَان ٦٠
 بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظار وناظر
 الخارجية كان ١٥٦

﴿ ث ﴾

ثُمَّامَة بن أَشْرَس ١٩٠ ٢١٠

ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨
 ثعلبة بن سنين المشهور ببَقِيلَة (ويسمى أيضا
 الحارث) ٨٢

﴿ ج ﴾

جبريل (الملك) ٢٤
 جبريل بن بَجَّيْشُوع (الطبيب) ٣٧
 جبرين الخَطَفِي (الشاعر) ٨٦ ١١٠
 ١٣٣ ١٣٢
 جبرير الطبري ٢٠٩
 جبرير بن عبد الله البجلي الصحابي ١٣٤

الجاحظ (في مواضع متفرقة من حواشي
 الكتاب وتكامل الروايات)
 الجارود بن أبي سَبْرَة (ويلقب بأبي مفضل)
 ٢٠ ١٩٣
 ابن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٢٣ ٣٨٦ ٣٨٦
 ٣٨ ٣٩٦ ٤١٦

أبو جعفر = المنصور (الخليفة العباسى)	أبو جعفر بن درهم مولى سويد بن غفلة ١٠٧
جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب	٢٠٤
المالكى = ابن الحاجب	جعنة بن هيرة ١٩٥
أبو جندب (اسم محبوبه) ٣٨	أبو جعدة ١٠٦، ١٠٧ = سعيد بن عمرو
أبو الجهم = محمد بن الجهم	أبو جعدة بن هيرة المخزومى
أبو الجهم العدوى ٨٩	جعفر بن سليمان بن على ١٠٤
	جعفر بن يحيى البرمكى ٤٨، ٤٩، ٦٠، ٦٦، ٦٧
	١٤٢، ١٤١

ح

أبو حسان الزيدى ٤٨، ٤٩، ٤٨، ٤٩، ١٩٦، ١٩٧	أبو حاتم السجستانى ٢٠٩
١٩٧٦	حاتم الطائى ٤٣
السلطان حسن صاحب الجامع الأشهر بالقرب من قاعة القاهرة ١٥٦	حاتم الكيال [لعله حفص الكيال - وهو من مشاهير الأكلة] ١١
أبو الحسن بن أبى بكر العلاف من مشاهير الأكلة ١١ (وأَنْظر ١٨٩)	أبو الحاجب المالكى ١٦١
الحسن بن سهل ٥١	الحارث = ثعلبة بن سنين
حسن صديق خان (ملك بهو بال بالهند) ١٩	الحجاج بن يوسف الثقفى [من مشاهير الأكلة] ١١ ثم ٤٧، ٤٨، ٤٩، ١٣٢، ١٣٣
الحسن بن على بن أبى طالب ١٤، ١٤، ١٣، ١٠٣	١٩٩، ١٩٣، ١٩٦، ١٣٣
الحسن بن قريش (من أصحاب المأمون) ٤٩، ٤٩	أبو حذيفة بن اليمان الصحابى ١٠٨
الحسين بن أبى سعيد (من مجاب المأمون) ٤٩	أبو حزاب (وهو الصواب بدلا من ابن خرابه) ٢٠١
الحسين الكلى (هو القطامى، والد الشرق بن القطامى) ١١٥	حررة (بنت جرير الشاعر) ١٣٤
	أم حررة (زوجة جرير الشاعر) ١٣٤
	حسان بن ثابت (الصحابى الشاعر) ٨٦

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل ٢٠٨

حمزة (الخارجي) ٢٠٥

حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤

حنين (الغنى العبادي) ٨٤

حوشب (اسم رجل بني بناء) ٨٢

الخطيئة (الشاعر) ٢٠

حفص الكيال لعله حاتم - [من مشاهير

الأكلة] ١١٦١١

حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم الخليفة

معاوية) ٨٩

﴿ خ ﴾

خرابة ٢٠١ [وصواب : أبو خرابة]

الخطفي } هو لقب والد جبر الشاعر
والخيطفي }

خلف الأحمر ١١٧

الخيزران (أم الرشيد) ٨٥

أبو خارجة [من مشاهير الأكلة] ١٩٠

خالد بن صفوان ١٩٩

خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧

خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢

خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أمية)

٢٠٠٦٥

﴿ د ﴾

درواس [من مشاهير الأكلة] ١١

أبو دؤاد القاضي ١٦١٦٥٠٤٨

دورق القصّاب [من مشاهير الأكلة] ١١

أبو دأب ٢٠٥٦١١٧٤١١٦٦١١٦٦١١٧

داود (النبي) ٨٨

داود بن أبي داود ٥١

﴿ ذ ﴾

أبو ذبّان = عبد الملك بن مروان

﴿ ر ﴾

رُسنة (غلام كسري أبرويز) ١٨١

١٨٣٠١٨٢

الربيع بن خيثم ٨٩

الربيع (حاجب الخليفة المصور) ١٤١٦١٢

الروح الأمين = جبريل	الرشيد (الخليفة العباسى) ٣٧٠٣٧٠٢٣
روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجندى	٤٣٠٤٣٠٤١٠٤٠٠٣٩٠٣٨
(وكنيه أبو زرقه) ٦٠٠٦٠٠١١٣	٤٨٠٠٦٦٠٦٦٠٥١٠٥٠٠٤٦
١٩٩٠١٣١٠١٣٠٠١١٧	٤٩٤٠٩٣٠٩٣٠٨٧٠٨٥٠٨١
روح بن القاسم (من المحدثين) ٦٠	٤١٤٢٠٤١٤١٠٤١١٩٠٤١١١
ذو الرياسين = الفضل بن سهل	١٧٠٠٤١٥٤٠١٥٣
رسول الله = محمد	ذو الرمة (الشاعر) ٢٦٠٢٠
	روبة بن العجاج ١٩١٠١٠٦

﴿ ز ﴾

زهير بن أبى سلمى (الشاعر) ٣٨	زاذان فروخ الأعور ١٩١
الزيات (الوزير العباسى) ١٦١	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زياد بن أبيه ١٥٠١٥٠١٦٩٠٢٠٦	الزجاج (النحوى اللغوى) ٨٦
زيد البلخى ٨٩	زرور (المنى) ٤٤٠٤٤٠٤٣
زيد (مولى عيسى بن نبيك) ١٤٢٠١٤١٠١٤٢	زلزل (متصور الضارب بالعود، من آلات الملاهى)
زيد مائة ٣٩	٤١٤٠٠٤٣٩٠٣٩٠٣٨٠٣٨
	زهران من مشاهير الأكلة ١١

﴿ س ﴾

سعيد بن العاص = أبو أحيحة	سابور ذوالأكثاف (ملك فارس) ١٥٠
سعيد بن عثمان بن عفان ٢٠٣٠٨٩	١٩٢٠١٥١٠١١٨٠٧٣٠٤١٦
سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة	سطيح (الكاهن) ٨٢
المخزومى ١٠٦	سعيد بن سلم (بن قتيبة بن مسلم)
سعيد بن مرة الكندى ٨٨٠٨٧	الباهلى ٥٤٠٥٤٠٥٨٠٠٨١
	٢٠٣٠٤١٩٨

سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤

سليمان بن سلامة ٣٩

سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي

[من مشاهير الأكلة ١] ثم ١٠٣٠٣٢

١٥٥٠١٥٤٠١٥٣٠١٠٤

سليمان بن مجالد ٢٠٤٠١٠٨

سليمي (اسم محبوبية) ٣٦

أبو السمح = شرحبيل بن السمط

سنيذ (ضارب بالعود، فارسي) ٤٠

السيد بن أنس الحميري ٨٨

سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان

البصري) ٤١٤٤١

السفاح (الخليفة العباسي) ٣٥٠٣٤٠٣٣

٤٨١٤٨١٠٥٩٠٥٨٠٤٣٧

٤١٠٨٤١٠٦٤١٠٣٠٢٠٩٢٠٨٢

٤١٥٤٠١٥٣٠١٢١٠١١٤

٢٠٤٠١٥٥

أبو سفيان ٥٦

سلم بن زياد ١٩١

سالمى ١٩٨ (هو اسم أبي بكر الهذلي)

سالمى (اسم محبوبية) ٣٨

سليم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٣٩

سليم بن مجالد (صوابه سليمان)

ش

شكلة (هي أم إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣

شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام

كسرى أبرويز) ١٨٠٠١٨٠٠١٨١٠١٨٥

شهريار = شهر براز

شهر يزداد (هو تحريف من الناصحين لاسم شهر براز)

شوينفرت (علامة ألماني) ١٩٥

شيخو (الأتابكي سيف الدين العمري، صاحب

المسجد المشهور باسمه للأندلس في القاهرة) ١٥٦

شيرويه بن أبرويز، (ملك الفرس ويسميه العرب

في كتبهم "شيري" أيضا) ٩٠٩

١١٠٦١٠٩٠٥٥٠٥٠

شيري = شيرويه

الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠

شاه پور = سابور

شبابية (من رواية الحديث) ٤

ابن شبرمة ٨٤

أبو شجرة = يزيد بن شجرة الرهاوي

شرحبيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨

شرحبيل بن السمط (وكنيته أبو السمح

وأبو يزيد) ٧٩

الشرقي بن القطامي أو شرقي بن

القطامي ١١٥٠١١٥

القاضي شريح ١٦١

الشعبي ١٩٧٠١١٤٠٥٤

﴿ ص ﴾

صباح بن خافان المِثْقَرى ١١٠، ١١٠، ٢٠٥	الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين الأيوبي
--	---

﴿ ض ﴾

ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١	الضحاك = الأحنف ضرار بن الشماخ (ويلقب بمزد) ١٩٠
--------------------------------	--

﴿ ط ﴾

طويس (المغنى) ٢٠٣، ٨٩	طاهر بن الحسين ١٩٤، ٦٣١ طاهر ذو اليمينين ٧٤
-----------------------	--

﴿ ع ﴾

عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُريز القرشى ٢٠	عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠ العادل الأيوبي [سلطان مصر، من مشاهير الأكلة] ١١
عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى نراسان) ٥٩	أبو العالية [من مشاهير الأكلة] ١١
عبد الحميد الثانى (سلطان آل عثمان) ٤٢	عائشة أم المؤمنين ٦١
عبد الرحمن الحترانى ١٣	الخاخ عباس حلمى الثانى حديو مصر ١٥٦، ١٥٧
عبد الرحمن بن على الهاشمى (عم الخليفة المصور) ٥٩	العباس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨
عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩	أبو العباس = السفاح
عبد الرحمن الناصر، كبير حلفاء الأندلس ٢٠٨	أبو العباس = عبد الله بن طاهر ٧٥، ٧٤
عبد الرحمن = عبد الله بن عمر بن الخطاب	أبو العباس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعى
عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطط الذى يروى عنه المقتضى) ٦٤	أبو العباس (كنية فرعون موسى) ٤

عبد الملك بن مهمل الحمداني ١٣٤

عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي

٣٥٠٣٤

أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعدي

أبو عبيد (الغوي) ٢٤

عبيد الله بن زياد بن أبيه [من مشاهير

الأكلة] ١١ (وأنظر ١٩٠)

عُتْبَةُ بن عَرْوَان ١٠٩

عَتِيق ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ٢٠٧

عثمان بن شيخ الشيوخ (نجر الدين،

وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين

الأيوبي وكان إليه أمر المملكة) ١٦١

عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٩،

٢٠٣، ١١٩، ٨٦، ٧٩

عثمان بن نهيك ١٤١، ١٤٢

عدي بن زيد (الشاعر العبّادي من أهل

الحيرة) ٨٤

عُروَةَ بن أَدِيَّة (وهو عروة بن حدير

أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦

عُروَةَ بن أَدِيَّة (شاعر قرشي) ١٢١

عز الدين (وهو عبدالعزيز بن عبد السلام

المشهور بطان العلماء) ١٦١، ١٦٢

العزى (من آلهة العرب) ١

عقيل ١٩٥

عقيل ١٣٢

عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب

٨١٦٨١

عبد الله بن الزبير ٥٩، ٦٠، ٦٥، ١٩٨

٢٠١

عبد الله بن طاهر (وكنيته أبو العباس) ٧٤،

١٥٠

عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن

أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق

عبد الله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المنصور

العباسي) ٥٩، ١٤٣

عبد الله بن عمر بن الخطاب ٦٠، ١٣٠،

١٣١، ١٣٢

عبد الله بن مالك الخزاعي ٨٠، ٨١،

٩٣، ٩٢

عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي

(شاعر الأمين) ١٩٤

عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بُقَيْلَة

الغساني ٨٢

أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعدي

عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٥، ٤٨

عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي)

٣٢، ٣٦، ٤٧، ٥٠، ٥٩، ٦٠

٦٥، ٦٥، ٩١، ٩١، ١١٧

١١٩، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠

١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٣

١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٩

١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق

٢٠٢٤٢٠١٦٦٥٠٦٥٥٩

عمرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٥٣

عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأكلة]

١١

عنيسة بن إسحاق (والى مصر) ١٩٧

عنيسة بن زياد (لله مصحف عن عبيد الله

آبن زياد) ١٩٠ (وأنظر ١١)

أبو عون = عبد الملك بن يزيد الخراسانى
الأردى

ابن عيَّاش ١١٤٠٥٩٠٥٩٠٥٨

عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى

٨٣٠٨٢٠٨٢

عيسى بن مهيك ١٤٢٠١٤١

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = ابن

دأب

العتكى ١٤٣٠١٤٣

علويه الأعسر (وهو أبو الحسن على بن

عبد الله بن سيف) ٤٤٦٤٣

على بن الخليل (الشاعر الذى يقال له الزنديق)

٨٨

على بن أبى طالب ٥٧٩٠٥٩٠٥٥٠

١٠٩ ١٢٤٠ ١٦١٠ ٢٠٤٠ ٢٠٨

ذو العمامة = أبو أحيحة سعيد بن العاص

عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٠٤٤

٨٨٠ ١١٩٠ ١٦١٠ ١٦٨٠

٢٠٨٠ ١٩٥٠ ١٦٩

عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموى) ٣٣

١٦١٠ ١٥٥٠ ١٥٤٠ ١٥٢٠ ٩١٦

عمر بن هبيرة الفزارى ١٤٧

بن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب

عمرو الغزال ٣٩

﴿ غ ﴾

ذلفاء بن الحارث = الموسوس معديكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرجبيل بن الحارث.

﴿ ف ﴾

الفراء ١٢٣

أبو الفرج الأصبهاني (صاحب كتاب الأغاني)

٢٣٠٢٢

فرخان (أخو شهر باز) ١٨٣

أبو الفتح بن خاقان (الوزير العباسى الذى ألف

الجماحظ هذا الكتاب بأسمه) ١٨٦٠٤

نفر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ

الفضل بن يحيى (والى خراسان) ٢١٠
فَلَيْحُ بن العوراء (الغنى) ٢٣
فورسكال (عالم نباتى سودى) ١٩٥
فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠

الفرزدق (الشاعر) ١٤٧٤١٣٣١١٠
فِرْعَوْن (ملك مصر) ٣
الفضل بن الربيع (من رجالات الرشيد
والأمين) ١٩٤٤١٤٢
الفضل بن سهل (ذوالرياستين) ٤٩٠٤٨

﴿ ق ﴾

القرنين = الإسكندر ذو
القُطَامِيّ = الحُصَيْن الكَلْبِيّ
قَفّ الملقَّب [من مشاهير الأكلة] ١١
قلافس الإسكندريّ ٢٠٧
قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦
قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري
٢٠٤٤١٠٩

قاسم التَّمَار [من مشاهير الأكلة] ١٨٩٤١١
القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩٤٤٩
أبو القاسم الكعبيّ ٥٨
قايَتَبَاي (سلطان مصر الشهير بآثره الجليّة
في خدمة العلم والأدب والفنون الجميلة) ٧٨
٢٠٢٤١٥٧
قُبَاذ (ملك الفرس) ١٠٥٤٧٨٤٧٨
١١٨٤١٠٧٤١٠٦
قُبَاذ بن فيروز بن يزدجرد ١٥٥
قُسَم بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن
عبدالله بن عباس ٦٦٤٦٦

﴿ ك ﴾

كيشاسف (لعله يستاسف ملك الفرس) ١١٩
كيومرث ١٨

كثير (الشاعر، صاحب عزة) ١٠٨
كسرى ١٦٦ = كسرى أبرويز
كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

﴿ ل ﴾

لقمان الحكيم ١٩٦
لوط بن مخنف ٢٠١
الاب لويس شيخو اليسوعيّ ١٣٨

اللّات (من آلهة العرب) ١
لطيَم الشيطان = عمرو بن سعيد بن
العاص الأشدق

هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأئمة]

١١

هلال بن مسعر التيمي = هلال بن

الأسعر و"زوجته" [من مشاهير الأئمة] ١١

أبو همام السنوط (أو السموط) [من مشاهير

الأئمة] ١٨٩

الطيم بن عدي (من أكابر مؤلفي المسلمين

في العصر الأول) ١٤١٦١٥

هرثمة بن أعين ١٩٤

هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة

الأموي) ٣٣ ١٠٦٦ ١٠٧٦

١١٢ ١٤٠٦ ١٥٢٦

١٥٤ ١٥٥٦ ١٦١٦ ١٧٦٦ ١٩٨٦

٢٠٦٢٠١

هلال بن الأسعر (أو ابن أشعر أو ابن

مسعر) [من مشاهير الأئمة] ١٩٠٦١١



الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٢

٦٠ ٨٥٦١ ٩١٦٩ ١١٩٦ ١٣٠٦

١٥٥٦١٥٢

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة

الأموي) ٣٢ ٣٢٦٩ ١٥٤٦١٥٢

أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤

أبو الوليد = ابن دأب

الواثق الخليفة العباسي [من مشاهير الأئمة] ١١

١٣ ٢٣٦ ٣١٦٤ ٤٨٦٣ ١٢٠٦

١٥٤٦١٥٣٦٢٧

أبو وائل ٨٩

ورقاء (من رواة الحديث) ٤

الوليد بن الحُصَيْن الكلابي = الشريقي

آبن القطامي



يزدجرد (آخر الملوك الساسانية) ٢٨

يزيد بن شجرة الرهاوي (كنيته أبو شجرة)

٥٥٥٦٥٥٦٥٧

يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي)

٣٢٦٣٠

يحيى بن أكرم ١٦١

يحيى بن خالد البرمكي ٨١

يزدجرد (أبو بهرام) وهو المعروف بالأثيم والمائم

١١٨ ١١٩٦ ١٢٤٦ ١٦٣٦

١٧٧٦١٦٤٦١٦٣

أبو يزيد ١٤٢ = عيسى بن نهيك	يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى) ٩١
يستاسف ١١٨	١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٢٦٦١١٩
الأمير يشبك الدوادار (الأستادار، الوزير،	يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة
كاشف الكشاف بمصر) ١٥٧	الأموى) ١٩١٦١٥٤٦١٥٢٦١٠٦٦٩
ذو اليمينين = طاهر	أبو يزيد = شرحبيل بن السمط

الفهرس الأبيجدي الرابع

بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها

بكر = بنو بكر	(١)
بنو بكر ١١٥٦١١٤	الأتراك = الترك
(ت)	الأحامرة ٢٤
الترك ٤٢٦١٩	الأساورة ٦٥٥٦٢٨٦٢٥٦٢٤٦٢٤
التركان ١٦٦	٦١٦٤٦١٦٣٦١٥٩٦١٠٩٦٧٧
بنو تميم ٦٩	١٩٤٦١٧٣
(ج)	الإسبانيون ٢٦
جرهم ٨٣	الأشكانية ٢٩
(ح)	الأعاجم = العجم
بنو حزم ١٤١	الأكاسرة ١٥١٦٧٧
(خ)	الأمويون والدولة الأموية = بنو أمية
الخراسانيون ١٠٧	بنو أمية ٢٠٥٦٢٠٠٦٠٦٣٢٦٣١
خزاعة ٥٦	أهل الأندلس ١٦٦
الخزارة ٨٠٦٥٤٦٥٤	الأيوبيون ١٦١
(ر)	(ب)
الراوندية ١٤١٦١١١٦٣٥	البرامكة ١٤٢
بنو ربيعة ١٢٣	بنو بقبيلة (وغلط من كتب أوالقبيلة) ٨٢٦٨٢
ربيعة بن حنظلة ٢٠٦	

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية

6 1 . 7 6 2 8 . 6 3 7 6 3 8 6 2 7

1A761Y76100

بنو عبد شمس ۱۹۶

آل عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٥

العجم ٦١٥ ٦١٥ ٦١٩ ٦٢٢ ٦٢٤

60A 63. 649 65A 677 677

6 1:06 A. 6 YL 6 YF 6 79

6129 6130 6132 6118

6 173 6 187 6 139 6 138

6 17A 6 177 6 170 6 17E

21-61786 JVW

العرب ١٥٦١ ١٩٦٦ ٦٢٦٦ ٦٥٥٦٣

61.4 692 680 670 675

6 117 6 110 6 118 6 1-A

6 1'8V 6 1'3. 6 1'23 6 1'1V

2-AC1V761V861V36101

العلويون الفاطميون ١٦٢

(ف)

الفُرس = العجم

الفرنج ١٦١

الفريسيون ١٠١

٦٠ فَرَارَةٌ

الروم ٦٥٥. ٦٨. ٦٨. ٦٨٠. ٦٨١. ٦٨١

1806 185

الرويدية (لعل صوابه : الزويدية)

(5)

الزنج ١٨

بنو زهرة ٢٠٤

الزويدية. ١١١٦١١.

(س)

مبایسان (آل و بنو) ۴۷۶۱۸۶۹۶۵

6150 6122 61.9 699 683

1776 1706 1736 109

بنو سنین ۸۲

(ش)

شعبان ۱۱۲

(ض)

ضمة ۱۱۱

ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ۱۱۱

(b)

الطَّردارية (طائفة من جيش المماليك بمصر)

177

الطوائف (ملوك) ١٥١٦ ١٣٩٦ ٢٩

(ع)

۸۳۰

الفهرس الأبجدي الخامس والأخير

بأسماء البلاد والمدن والمواضع والأماكن ونحوها

بركة زلزل (بغداد) ٣٨

البصرة ٦٨٤٦٧٨٦٦٦٥٨٦٢٤٦٢٠
١٩٣٦١١٧

بطحاء ذى قار = ذوقار

بغداد ٦٤٩٦٤٨٦٣٨٦٣١٦٢٢
٦١٦٢٦١٤٧٦١٠٤٦٨٤٦٧٨
٣٠٩٦١٩٧٦١٩٤٦١٧٠

بلخ ٩٩

بوشنج ٧٥٦٣١

البيت الحرام وبيت الله الحرام = الكعبة

بيسان ٧٩

﴿ ت ﴾

تهامة ١٢٧

﴿ ج ﴾

جامع ابن طولون (بالقاهرة) ٣٥

جامع العسكر (بالقاهرة) ٣٥

جامع الفاكهاني (بالقاهرة) ٦٤

﴿ ١ ﴾

آسيا الصغرى ٥٥

أجنادين ٧٩

أحد (جبل) ١١٤٦١٠٨

أذربيجان ١٠٦٦٨١

أرمينية ١٠٦٦٨١٦٨٠

الأزبكية (محلة بالقاهرة) ٧٨

إصطخر ١٥

إفريقية (تونس الآن) ١٧٥

الأنبار ٨٢

الأندلس ٢٠٨٦٢٦

إنواتيل = ذو السرح

الإيوان (بقعة القاهرة) ١٥٦

الإيوان (إيوان كسرى) ١٧٤٦٦٣

﴿ ب ﴾

بُر ١١٤

برقة ٣٥

دارة جُلُجُل ٤٥

دجلة ١٩٧

الدَّخُول ٣٨

دِمَشْق ١٦١٦٣٤

الديار المِصرِيَّة = مصر

﴿ ر ﴾

رمل الإسكندرية ١٥٧

الرُّها (وهى الآن أُرقة) ٥٥

الرَّوْضَةُ الشَّرِيفَةُ (الحرم المُلْكِي) ١٣١

الرَّي ١١٦

بلاد الرُّوم ٦٢

﴿ ز ﴾

الزَّاب (بأرض الموصل) ١٠٦

﴿ س ﴾

ذو السَّرْح (موضعٌ بِشَقِيقُط) ٤٤

ذو السَّرْح (موضعٌ ببلاد العرب) ٤٤

ذات السَّرْح (موضعٌ ببلاد العرب) ٤٤

السَّرْحَةُ (موضعٌ ببلاد العرب) ٤٤

سَرَخْس ٤٩

سَرَمَنْ رَأَى (مدينة بالعراق) ٨٤٦٧٨

الحبابات = ذوقاز

الحزيرة (أى ما بين النهرين) ١٠٧٦١٠٦٦٨٠

﴿ ح ﴾

الحجاز ١٢٧٦١١٦٦٠

حُلوان (مدينة بالعراق العجمي) ٧٨

حُلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨

حِصص ٧٩

الحِنُو = ذوقاز

حِنُو ذى قار = ذوقاز

حِنُو القراق = ذوقاز

حَوْمِل ٣٨

الحيرة ٦١٦٤٦١٥١٦٨٤٦٨٣٦٨٢

١٦٦

﴿ خ ﴾

خُراسان ٤٥٨٤٤٩٦٣٥٦٣٣٦٣١

٤١٧٤٦١١١٦٨٢٦٧٥٤٧٤٥٩

٢١٠٦١٩١٦١٧٦٦١٧٦

﴿ د ﴾

دار السلام = بغداد

دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

مكة ١٢٧٦٥٥٥٤٧٦٤٧

١٩٦١٩٣

الموصل ٨٠

﴿ن﴾

نجد ٤٤

النَجَف (مدينة) ٨٣

النهروان ١٨٥٤ ١٨٤

النوبهار (بيت يبلغ كان معظمًا عند الفرس قبل

الإسلام) ٢٠٣٤٩٩

نهر النيل ١٥٦

﴿ه﴾

الهاشمية (مدينة بناها السفاح) ١٤١

﴿و﴾

واسط ٨٤

الوجه القبلي (أحد قسمي مصر) ١٦١

﴿ي﴾

اليمين ٢١٠٦١٢٧

﴿م﴾

الماخورة ٩

محلة بركة زلزل (بنداد) ٣٨

المداين ١٦٥٤٩٧

المدينة المنورة ١١٦٦٦٦٣٦٣٣

١٢٧

مرعش ٨٠

مرو = مرو الشاهجان

مرو الروذ ١٤٧٤٤٩

مرو الشاهجان ٥١٤٤٩٦٣٣

مصر ٦٦٧٦٤٨٦٣٥٦٣٤٦٢٧

٦١٣٣٦١٢٧٦١١٧٦١٠٦

٦١٦٦٦١٥٧٦١٥٦٦١٤٢

٢٠٩٦٢٠٤٦٢٠٢٦١٩٧

مِصر (بمعنى مصر القديمة وهي القُسطاط) ١٦١

مَصَلَّى الجماعة (بنداد) ٥١

المغرب ٣٥ (وأنظر بلاد الغرب)

تم الكتاب

والحمد لله أولاً وآخراً

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

*
* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

*P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes pro-
légomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente
édition.*

*On y trouvera des renseignements détaillés et des notes
critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits
conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une
dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.*

*Je crois avoir réussi à prouver que Djâhiz est incontestable-
ment l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient
et de l'orientalisme.*

A. Z.

le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

* * *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آیین "Ayin" des Persans, au "Ayin" des Cosroés, à leur "Ayin" au "Ayin" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitâb el Tâdj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de Djâhiz se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el-Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de Djâhiz. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre intitulé : "*Mœurs des rois.*"

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de Djâhiz avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamîd II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kitâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où

* *

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre س; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre ص. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originale le titre كتاب أخلاق الملوك *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre ب du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: كان بالأصل سقامة "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mansour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabarî et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, BAYÂN, t. II, p. 154. et HAYAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 64 et 65.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawṣilî. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islâm. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

*
* * *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabarî lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit...*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

*
* *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude : *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent; sous le nom de "Notre maître Abou Osman (أبو عثمان)".

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2); photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge: il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYAN, I. II, p. 157.

(2) Le Kitâb الامتاع والموازنة de la Bibliothèque de Top-Kapu, et le Kitâb البصائر والذخائر de la Bibliothèque de Fâtih.

ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues."⁽¹⁾

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmoun, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fit un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmoun voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayyânî*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chérite qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbasides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complaît à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, Djâhiz n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

*
* * *

L'influence de Djâhiz s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet *créé* (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incrée* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PRÉFACE

Djāhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres, très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djāhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHÍ DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZÉKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.

LN. 620-1912-2,600 hr.

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tâdj.)

CALL No.

1621

ACC. NO.

11472

AUTHOR

الحاجناؤی یوسفیان محمد مسیحی

TITLE

ادب و اخلاق العرب

12.17.41

THIS BOOK MUST BE CHECKED AT THE TIME
OF ISSUE



MAULANA AZAD LIBRARY ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY

RULES:—

1. The book must be returned on the date stamped above.
2. A fine of Re. 1.00 per volume per day shall be charged for text-books and 10 Paise per volume per day for general books kept over-due.

